

١٤٨٠

جامعة دمشق
كلية الآداب
قسم التاريخ

مملكة حماة الأيوبية

رسالة جامعية أعدت لنيل شهادة الماجستير في تاريخ
العرب والإسلام

أعداد

أحمد غسان حبانو

بإشراف

الدكتور الدكتور سعيد زكار

١٤٠٨٠٣٠٠

دمشق ١٩٨٤

١٤٠٠



الى الأخضر بن عادل

جمعنا كهف سهيل

وفرقتنا كهف الأبدية

تنويه

لا بد لي من الاعتراف بالفضل والامتنان لمن قدموا لي
الكثير من المساعدات في سبيل اعداد هذه الرسالة ، ولعلي في
هذا التنويه اقدم بعضاً مما علي تجاههم . وأخص بالذكر
الاستاذ الدكتور سهيل زكار الذي كان له الفضل الاكبر
والاوفي فيها .

شرح اسماء المواقع التي وردت بالنص

- أياس : محلة على شاطئ كليكية فوق الجانب الغربي لخليج الإسكندرون الشرقي عند مصب نهر جيحان (دائرة المعارف الإسلامية)
- ايله : مدينة على ساحل بحر القلزم هي آخر الحجاز اول الشام (ايلات والمعبة) .
- باناس : باناس مدينة على الساحل السوري
- بركة زيزا : زيزاء من قرى البلقاء (الأردن) يمر بها الحجاج ويقام لهم فيها سوق وفيها بركة عظيمة (ياقوت) .
- بليس : مدينة بينها وبين لسطاط نحو عشرة فراسخ على طريق الشام من مصر (ياقوت)
- تروجه : قرية بمصر من كورة البحيرة (بحيرة لوط) من أعمال الاسكندرية (ياقوت)
- تيزين : قرية كبيرة من نواحي حلب كانت تعد من أعمال قسرين ثم صارت من المواسم مع منج (ياقوت) .
- حصن المرقب : على الساحل السوري مطل على البحر بين طرسوس وطرابلس .
- حياسة : بلدة من أعمال حلب
- رايح : موضع على طريق الحاج بين الابواء والحجفة (الحجاز) .
- الزرقا : موضع بالشام بناحية معان (جنوب الأردن) والزرقاء أيضاً بين خناصره وسورية من أعمال حلب
- وسلمية : (ياقوت) والمقصود هنا (القرية من حلب) .
- سرمين : بلدة مشهورة من أعمال حلب (ياقوت) .
- سرباقوس : بلدة من نواحي القاهرة بمصر (ياقوت)
- الشحر وبكاس : الشحر قلعة حصينة مقابلها أخرى يقال لها بكاس على رأس جبلين بينها واد كاخندق وهما قرب انطاكية (ياقوت) والفلاح ايام الحروب الصليبية .
- صرفلدة : قرية من قرى صور من سواحل بحر الشام (ياقوت)
- حنية بل حيفة : ضيعة تقارب بليس وهي من مصر إليها مرحلة ينزل بها الحاج المصري (ياقوت)
- المريش : أول عمل مصر من ناحية الشام على ساحل بحر الروم في وسط الرمل (ياقوت) وما تزال أول حدود مصر مع فلسطين على ساحل البحر الأبيض المتوسط .
- العمق : بنواحي حلب بالشام وكان أولاً من نواحي انطاكية ومنه أكثر ميرتها (وهو سهل العمق في الشمال السوري)
- عين ثابت : قلعة حصينة بين حلب وانطاكية .
- قلعة حوص (وحوص) : وهي من بلاد سيس كانت للأرمن جنوبي جيحون في الشمال السوري

قلعة مرعش : قلعة ومدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم (ياقوت)
قلعة نجم (نجمية) : وهي قلعة حصينة مطلة على القرات على جبل وعند جسر وهي المعروفة بجسر
منج (ياقوت) وهي قرية من منج .

كسروان : مقاطعة في لبنان بالجبل

الكويرة : تصغير كاره : جبل من جبال (القبيلة) : (ياقوت)
المصيبة : مدينة على شاطئ جيعان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس (ياقوت)
نقير : حصن منج من بلاد سيس جنوبي جيعان - ويقع في الشمال السوري .

نهر الأسود : نهر قريب من نهر الأزرق في طرف بلاد المصيبة وطرسوس (ياقوت) .

نهر الأزرق : نهر بالثغر بين بستان وحصن منصور في طرف بلاد الروم من جهة حلب (ياقوت)

نهر جيعان : نهر بالمصيبة بالثغر الشامي يخرج من بلاد الروم ويصب في بحر الشام (ياقوت)

نهر الموجا (الأهوج) : نهر ينبع من سفوح جبل الشيخ ويمر جنوب مدينة دمشق ويصب في بحيرة
الهيجانة .

الهارونية : مدينة صغيرة قرب مرعش بالثغور الشامية في طرف جبل اللكام استحدثها هارون الرشيد
عام ١٨٣ هـ (ياقوت)

المقدمة

تشابه ظروف نضالنا الحالي ضد الهجمة الصهيونية والاستعمارية مع ظروف الحروب الصليبية . وكانت بلاد الشام مثلها هي الآن المركز الرئيسي للدفاع ورد العدوان وكان النصر من صنع دمشق حاضرة بلاد الشام كما سيكون في المستقبل القريب إن شاء الله .

ورغبة في دراسة تلك الفترة التي تلقى الضوء على طبيعة الصراع ومراحله وأشكاله الذي تم في عصر الأيوبيين والمماليك ضد قوات الصليبيين ومن ثم المغول ، فإن دراسات مماثلة أخذت تصدر عن بلاد الشام ومصر عموماً وعن بعض المناطق بشكل خاص مثل (دمشق) و (صفد) و (حلب) و (طرابلس) ، وخصوصاً أن التفسيات لبلاد الشام كانت كما يلي (دمشق ، حلب ، حمص ، حماة ، صفد ، الكرك) لذلك اخترت حماة التي كانت مركزاً متقدماً من الصراع والتي دامت كمملكة أيوبية أكثر من باقي الممالك الأيوبية بفضل جهود ملوكها وخاصة أبي الفداء .

استلم تقي الدين عمر حماة بعد تعيينه ملكاً عليها ، وأخذ في ترتيب أوضاعها ودفاعاتها . كان الصليبيون في الغرب منه والحشيشة على أعتابه والبدو إلى الشرق منه . وضع تقي الدين اللبنة الأولى في صرح مملكة حماة الأيوبية إلا أن المنية عاجلته واستلم من بعده ابنه المنصور ، الذي يعتبر الوراثة الأولى للمملكة وبذلك حولها بفعل الأمر الواقع إلى مملكة وراثية . وكان لوفاة صلاح الدين الأيوبي وتقسيم أثره بين أخيه وأولاده الأثر العميق على حماة ، إذ خلق بجوارها دولاً وممالك أخرى تتنازع معها على الحدود والبقاء أحياناً ، إضافة لاضطرار ملكها وخلفائه من بعده للدخول في صراعات الملوك الأيوبيين ، إلا أن هذا الصراع بقدر ما كان له أثر سلبي على حماة ، كان له تأثير إيجابي أيضاً ، إذ بفضلها كانت حماة ذات استقلالية ، وكانت النتيجة أن خرجت عن الصراعات الداخلية الأيوبية في أواخر الفترة الأيوبية مما مهد السبل لبقائها في ظل المماليك ، مع أن كافة الممالك الأيوبية قد سقطت فعلاً .

وقد حاولت رسم صورة متكاملة عن حماة الأيوبية تشمل مختلف مظاهر الحياة فيها ، فبدأت في مقدمة تشرح موقع حماة وأهميتها ودورها ، ونبذة عن تاريخها حتى بداية الفترة الأيوبية ، ثم درست الحياة السياسية في مملكة حماة الأيوبية اعتباراً من فترة الولاية الشعبية وحتى الاستقلال والملكية ودرست أيضاً فترة انقطاع البيت الأيوبي عن حكم حماة وعودتها ولاية ، ومن ثم عودتها مملكة في ظل ملكها أبي الفداء وابنه من بعده ، حيث سقطت في عهده مملكة حماة الأيوبية وعادت ولاية مملوكية . ثم قسمت

بدراسة الحياة الإدارية ثم الحياة الاجتماعية . وانتقلت بعدها لدراسة الحياة الاقتصادية وأخيراً الحياة الثقافية .

ثم أتت الدراسة ببعض الملاحق التي تتمم رسم صورة شاملة وكاملة لمملكة حماة الأيوبية ، مؤيدة وموثقة لمختلف نواحي الدراسة ، وشارحة لبعض ما جاء في الرسالة . كذلك زودت البحث ببعض الخرائط التوضيحية . آملاً أن أكون قد وفقت في رسم الصورة التي أردتها ، واضحة صادقة عن مملكة حماة الأيوبية .



نقد المصادر

اعتمدت هذه الدراسة على كثير من المصادر والمراجع ، في نهاية الدراسة بياناً مفصلاً عنها . إلا أن هناك بعض المصادر كان لها التأثير الكبير في الدراسة وسأقوم بعرضها ونقدها تبعاً للبحث وقد أدرجتها بحسب أهميتها وعلاقتها بالموضوع وبحسب الاستفادة منها .

- المختصر في أخبار البشر -

من تأليف عماد الدين اسماعيل أبي الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ هـ . والكتاب يقع في أربعة أجزاء مدبل بتاريخ ابن الوردي .

يبحث المختصر الذي يدل اسمه على أن أبا الفداء قد اختصر كتب غيره فيه ، وعلى الاختصار كتاب ابن الأثير (الكامل) وغيره . وهو يبدأ كتابه من ابتداء الزمن وحتى قبيل وفاته . وقد بدأ أبو الفداء كتابه بمقدمة بسيطة ، حاول فيها تقديم نوع من التحليل التاريخي . إلا أن الجزء الهام من الكتاب هو ما يتعلق بالفترة التي عاصرها أبو الفداء منذ نعومة أظفاره وحتى قبيل وفاته . إذ يصبح هو المصدر الأهم لأخبار حماة وأحوالها ، وعلاقتها مع جوارها ومع السلطان في مصر . وهو يقدم وصف شاهد عيان فاعل للأحداث ومشارك بها . فيقدم الأدلة والبراهين والوثائق ، ويختز بعض الوثائق الرسمية . وقد كان الكتاب مصدراً هاماً جداً من مصادر البحث مع أن القسم الأخير من الكتاب للسنوات العشرة الأخيرة من حياة أبي الفداء جاء مختصراً جداً ، ويكاد يكتفي بحوادث الوفاة التي تقع في السنوات التي دونها . لأن الكتاب اعتمد أسلوب الحوليات .

وقد تابع ابن الوردي تدوين الحوادث حتى عام ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م بينما توقف أبو الفداء عند حوادث ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م . ولكن المعلومات التي يقدمها ابن الوردي بالمقارنة مع ما سبق هزيلة وتكاد تقتصر على أخبار الوفيات التي دونت بأسلوب الحوليات أيضاً .

- السلوك لمعرفة دول الملوك :

لتقي الدين أبي العباس أحمد بن علي الشافعي المقرئ في المشرف عام ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م . يعتمد المقرئ أسلوباً علمياً دقيقاً في الاستقصاء والتحقيق في الأخبار التي يوردها . وهو ينقل عن

سبقه أما الأخبار التي عاصرها فيقوم بنقلها بصفته شاهد عيان .

وقد اعتمدت على مادة المقرئ في السلوك في الأخبار المتعلقة بمملكة حماة الأيوبية ، وخصوصاً أخبار علاقاتها مع السلطنة في مصر . والمادة التي يقدمها عن فترة المماليك مادة هامة كانت أساساً للفترة المملوكية من حماة الأيوبية . والكتاب يعتمد أسلوب الحوليات ، وليس فيه مواد خاصة عن حماة سوى ما ورد عن علاقاتها العامة الخارجية مع السلطنة المركزية ومع نيابة الشام .

الكامل في التاريخ

لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين والمتوفى سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م . يهنا من هذا الكتاب الجزء التاسع منه ، وقد جاءت المعلومات فيه من عهد نور الدين وحتى عام ٦٢٩ هـ السنة التي سبقت وفاة ابن الأثير . ومع أن كتابه يعتبر من التواريخ العامة المتوسعة في ذكر المعلومات عن كافة الأقطار وخصوصاً أقطار العالم الإسلامي ، إلا أنه أورد معلومات قيمة عن الفترة التي ندرسها ولو أن حصة حماة في هذه المعلومات محدودة جداً . وقد وردت في إطار العرض العام وضمن كتابته عن المركز الرئيسي للسلطنة في القاهرة ودمشق وضمن علاقات ملوك حماة مع السلطان . والمعلومات الواردة في الكتاب ورد بعضها في كتابه الباهر .

لذلك فإن الكتاب قد أفادني في دراسة هذه العلاقة . والكتاب يعتمد أسلوب الحوليات وهو مطبوع أكثر من مرة .

البداية والنهاية :

لعماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م . وهو كتاب اعتمد طريقة الحوليات ، واعتمد على مصادر سبقته وخصوصاً الكامل ومرآة الزمان والروضتين وغيرها .

ومواده ثانوية لوجودها في المصادر ، عدا ما جاء في الجزء الثالث عشر والتي أورد فيها بعض الأخبار بشكل مفصل نسبياً ، وهو يعتمد فيها على مشاهداته لأنه شامي دمشقي ، وقد اقتضت استفادتي منه على هذا الجزء . وفيه أورد ذكر وتزجئة بعض الأعلام التي لها علاقة مع هذا البحث .

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة :

لجمال الدين أبي المحاسن بن تغري بردي الأتابكي (٨١٣ - ٨٧٤) هـ (١٤١٠ - ١٤٦٩) م . والكتاب موسوعة تاريخية وأهميته تأتي من أنه يؤرخ بشكل موسع للعصر المملوكي ، معتمداً أسلوب الحوليات . وقد اعتمد على مصادر هامة تسبق عصره منها ابن شداد ، والذهبي ، وابن كثير

وهو يشير الى المصدر كما وأنه ينقل أحياناً عن مصادر أخرى لا يذكرها منها ونزهة الانام في تاريخ الاسلام لابن دقماق وأحياناً يشير إليه قائلاً «قال صاحب النزهة»

وتنبج أهمية الكتاب من اعتماده على مصادر بعضها مفقود وهو لا يكتفي بمصدر واحد ، كذلك تعود أهميته لقربه من الأحداث المبحوث فيها . تلك الأحداث التي لا زالت أصداؤها تعيش في مجتمع عصر ابن تغري بردي .

وقد استفدت من الكتاب فيما يتعلق بمملكة حماة الأيوبية عبر علاقاتها مع مصر حاضرة الدولة الأيوبية والمملوكية من بعدها ، وخصوصاً تلك الأنباء التي وردت اعتباراً من صلاح الدين وحتى سقوط مملكة حماة الأيوبية ، والتي جاءت في الكتاب في الأجزاء (٦ - ٧ - ٨ - ٩) .

سنا البرق الشامي :

لقوام الدين الفتح بن علي البنداري وهو مختصر البرق الشامي للعماد الأصفهاني . وقد أخذ واضع سنا البرق الشامي كتاب العماد الأصفهاني في البرق الشامي مع ذيليه عُتبي الزمان وخطفة البارقي ، وذلك عام ٦٦٢هـ / ١٢٦٣ م للسلطان الملك المعظم عيسى ، مختاراً المعلومات التاريخية دون تغيير في لفظها ، ووثقها بالوثائق الرسمية والرسائل والقصائد الأدبية . ولم يزد على النص إلا تعليقات قليلة . والقسم المنشور من سنا البرق الشامي يمثل المجلد الأول وهو بالنسبة للمكتتاب (البرق الشامي) يمثل حوادث سنوات ٥٦٣ - ٥٨٣ أي من أول البرق الشامي حتى أوائل المجلد السابع .

وقد اتخذ الكاتب أسلوب الحوليات . واعتمد الصناعة الأدبية من سجع وجناس وطباق ، ورغم ذلك فإن للمكتتاب أهمية وخصوصاً أنه يعالج قضايا كان الكاتب فيها مشاركاً للأحداث جامعاً وموثقاً للمواد بصفتها (كاتب الإنشاء) .

- شفاء القلوب في مناقب بني أيوب

تأليف أحمد بن ابراهيم الحنبلي

هذا الكتاب بمثابة تاريخ اعلام بني أيوب فهو يذكر أخبار بني أيوب بشكل موجز . وهو بمثابة سيرة لبني أيوب منذ تأسيسها وحتى نهايتها ، وينهج صاحبه في تأليفه نهج الطبقات في استناده لتقسيم المراحل الزمنية التي مرت بها العائلة الأيوبية . فقد قسمها الى عشر طبقات ، أخذاً بذكر افراد كل طبقة على حدة ، مؤرخاً لكل جيل من العائلة على حدة ، شارحاً أهم الحوادث السياسية والاجتماعية والأدبية .

وكتاب هذا نهجه لا بد أنه أهمل الكثير من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأدبية

العامه ، لذلك نجد أن الأحداث الهامة التي عاصرت الأسرة الأيوبية مثل الحروب الصليبية والهجمة المغولية . تم سريعاً ولا تأخذ حيزاً في الكتاب ، ومرورها يتم عبر الأشخاص الذين أتى المؤلف على ذكرهم .

وقد استفدت من الكتاب في تدوين حوادث بني أيوب الذين لهم علاقة مع حماة وملكيتها . سواء من ملوك حماة أو من الأسرة الأيوبية عموماً .

كتاب الشماريخ في التواريخ (مخطوطة)

أوتاريخ ابن أبي الدم الحموي (مخطوط في مكتبة البودليان برقم 60 marsh وعدد ورقته ١٨٧) كان قد وضعه القاضي شهاب الدين أبراسحاق إبراهيم بن عبد الله المعروف بابن أبي الدم المصري الشافعي المتوفى سنة ٦٤٢ هـ . وهو من مواليد حماة عام ٥٨٣ هـ تاريخاً إسلامياً ابتداء بذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وانتهاء بالملك المظفر صاحب حماة الذي قدم الكتاب إليه .

وقد جاء الكتاب مختصراً ومختصراً أن للمؤلف كتاباً . آخر اسمه التواريخ الكبير أو التواريخ المظفري الذي يقع في ستة مجلدات كبار ويعتبر تاريخ ابن أبي الدم مختصراً له .

والفائدة من الكتاب هي في أخبار الحوادث التي عاصرت مملكة حماة الأيوبية . والتي هي موضوع بحثنا وقد استغرقت من الكتاب ٣٨ ورقة ، اعتمدت أسلوب الحوليات .

وقد استفدت من المخطوطة بعض الأخبار المتعلقة بحماة والتي ينفرد بها المؤلف . كذلك أخبار بعض العلماء والوزراء الذين أورد سيرتهم ابن أبي الدم .

- النوادر السلطانية والمعاصر اليوسفية ، أو سيرة صلاح الدين :

لبهاء الدين أبو المعاصر يوسف بن رافع بن تميم الذي شهر باسم ابن شدداد ، والمولود في الموصل عام ٥٣٩ هـ / ١١٤٥ م ، والمتوفى بحلب عام ٦٣٢ هـ / ١٢٣٩ م بعد أن عمر وعاش ثلاثاً وتسعين سنة .

وقد لازم صلاح الدين الأيوبي الذي عينه قاضياً لمسكره . فكان لا يفارقه ليلاً أو نهاراً . وبقي حتى أثناء مرضه الأخير ، وشاهد اللحظات الأخيرة من حياة صلاح الدين . ووضعها في كتابه النوادر الذي هو بالحقيقة سيرة صلاح الدين كما سبقت الإشارة . والكتاب هام جداً لما يتعلق بصلاح الدين ، وعلاقته مع كافة الأمراء حوله وعلاقته مع الصليبيين . وأهمية الكتاب أنه جاء من شاهد عيان عاش الأحداث وشارك بها . ورافق أصحابها وبتفس الوقت دونها في عصرها .

وقد استفدت من الكتاب كثيراً في تدوين الأحداث التي وقعت زمن صلاح الدين الأيوبي ، وعلاقة مملكة حماة في أول نشوئها مع السلطان ، وتطور حماة في عهده من نيابة الى مملكة . ونحوها الى مملكة

وراثية بعد وفاة تقي الدين عمر . كذلك استفدت من الكتاب في تدوين أحداث حياة وعلاقاتها الخارجية في زمن شهاب الدين وتقي الدين عمر وابنه الملك المنصور ، وعلاقته مع صلاح الدين وخصوصاً أنه قام بتعيين نفسه ملكاً على حياة ديون وصية ودون رضى السلطان صلاح الدين .

- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب -

لابن واصل الحموي

كتاب جمع أخبار بني أيوب معتمداً على مصادر سبقت وأخرى شفوية نقلها عن أشخاص عاشوا الحدث المدون أو صنعوه . والكتاب يعتبر مصدراً لكثير من الكتب التي جاءت بعده وخصوصاً في القرن السابع الهجري والذين كتبوا عن العصر الأيوبي مثل أبي الفداء والذهبي والمقريزي وغيرهم .
وال مؤلف ينقل عن غيره بعض الأخبار إلا أنه يعتمد النقد التاريخي ، فهو ينقل عدة روايات ، ثم ينقدها ويصوب إحداها أو يضع رواية جديدة يرى أنها هي الأصح . فهو من الكتب القليلة التي اعتمدت النقد التاريخي كما وأنه اعتمد التحليل التاريخي فهو يذكر الحدث ويحلله ويفسر مضامينه وأسبابه ونتائجه .

وقد جمع الكتاب الأحداث التاريخية وأيدها بالوثائق والأشعار . واستعمل المؤلف مصطلحات إدارية وحرية واجتماعية تعاصره ، وبذلك قدم معلومات مفيدة عن الحياة السياسية والإدارية والاجتماعية والعلمية والأدبية لعصر بني أيوب ، وللفترة التي شملها الكتاب ، وقد استفدت من الكتاب في تدوين أخبار بني أيوب المتعلقة بحياة ، واستفدت منه بأخبار حياة التي وردت عبر أخبار بني أيوب .

- الروضتين في أخبار الدولتين (النورية والسلحية)

لشهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي الشافعي المعروف بابي شامة المتوفى عام ٦٦٥ هـ / ١٢٦٨ م

الكتاب بالأساس عبارة عن سيرة لكل من الملكين نور الدين عمود وصلاح الدين . جمع فيه كل ما تحصل له من أخبارهما واعتمد على مصادر ذكرها في مقدمة كتابه منها تاريخ ابن عساكر وابن شداد وكتابي عماد الدين الأصفهاني : الفتح القدسي والبرق الشامي . واعتمد على دواوين شعر كانت متداولة في عصره . واعتمد أيضاً على الرواية الشفوية التي وصلتته بعد أن يتأكد من الثقة بصاحبها ، واختصر جميع ما وصله بكتابه الذي جاء خالياً كما يقول من السجع والمحسنات اللفظية والجمل الرنانة بعيداً عن الإطالة . مختصراً من الأشعار إلا ما كان لازماً لشرح حال أو واقعة .

وبدأ الكتاب بأخبار أسرة نور الدين ، مبيناً كافة حوادثهم وأعمالهم . وينتهي بوفاة صلاح الدين مبيناً انقسام مملكته بين أولاده وأخيه .

وقد استفدت من الكتاب في المقدمة وفي أخبار نور الدين وصلاح الدين وعلاقتها ، ثم استفدت منه في حوادث عصر صلاح الدين والأنباء الحموية التي وردت في سيرة صلاح الدين وعلاقات حماة مع صلاح الدين والتأثيرات المتبادلة بينهما .

والكتاب هام جداً لأنه يجمع مواد أصول بعضها متوافر لدينا حالياً وبعضها مفقود . وللكتاب ذيل للمؤلف نفسه فيه تراجم القرنين السادس والسابع الهجريين

- مضمار الحقائق وسر الخلائق -

لصاحب حماة محمد بن تقي الدين شاهنشاه (٥٦٧ - ٦١٧) هـ . والكتاب مؤلف من عدة مجلدات أوصلها بعضهم الى عشرة ولكن يعتبر بحكم المفقود وما بين أيدينا لا يشمل إلا سنوات قليلة (ما بين ٥٧٥ - ٥٨٢ هـ) . وقد قام بنشره حسن حبشي بمصر .

والقطعة المنشورة من الكتاب تقدم معلومات هامة من مصدر صانع للمعلومات ، وعلى اطلاع واسع بها يتحدث عن فترة عاصرها فيورد أخباراً وأسراراً لا تتأتى لغيره ويقدم لنا مادة جيدة وجديدة . واستناداً لذلك فقد كانت الفائدة منه كبيرة في البحث . وقد قدم معلومات اجتماعية هامة . ويبقى الكتاب عموماً بمستوى عالٍ من الجودة رغم أنه يمر أحياناً على بعض الأخبار سريعاً سطحياً لينحاشي الغوص فيها .

الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر :

للقاضي عمي الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر السعدي المصري . والكتاب عبارة عن سيرة الملك الظاهر بيبرس . ولد المؤلف في القاهرة عام ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م ومات عام ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م . وقد اشتهر بعسله في ديوان الإنشاء عندما تولى الظاهر بيبرس الحكم . وكان عمله أيام الملك المظفر قطز . ورافق حملته الى سورية ضد المغول ثم عمل مع بيبرس وحاز ثقته .

ولطبيعة عمل المؤلف مع الظاهر بيبرس وإطلاعه على الوثائق التي اقتبسها في مؤلفه يبينتها الكاملة . سواء ما تعلق بالأمور السياسية أو الاجتماعية أو الإدارية .

كذلك اعتمد على كتب ومؤلفات معاصرة له فقدت الآن منها «الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة» وهي مع غيرها من مصادره الكتابية . كذلك اعتمد على مصادر شفوية من أشخاص مسؤولين في الحكم والدولة منهم السلطان نفسه والقضاة والوزراء وغيرهم واعتمد أسلوب الحوالبات وقد جاء كتابه خلواً من المحسنات اللفظية والسجع الذي كان معتمداً في عصره . وكتابه هام للصراعات التي نشأت بين المسلمين والعسكريين في عهد بيبرس وقد جاءت من شاهد عيان وقد استفدت من الكتاب في

علاقة حمزة مع الملك الظاهر بيبرس أثناء فترة حكمه .

التاريخ المنصوري :

أو (تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان) : تأليف أبي الفضائل محمد بن علي بن نظيف الحموي . كان كاتباً عند الملك المجاهد صاحب حمص ، وقد تمتع بشخصية بارزة في عصره ، واستلم عدة وظائف جعلته مطلعاً على مجريات الأمور . يبدأ تاريخه اعتباراً من ابتداء الخليفة وحتى حوادث عام ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م . ومع أن الكتاب التزم بالإنجاز لانه مختصر عن كتاب «الكشف والبيان في حوادث الزمان» ، إلا أنه قدم أخباراً أكثر تفصيلاً فيما يتعلق بحمص وخصوصاً أخبار الملك المجاهد صاحبها . ومع أن المؤلف حموي الأصل والمولد ، إلا أنه لم يعط حمزة اعتناء خاصاً في ذكر أخبارها سوى ما ارتبط منها بحمص . لذلك يمكن الاستفادة من الكتاب بما يخص علاقات حمزة مع حمص في الفترة التي دونها ابن نظيف الحموي .

كتاب قوانين الدواوين

للسعد بن مماتي المتوفى عام ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م الذي جمعه وحققه عزيز سوريال عطية ومؤلف الكتاب هو أحد وزراء الدولة الأيوبية البارزين . وكتابه من الكتب الفريدة في بابها والعظيمة في مضمونها وقد قدم فيه معلومات هامة جداً قلما نستطيع العثور على مثلها في المصادر الأخرى . ومع أن الكتاب خصص في الأصل للحديث عن مصر وأقسامها الإدارية وجغرافيتها وعن النيل وأحواله وأعمال مصر ونواحيها وتحقيق أسماؤها ، ضياعها ومناطقها الإدارية وتحدث أيضاً عن مزروعاتها .

إلا أن القسم الهام من الكتاب فيما يتعلق بموضوعنا ، هو ما جاء في الباب الثامن والباب التاسع والمعلومات التي جاءت في الكتاب ، والتي تشمل كما سبق القول الفترة الأيوبية . فإن في كتاب نهاية الأرب ما يتممها خلال الفترة المملوكية من حياة مملكة حمزة الأيوبية .

وقد استفدت من هذا القسم من الكتاب في دراسة الحياة الاقتصادية والإدارية والاجتماعية في الفترة الأيوبية في مملكة حمزة التي كانت جزءاً من دولة واسعة كانت مصر حاضرتها وصاحبة السلطة عليها وقانونها يطبق بشكل ما ويحدود معينة على حمزة .

والمعلومات التي جاءت في الكتاب ، والتي تشمل كما سبق القول الفترة الأيوبية . فإن في كتاب نهاية الأرب ما يتممها خلال الفترة المملوكية من حياة مملكة حمزة الأيوبية .

وقد اعتمدت على طبعة مصر الصادرة عام ١٩٤٣ عن الجمعية الزراعية الملكية .

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء -

لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي المتوفى عام ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م وقد اعتمد المؤلف على مصادر هامة منها تقويم البلدان لأبي الفداء والتعريف ومسالك الابصار لابن فضل الله العمري .

ويضيف المؤلف عما استفاد من معلومات عن المصادر الموثوقة ما أتيج له معرفته والوثائق التي نمت يديه بصفته رئيساً لديوان الإنشاء . والكتاب يعتبر موسوعة حقيقية تغطي النواحي التاريخية والجغرافية والسياسية والأدبية والاجتماعية والعلمية والإدارية ونظام الحكم . ويقدم المعلومات ويوثقها بالوثائق الرسمية الصادرة عن ديوان الإنشاء . وقد تسنى لي الاطلاع على مخطوطه بخط المؤلف . وتبين أنها مكتوبة على الأوراق الرسمية العائدة لديوان الإنشاء . وبعضها مكتوب على خلفية مسودات مراسم ومكاتبات ديوان الإنشاء .

وقد استندت من صبح الأعشى في المواد المتعلقة بالفترة الملوكية من حياة مملكة حماة الأيوبية في ميدان الإدارة والمالية وسائر النشاط الموسمي في مملكة حماة الأيوبية في أواخر حياتها في الفترة الملوكية .

- نهاية الأرب في فنون العرب :

لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (٦٧٧ - ٧٣٣) هـ وهو كتاب موسوعي يشمل سائر النشاط العلمي من زراعة وصناعة وتجارة وإدارة واجتماع وأخلاق . واختص قسمه الأخير اعتباراً من الجزء العاشر أسبار الاسم القديمة ، ثم تابع المؤلف حتى الرسول والسيرة حيث استغرقت عدة أجزاء من كتابه الموسوعي .

ولقد استندت من هذا الكتاب الكثير عن الفترة الملوكية من حياة مملكة حماة الأيوبية ، وخصوصاً في الإدارة والضرائب والمالية وأبحاثه التي جاءت في الجزء الثامن من الكتاب ، تتم أبحاث ابن عماتي في كتابه قوانين الدواوين الذي جاء فيه بأبحاث مشابهة عن العصر الأيوبي . والكتاب هام جداً . اخذ من مصادر موثوقة واستند الى وثائق بين يديه . قدم منها نصراً كاملاً مع ذكر المصدر أو صاحب الوثيقة أو الرسالة أو نصوص محاضر مجالس الحكم وكتب دواوين الإنشاء .

- الخطط المقرزية أو كتاب المواظ والاعتبار بذكر الخطط -

لنقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقرزي المتوفى سنة ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م . وكان ينتمى

الحديث عن الكتاب مع كتاب السلوك . ولكن اثرت تأخير التزاما بمبدأ الأهمية وحجم الاستفادة .
ومع أن الكتاب يتعلق بمصر وخططها . إلا أنه أورد معلومات هامة عن الحياة الإدارية ، والوظائف وعن
الحياة الاقتصادية والمالية والاجتماعية في مصر التي تشابه مع مثيلاتها في بلاد الشام ، وخصوصاً تلك
الأمور التي جرى تطبيقها في سائر أنحاء الدولة الأيوبية والمملوكية .

وقد أورد بصورة مختصرة أيضاً ذكر ملوك مصر من الأكراد ومن الممالك البحرية ، وهو أمر
استفدت منه في مقابلة المعلومات التي حصلت عليها من المصادر الأخرى .

- معجم البلدان :

لشهاب الدين أبي الفضل عبد الله ياقوت الحموي المتوفي عام ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م . وهو كتاب
هام جداً لكل عصر ومصر . ويتفوق على أي كتاب من نوعه ومادته مأخوذة من مصادر موثوقة ، من
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي المتوفي عام ٢٧٥ هـ / ٩٨٥ م ، والإشارات إلى معرفة
الزيارات لعلي بن أبي بكر الهروي المتوفي ٦١١ هـ / ١٢١٤ م .

ومواده على درجة كبيرة من الأهمية . فهي مادة شاملة تقدم صوراً كاملة وجغرافية مع التعرض إلى
بعض النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية . ولرأيتها جاءت عرضاً إلا أن لها أهمية في
الكتاب .

والمؤلف اعتمد أسلوب التصنيف المعجسي مما يسهل استخراج المادة . وقد شملت موارده أكثر
المواقع والأصقاع التي عرفت في زمانه . وهو يوثق معلوماته ، وكثير من المعلومات التي ينقلها عن غيره
يزيد فيها ويتوسع ، ويمجد حتى تأتي بصياغة ومعلومات جديدة تصل إلى عصره . كما وأن لديه مواد
لا نجدها عند غيره .

وقد استفدت من الكتاب كثيراً في التعريف بالمواقع والأمكنة التي وردت في البحث . وخصوصاً
أن الكتاب ومواده لا يمكن لأي باحث في أي بحث من الاستغناء عن الرجوع إلى معجم البلدان .
وأخيراً فقد اعتمدت على مصادر أخرى غير التي جئت على ذكرها : منها في مجال التاريخ :

الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة لابن شداد ، وتاريخ ابن خلدون .
ومن كتب الرحلات والزيارات اعتمدت كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات للهروي . ونخبة
الدهر في عجائب البر والبحر لشيخ الربوة ، ورحلة ابن جبير الأندلسي وابن بطوطة ، ورحلة بنيامين
التطيلي . ورحلة ناصر خسرو التي جاءت بعيد انقضاء فترة مملكة حماة الأيوبية .

ومن كتب الإعلام والتراجم اعتمدت كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي . وفيات الأعيان وأنباء
أبناء الزمان لابن خلكان .

أما المصادر الأجنبية ، فإن اعتمادي عليها كان محدوداً بسبب عدم ذكرها أمور حاة وعلاقاتها بشكل

مستقل . وقد جاءت أخبار حمة فيها قليلة ونادرة وجئت على ذكرها في الحواشي . كما وسأبين في ذيل هذه الدراسة قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدتها في هذا البحث .



قيام مملكة حماة

- مدخل عام -

يحد بلاد الشام من الشرق نهر الفرات ، ومن الغرب البحر المتوسط ، ومن الجنوب البحر الأحمر ومصر ، ومن الشمال سفوح جبال طوروس التي تشكل حدود آسية الصغرى ، وتشكل بلاد الشام موقعاً متميزاً ذا أهمية عالمية ، إذ يقع بين قارات العالم الثلاث : آسية ، وأوروية ، وإفريقيا ، وقامت هذه البلاد بدور صلة الوصل بين إفريقيا وآسية وأوروبا ، كما وصلت بين إفريقيا وأوروبا .

كانت بلاد الشام موطناً أولاً للهجرات البشرية الكبرى في العصور القديمة والوسيطة ، فوصل إليها من بداءة ما وراء النهر الأتراك والمغول عبر العصور التاريخية المتتابعة مثل : الآخرون ، والفُرس ، والتركمان ، والمغول ، والتتار أما من أوروية فقد وصلها منهم شعوب البحر والرومان والفرنجة مع سواهم من الشعوب الجرمانية . أما من إفريقيا فقد وصل عدد من الرافدين البداءة منهم : المصريون القدماء ، والسودان ، والبربر .

رغم ذلك فإن أهم الهجرات التي اندفعت الى بلاد الشام هي من شبه الجزيرة العربية ، من أموريين وكنعانيين وآراميين وعرب مسلمين ، وكان استمرار الهجرات في العصور القديمة والوسيطة مع الطبيعة الجغرافية لبلاد الشام عاملاً حاسماً في تطور المنطقة ، واكتسابها الصفة العربية الدائمة عبر مختلف عصور التاريخ . فبنية بلاد الشام تتشكل من شريط ساحلي ضيق ، ثم سلسلة من الجبال الحاجزة ، ضمنت داخلها بلاد الشام بوديان الأنهار الكبيرة وبسهوب شبه صحراوية ، وادى ذلك لظهور عدة أنماط اجتماعية كان أهمها تخط تمركز في الشمال وآخر في الجنوب وثالث حول شواطئ البحر المتوسط وثبت الأقليات في جبال ، وغطت المجتمعات الزراعية الصناعية التجارية في جنوف بلاد الشام . وكان هنالك تخط آخر منفرد عن هذه الأنماط غير مستقر بقي على بدويته وسكن البادية والسهول الداخلية . إن اختلاف

• صورة الأرض لابن حوقل : ١٥٣ / الاصلاق النفيسة : ١٠٧ / مختصر كتاب البلدان : ٩١ - ٩٢
الاصطخري : ٤٢ / أحسن التقاسيم : ١٨٦ / معجم البلدان مادة الشام .

الانحطاط الاجتماعية وشكل معيشتها وطبيعتها جعل بلاد الشام متمايزة اجتماعياً وحضارياً وسياسياً . وقد ساهم هذا في فقدان الوحدة السياسية والإدارية في بلاد الشام ، وتكريس هذه التفرقة ضمن صراعات اتخذت بعداً جغرافياً دار على عودين شمالي وجنوبي . واستمر الصراع بشكل غير حاسم مما تسبب في قيام قوة (منطقة عازلة) بينهما ، فيما عرف باسم المنطقة الوسطى من بلاد الشام التي حوت مدينتين رئيسيتين هما : حمص وحماة ، وتمركزت القوة العازلة حيناً في حماة وحيناً أخرى في حمص . والمتفحص لأوضاع هاتين المدينتين يلاحظ وجود الكثير من الصفات والقواسم المشتركة . فكل منهما واقع على نهر العاصي . قريب من البادية وسكانها ، له أكبر العلاقات مع سكان المنطقة الجبلية والساحلية في الغرب .

ويلاحظ أنه بعد أن تم للعرب في بداية القرن الأول للهجرة / السابع للميلاد فتح بلاد الشام وتحريرها من حكم الامبراطورية البيزنطية . قاموا بتقسيم هذه البلاد الى أربعة أقسام عسكرية إدارية . ودعي كل واحد منها باسم جند : وهي جند فلسطين ، جند الاردن ، جند دمشق ، جند حمص . وقد شمل جند حمص وسط بلاد الشام مع قسمها الشمالي .

ومع توقف التوسع داخل الأراضي البيزنطية ، وتوضع منطقة للحدود بين بلاد الشام وبيزنطة . ومع استمرار الأعمال العسكرية العربية البيزنطية ازدادت أهمية المنطقة الشمالية من بلاد الشام أو بالحري استردت هذه المنطقة مكانتها . وكانت مدينة قنسرين مركز هذه المنطقة وكانت كل من حلب وأنطاكية أهم مدنها .

وفي النصف الثاني للقرن الأول للهجرة ، في أواخر عهد معاوية بن أبي سفيان ، ثم في زمن ابنه يزيد اتجهت الخلافة نحو تقسيم جند حمص الى قسمين . بحيث تفرد الجزء الشمالي من بلاد الشام في جند خاص . وتم هذا في أيام يزيد بن معاوية الذي كان من جملة ما أحدثه إقامة جند جديد خاص عرف باسم جند قنسرين .

كانت معظم القبائل العربية الموجودة في الشام قبل الفتح العربي من أصل يمني . وكانت قبائل طيء وتيخ أبرز قبائل شمالي بلاد الشام ومنطقة الجزيرة ، ويستخلص من الكتابات السريانية للقرن السادس فما بعد ومن المصادر العربية لآخبار فتوحات بلاد الشمال ، أن عناصر هذه القبائل كانت في القرن السابع قد فقدت معظم طباعها البدوية . ومالت نحو حياة الاستقرار في مناطق خاصة أحقت بمدن الشمال . ودعي كل منها باسم «حاضرة» وبعد الفتح العربي قامت قبائل كثيرة بالهجرة من شبه الجزيرة العربية نحو الشام عن طريق وادي الفرات ، وصعد بعضها شمالاً نحو إقليم الجزيرة . ثم تحول غرباً نحو شمال بلاد الشام . وتركز الى جانب القبائل القديمة .

وكانت لهذه الهجرة آثار كبيرة على التركيب البشري والقبلي لشمال بلاد الشام ، كما ان لها نتائج على مستقبل شمالي بلاد الشام السياسي والاجتماعي والحضاري ، وظهرت أولى هذه النتائج في تميز بلاد الشام ، ودفع الخلافة الأموية نحو جعله أجنداً خاصاً ، ومع الأيام ازداد تميز هذا الشمال بنفس الوقت

برز بين القبائل التي هاجرت إلى قبيلة كلاب . وأخذ بعض زعماء هذه القبيلة يرنو بصره نحو السيطرة على جميع أجزاء بلاد الشام وتحقيق السيادة والإمارة على جميع قبائل عرب الشام .

ولقد برز هذا بعد وفاة يزيد بن معاوية ووضح أثناء الصراع من أجل الخلافة بعده . خاصة في معركة مرج راهط سنة ٦٤ / ٦٧٣ م ، ففي هذه المعركة قاتل زفر بن الحارث الكلابي تسانده قبائل الشمال القيسية . ضد مروان بن الحكم الذي ساندته قبيلة كلب وسواها من قبائل اليمن . ومزم زفر بن الحارث في هذه المعركة ، وفر نحو الشمال ثم شرقاً حيث اعتصم في مدينة قرقيسياء (البصيرة حالياً في سورية) وامتنع لفترة من الزمن عن الاعتراف بالخليفة الأموي الجديد (١١) .

ولقد كان لمعركة مرج راهط نتائج كبيرة على تاريخ بلاد الشام بعدها . فقد أزيلت هذه المعركة تقسيمات الأجناد من الناحية السياسية . وحولت الشام إلى قسمين يفصل بينهما خط ومسي يمر قرب الرستن على العاصي ويمضي شرقاً داخل بادية الشام ، وسيطرت قبيلة كلاب على الشمال بينما وقع الجنوب تحت سيطرة كلب .

واستمر الصراع بين كلب وكرلاب . ونتج عن هذا الاستمرار توضيح الانقسام السياسي الذي حل ببلاد الشام ، وكان لذلك نتائج كبيرة للغاية على مستقبل عدد من المدن الشامية البارزة . فلقد تأثرت حمص بشكل كبير ، وبدأت تفقد أهميتها تدريجياً ، كذلك تأثرت مدينة قنسرين ، فأخذت تتقهقر . وازدادت أهمية حلب ، وتقدمت هذه المدينة لتحتل مكان الصدارة بين مدن الشام ، وذلك على حساب كل من قنسرين وأنطاكية ، وأصبحت حلب عاصمة ديار الشمال ومركزاً للصراع مع الجنوب . وفي نفس الوقت عظمت أهمية مدينة دمشق . وأصبحت مركز الجنوب الرئيسي ، بالإضافة إلى كونها عاصمة الخلافة الأموية ومع الأيام بدأ الصراع بين كلب وكرلاب يتحول إلى صراع بين جنوب بلاد الشام وشمالها أو بين حلب ودمشق وتوضح هذا بعد زوال الدولة الأموية بفترة من الزمن . (١٢)

فذلك أن الدولة العباسية التي اتخذت من العراق مركزاً لها ، انشغلت كلياً بمشاكل شرقي دار الخلافة ، وأولت الأقسام الغربية القليل من العناية . لذلك تطور في منطقة الحدود مع بيزنطة نظام دفاعي . وكان هذا التطور من الأمور التي ساهمت في ازدياد أهمية مدينة حلب وبداية تحولها إلى مركز سياسي شبه مستقل .

وبعد مصرع الخليفة المتوكل على الله العباسي . واستيلاء الجند على تغاليد الأمور في بغداد . انحلت الأجزاء الواقعة على أطراف الدولة خاصة في الغرب بالانفصال ، وتكوين دولة شبه مستقلة . وانتقلت عدوى الانفصال من قسم إلى آخر . كل ذلك تم في الوقت الذي ازدادت فيه الأمور في عاصمة

١١ تاريخ خليفة : ١ : ٢٢٦ / الطبري ج ٥ : ٥٤٠ - ٥٤٢ . ابن عساکر ج ٦ : ٢١١ و ٢١٢ ط .
١٢ ديوان ابن أبي حصينة ج ١ : ١٥٩ - ١٦٣ . انظر أيضاً مرآة الزمان حوادث ٤٥٢ - ٤٧٢ هـ (مخطوطة أحمد الثالث) . سيرة الملوک فی الدین : ١٠١ .

العباسيين اضطراباً وضعفاً . وكان من بين المناطق التي استقلت إقليم مصر .

ومارست حكومات مصر الإسلامية المستقلة بعد قيامها سياسة خارجية موروثة وعددة تجاه بلاد الشام ، ونبغت هذه السياسة من طبيعة تركيب مصر الجغرافية ، كما أنها استفادت من تجارب تاريخ العلاقات بين مصر القديمة وبلاد الشام ، فمصر التي هي عبارة عن سهل ليس له حدود ذات مواقع طبيعية تحميها ، غزيت دائماً عن طريق بلاد الشام ، لذلك قامت سياسة هذا البلد القديمة على احتلال بلاد الشام للتصدي لكل هجوم طارئ خارج أراضي مصر .^(١)

ولقد ترافق هذا الاحتلال في كثير من الأحيان مع مطامح الحكام ورغباتهم في التوسع . كما أنه دفع نحو التوسع الإمبراطوري ، والذي حدث بعد قيام دولة مصر الإسلامية أن هذه الدولة نجحت في احتلال بلاد الشام ، وأخفقت في الاحتفاظ بالقسم الشمالي من هذه البلاد ، وكان من أهم أسباب الإخفاق بُغْض الشمال عن مصر ووجود قبيلة كلاب التي حرصت على المحافظة على استقلالها في ديارها ثم سياسة الإمبراطورية البيزنطية التي ابتغت أن لا تكون حدودها المباشرة مع دولة إسلامية قوية . بل أرادت أن يكون بينهما دولة صغيرة حاضرة . وهكذا حافظت على استقلالها ، وأخذ الكلابيون يحاولون إقامة دولة مستقلة فيها . لكن طبيعة تركيب قبيلتهم ثم وجود الدولة الحمدانية في الموصل حرمهم من ذلك وساعد على قيام الدولة الحمدانية في حلب . وهكذا غدت مدينة حلب مركزاً لدولة صغيرة تحكم شمال بلاد الشام وتتطلع إلى احتلال الجنوب ، وفي نفس الوقت بذلت مصر الإسلامية المستقلة قصارى جهدها للاحتفاظ بجنوب بلاد الشام ، وبسعت دائماً لاحتلال الشمال ، وعلى هذا الأساس استمر النزاع بين حلب ودمشق وتوضح هذا بشكل ملحوظ في القرنين الرابع والخامس هـ / العاشر والحادي عشر م . وأثناء هذا الصراع ازداد اضمحلال مدينة حمص ، وساعد على ذلك تعرضها في القرن العاشر لغزوات بيزنطية هدمتها ودمرت منطقتها ، فأنجرفت منطقتها أكثر نحو الانحدار والاضمحلال ، وصارت منطقة حمص أرض الصراع بين دمشق وحلب ، وساعد هذا الصراع على دفع حمص وتقديمها ولما لم يوصل الصراع بين حلب ودمشق منذ قيام الدولة الحمدانية إلى نتائج حاسمة دائمة لصالح أحد الطرفين ، فقد استفادت منطقة حمص من ذلك وبدأت تتحول منذ أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي من حقل للصراع إلى منطقة عازلة بين القوتين المتصارعتين ، وتطورت مدينة حمص من بلدة صغيرة كانت تابعة إلى جنح حمص ، وبدأت تتحول إلى مدينة من أبرز مدن الشام وأكبرها .

ومما زاد من أهمية مدينة حمص وساعد على بروزها موقعها الاستراتيجي الهام وإحاطتها بعدد من المراكز الحصينة مثل : شيزر وكفر طاب وبارين ومصيف . ثم لمرور نهر العاصي بها وسقايته لسهولها مما وفر لها موارد اقتصادية تدفع بذوي المطامح للاستيلاء عليها وتستطيع تحمل نفقات دولة مستقلة ذات إدارة وجند وبلاط خاص بها .

ومن المقرر أن الجغرافية تعد من اكبر الحقائق في صنع التاريخ ، ولهذا من المفيد بعد هذا المدخل الهام تقديم عرض جغرافي مكثف لحماة ، ومن ثم الانتقال نحو الحديث التاريخي

تقع حماة في وسط سورية وهي على ارتفاع ٣٠٨ م فوق سطح البحر ، في وهدة سحيقة من وادي العاصي (١) وهي تبعد عن دمشق ٢٠٩ كم . وعن حمص ٥٨ كم وتبعد عن حلب ١٤٣ كم (٢)

وحماة هي مركز ابتداء المنخفض السوري الافريقي الذي حدث في نهاية دور البليستوسين المتوسط والحديث من «الحقب الرابع» والمنخفض السوري الافريقي يبدأ من حماة ويمتد عبر حوض العاصي ثم يصل إلى مناطق جبل لبنان الشرقية في مواقع الهرمل والليرة ، ثم يتابع جنوباً باتجاه منخفض نهر الاردن ؛ وبحيرة الحولة وبحيرة طبريا والبحر الميت ثم يتابع اتجاهه الجنوبي عبر منخفض البحر الاحمر الذي تشكل بعد الانخفاض .

وقد كان لهذا الموقع من المنخفض السوري الافريقي تأثير كبير على تاريخ حماة منذ مطلع التاريخ المعروف للبشر في ارضنا ، واستمر حتى عصرنا الحاضر ، فمن هذا المنخفض جاء حماة معظم الغزاة من الجنوب (الفراعنة)

وحماة من ناحية أخرى تقع على الشريط الفاصل بين البادية السورية وبين المناطق الزراعية المتجهة غرباً ، وقد جعل موقعها هذا من المدينة نقطة تلاقي بين البدو والحضر منذ أقدم العصور وجعلها محط أنظار البدو ومنسرحاً لغزواتهم ، وسوقاً لنشاطاتهم التجارية .

ومن ناحية أخرى كانت حماة ، محطة للهجرات العربية (السامية) سواء الآتية من جهة العراق عبر شمال بلاد الشام أو الآتية من الجنوب عبر جنوب بلاد الشام أو الآتية مباشرة من الشرق من البادية (٣)

وبالنسبة لأصل تسمية هذه المدينة :

أورد باقوت الحموي في معجمه بأن حماة بالفتح ، بلفظ حماة المرأة ، وهي أم زوجها . وقد سماها أيضاً عصبه الساق (٤)

(١) راجع جولة أثرية في بعض البلاد الشامية لأحمد وصفي زكريا ص ٢٤ وما بعدها . جغرافية حماة ص ١

(٢) جدول المسافات للقطر العربي السوري - إدارة المساحة العسكرية طبعة ١٩٧٩

(٣) العرب والقبائل العربية قبل الاسلام مقال لأحمد غسان سبانو في مجلة الاكليل البيثية . العدد الاول السنة الثانية ١٩٨٢ ص ١٧ وما بعدها وانظر أيضاً الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي وامراء غسان ليتودر تولدكه ترجمة ذريق . العرب في الشام قبل الاسلام محمد أحمد باشميل - القبائل العربية وسلطانها في بلادنا فلسطين مصطفى مراد الدباغ . منازل القبائل العربية حول دمشق لصلاح الدين المتجدد . العرب تاريخ موجز لنيليب حتى

(٤) معجم البلدان ١ مادة حماة

كما ورد اسم حماة في التوراة باسم حمت الكبرى تمييزاً لها عن حمت الصغرى في كيليكية .
وذلك نسباً إلى حمتي من أبناء كنعان الذي ينسب بناتها إليه ^(١)

وهناك من ينسبها إلى حماة وهو الأب الحادي عشر لاولاد كنعان . بيت يذهب (أثغولست) إلى أن
تسميتها أتت من اسم اول ملك آرامي لما يدعى حماة .

أما حمت او حمت في اللغة الآرامية فهي بمعنى واحد إذ (ت) و (ث) من نفس المخرج .
واختصت حماة في الاول واخفقت حمص (حمت) في الثانية إذ كان يطلق عليها اسم صورية حماة وحماة من
الاسم الآرامي من حصن وقلة ^(٢) . وحماة من حمت السريانية أو (حم) العبرانية

وتعني كلتاها سخن أو صار حاراً ^(٣) وحماة من حما السريانية التي تعني حرارة وسخونة وعين ماء
حارة أو معدنية كبريتية (كالحمّة قرب طبريا وحمّة الاردن وحمّان في محافظة جبل لبنان . قضاء عالية ^(٤))
وقد استبدل اسم حماة باسم (أبيفانيا) نسبة إلى الملك السلوقي (أبيفان) وعادت إلى اسمها الاساسي (حماة)
بعد موت (أبيفان) في زمن خلفه جيروم . ويرى (روينسون) أن اسم حماة قد اطلق على عدة مواقع منها
مدينة (هيت) الواقعة على شطهر الفرات) وقد ذكر في سفر الملوك وعلى مدينة ربلّة الواقعة على الحدود
السورية اللبنانية حالياً ^(٥)

وتعتبر حماة ووادي العاصي من أقدم مواقع سكن الانسان القديم في سوريا وقد عثر على مواقع فيها
تعود إلى سوية (الفيلفرانشي) المتاخمة السابقة للعصور الحجرية .

فموقع العشارنة (٣٩ كم شمال حماة وجنوب شرق العشارنة) يعتبر موقعاً من الدور الاشوري
الاولى وفي هذا الموقع تم العثور على أقدم النماذج التي عرفت في الشرق الاوسط منها فؤوس يدوية
وأدوات حجرية أخرى . وعثر في نفس الموقع على عمق ٢٠ - ٢٥ م بسياكة قدرها ٧٠ - ١٠٥ م على
أدوات تعود إلى عصر مندل الجليدي أو على العصر الجليدي الفاصل ^(٦) .

وعثر أيضاً في موقع سد الرستن على شطايا وفؤوس حجرية تعود إلى سويات محيطة في القدم .

(١) جولة أثرية ص ٢٤٠ وانظر أيضاً

(٢) معجم الكتاب المقدس (الطبعة العربية)

(٣) معالم واعلام لأحمد قدامة

(٤) معجم اسماء المدن والقرى اللبنانية انيس فرجيّة

(٥) لم يذكر ياقوت الحموي في كتابه المشترك وضعاً والمفترق صفحاً اسم حماة مما يعني عدم معرفته موقع آخر لهذا الاسم في
عصره

(٦) مجلة الحوليات العدد ١٦ عام ١٩٦٦ صفحة ١٣ وما بعدها

كما وعثر في موقع (كركور) على بقايا تعود للدور الاشولي تشبه في وصفها صناعة كهوف ييرود^(١) . وعثر في مدينة حماة على مواقع من العصر الحجري القديم في (جوثية) و(مزرعة الشيخ عبد الله) و(قمنهارية) و(شرية) و(خطاب) وجنوب شرق (الزور الجديد)^(٢)

ودون الدخول بمزيد من التفاصيل نلاحظ في العصور التاريخية أنه : اثر التوسع الحثي أصبحت حماة مدينة حثية وقد وجد فيها الكثير من الكتابات (الحثية)^(٣) واطلق على حماة اسم (حمت)^(٤)

وقد دخلت حماة في حلبة الصراع الذي وقع بين الحثيين والفراعنة اعتباراً من القرن الثامن عشر قبل الميلاد . ونجد في أسماء الفراعنة الذين هاجموا (تحتمس الثالث عام ١٧٠٠ ق.م) وساتي ابن رعحميس الأول ، الذي استطاع الوصول إلى قادش أو (قادس) قرب بحيرة حمص^(٥) واستمر الصراع الحثي المصري حتى ظهر صراع جديد وقع بين الحثيين وقوة جديدة هي قوة الاشوريين فقام تغلات بلاتسر الاول عام ١١٣٠ ق.م بغزو سوريا (وحماة) واحتلها ثم قام (آشور نسيربال) أو (آشور ناصر بعل) بمهاجمة حماة عام ٨٨٣ ق.م وكذلك قتل ابنه شلمنصر الذي لقي مقاومة من ملك حماة (ايدكولينا) . وفي عام ٧٤٥ ق.م هاجم تغلات بلاتسر الثاني حماة ، فصالحه ملكها (انبال) . ثم هاجم مرجون الاشوري وادي العاصي وهزم الحثيين الذين انقرضت دولتهم وانتشر بعدهم الاراميون^(٦)

وقد كان بدء التغلغل الارامي للحماة منذ أواخر القرن الحادي عشر والاراميون قبائل دخلت منطقة حماة اثر الفوضى التي واجهت الحثيين في ذلك العصر ، وقد استطاع الاراميون تشكيل دولة خاصة بهم في حماة ضمت بعض المدن والمواقع وأهمها مدينة أناميا .

وشهدت الدولة ازدهاراً بقي حتى وقع الصراع بينها وبين الملك سليمان من جهة وبين الاشوريين من جهة أخرى ، وكانت حماة دائماً إلى جانب سائر الممالك الارامية مثل مملكة دمشق وصوبها وشمال . ومن أهم ملوك الاراميين في حماة الملك زكير الذي اوصل حدود دولته إلى حلب ، وخاف ملك دمشق

(١) نفس المصدر : صفحة ٧ وما بعدها . مجلة الممران عدد حماة مقال عدنان المفتي

(٢) الحوليات مجلة ١٤ عام ١٩٦٤ ص ٢٤٣ وما بعدها الممران عدد حماة ص ١١٦ وما بعدها

(٣) معالم واحلام : مادة حماة / الممران عدد حماة : ١١٦ وما بعدها

(٤) قاموس الكتاب المقدس : مادة حماة ، حثي : ج ١ : ٢٦٠ ، تاريخ لبنان لمارتين : ٣٤٦ ، الدبس ج ١ : ١٥٤

(٥) قاموس الكتاب المقدس : مادة حماة : حثي ج ١ : ٢٦٠ / تاريخ لبنان لمارتين : ٣٤٦ ، اسد الاشقر : ٢٠٩

(٦) تاريخ حماة : للصايوني ٣٧ وما بعدها ، دائرة المعارف البستاني ، دائرة المعارف الاسلامية ، قاموس الكتاب المقدس : مادة

تاريخ لبنان لمارتين اليسوعي : ٣٤٦ ، اسد الاشقر ج ١ : ٢٠٨ / الدبس ج ١ : ١٢٦ وما بعدها .

الارامي من توسع زكير فاقام حلفامن ستة عشر ملكاً ضده، ولكن لم يستطع هزيمته وقام زكير مستجداً بالاشوريين الذين انجدوه . وقد اكتشفت مسلة في افيس جنوب غرب حلب ٤٠ كم نقش عليها تفاصيل عن هذه الحرب والمسلة موجودة الآن في متحف اللوفر بباريس^(١)

وقد اشترك ملك حماة بالحلف الذي قام ضد الاشوريين للتخلص من الجزية المفروضة ، إلا ان سرجون الثاني الاشوري قام عام ٧٢٠ ق م بمهاجمتهم .

وحدثت موقعة قرمز على النهر العاصي التي انتهت لصالح سرجون الثاني ، والقي القبض على ملك حماة وقتل وسلخ جلده ، واحضر إلى حماة ٦٣٠٠ آشوري وأقام عليها حاكماً آشورياً ونقل إلى حران على ضفاف الخابور من سبع وعشرين ألفاً من سكانها ، وبذلك انتهى مملكة حماة الارامية^(٢) ثم انتقلت حماة ضمن الاطار السوري إلى السيطرة الفارسية إلا أن هذه السيطرة لم تدم طويلاً اذ انتهى الاسكندر المقدوني الوجود الفارسي في سورية اثر معركة افسوس سنة ٣٣٣ ق م . واصبحت حماة تابعة للمقدونيين^(٣) .

وبعد وفاة الاسكندر الكبير قام قائده بروكاس بتقسيم المملكة على ضباط الاسكندر ، فكانت سورية من حصص سلوقس الذي حكم سورية الشمالية وما بين النهرين إلى الهند^(٤) .

واثر الفتح الروماني لسورية عام ٦٤ ق م بقيادة بومبي ، غدت سورية ولاية واحدة عاصمتها انطاكية وقد استمر الوضع هكذا رغم ظهور تقدم في المنطقة وخاصة اثر استلام الاسرة السورية الحكم في روما وعلى رأسها سبتيم سيفر وخلفاؤه حيث وجهت لسورية عناية خاصة كذلك خضعت حماة للملكة تدمر زنوبيا (زينب) أثناء حكمها ، ثم تبعت حماة الحكم البيزنطي ضمن ولاية سورية وفي نهاية القرن الرابع الميلادي كانت حماة من تبعية سورية الثانية والتي تضم العاصمة أفاميا وحماة واريثوزة (الرستن) ولاريا (شيزر)^(٥) .

وفي هذه الفترة مر امرؤ القيس بحماة وقال قصيدته المشهورة (المعلقة) وفيها :

(١) تاريخ لبنان لمارتين : ٣٤٧ - الممالك الارامية : ٨٦ ، اسد الاشقر ج ١ (٢٣٤) /

الديس ج ١ : ١٢٦ وما بعدها .

(٢) راجع الممالك الارامية : ٨٦ وما بعدها ، وراجع فيليب حتي جزء (١) ١٨٩

(٣) تاريخ شيزر ص ٨٨ وما بعدها : حتي ج ١ : ٢٥٣ ، اسد الاشقر ج ١ : ٢٦٥ وما بعدها / تاريخ الديس ج ١ : ٥٠ /

(٤) تاريخ حمص للمخوري عيسى أسعد : ٢٢٨ وما بعدها : حتي ج ١ : ٢٦٠ / الديس ج ٣ : ٨٥ وما بعدها

(٥) تاريخ الديس : ج ٣ : ٢٧٤ حتي ج ١ : ٣٠٨ وما بعدها

تقطع اسباب اللبانة والمهوى
عشية جاوزنا حماة فشيروا (١)

وقبل الفتح العربي الإسلامي لحماة قام خسرو الثاني الفارسي بالهجوم على سورية سنة ٦١١-٦١٤ م. وأعمل فيها القتل والدمار. وبعد أربعة عشر عاماً أعاد البيزنطيون بقيادة هرقل سورية إلى الحكم البيزنطي وطرد الفرس. وقد تولى هرقل حكم ولاية سورية ومعروف أنه في عهده تم الفتح الإسلامي لبلاد الشام (٢)

ومن المرجح أنه في سنة ١٥ للهجرة تم فتح مدينة حمص على يد أبي عبيدة بن الجراح الذي انضم إليه خالد بن الوليد. وبعد أن تم فتح حمص جاء حماة أبو عبيدة فضالحو أهلها على الجزية على رؤوسهم والخراج على أرضهم وجعل كنيستهم العظمى جامعاً وهو الجامع الكبير (٣)

إلا أن الهجوم المكسي الذي شنّه هرقل على القوات الإسلامية أجبر المسلمين على التخلي عن بعض المواقع في بلاد الشام الشمالية ومن ضمنها حماة في سبيل تجميع القوات لمقابلة الجيش البيزنطي. وتمت المعركة الفاصلة في اليرموك حيث انتصر العرب المسلمون في آب عام ٦٣٦ م. فعادت القوات الإسلامية بعدها لاسترداد حماة حوالي عام ٦٣٨ م (٤)

وقد جعل الخلفاء الراشدون حماة من أعمال جند حمص لأن حمص كانت في حينها واعتباراً من العهد البيزنطي حاضرة للمنطقة الوسطى والشمالية من سورية بسبب تقرب حماة نتيجة حروب البيزنطيين مع الفرس (٥) واستمر الوضع هكذا في أوائل زمن الخلافة الأموية. إذ بقيت حماة من أعمال جند حمص الذي شمل وسط بلاد الشام مع قسمها الشمالي. إلا أنه في عهد يزيد قسم جند حمص إلى قسمين جند حمص وجند قنسرين وتبعت حماة جند قنسرين.

وكان لهجرة القبائل العربية بعد الفتح واستقرارها في أطراف المدن التي دعت باسم (حاضر) أثر كبير على التركيب البشري والقبلي لشمالي بلاد الشام، حيث تركزت هناك قبيلة كلاب بينما استقرت قبيلة كلب في الجنوب.

(١) معجم البلدان مادة حماة.

(٢) حني ج ٢ : ٣ وما بعدها، الديس ج ٤ : ٥٤٩ وما بعدها
وراجع العمران العدد الخاص بمدينة حماة.

(٣) جولة أثرية أحمد وصفي زكريا وقد حدد تاريخ الفتح ١٧ هـ بينما حدد الطبري تاريخ فتح حمص ب ١٥ هـ انظر ص ٤٢

(٤) نفس المصدر والصفحة

(٥) بحث سهيل زكار عن أبي الفداء في مهرجانه راجع كتاب المهرجان ص ٤٢. العمران العدد الخاص بحماة وفيه عدة مقالات حول هذا الموضوع.

وقد استقر الصراع بين كلب و كلاب ، مما أكد الانقسام السياسي في بلاد الشام بين الشمال والجنوب - كما سلفت الإشارة - وكان له تأثير كبير على مستقبل عدد من المدن الشامية البارزة . فقد تأثرت حمص بشكل كبير وبدأت تفقد أهميتها تدريجياً ، كذلك تأخرت مدينة قنسرين التي أخذت بالتقهقر . وبالعكس زادت أهمية حلب التي احتلت مكان الصدارة بين مدن الشام على حساب قنسرين وانطاكية وأصبحت حلب عاصمة الشمال ومركزاً للصراع مع الجنوب الذي احتلت الصدارة فيه مدينة دمشق عاصمة الخلافة الاموية .^(١)

وأخذ الصراع بين كلب و كلاب يتحول : الى صراع بين جنوب بلاد الشام وشمالها . وتركز الصراع بين حلب ودمشق ذلك الصراع الذي توضح أكثر بعد زوال الدولة الاموية ، بسبب انشغال الدولة العباسية بمشاكل شرقي الدولة الاسلامية وبأمور العاصمة بغداد والعراق عموماً يضاف إلى ذلك النظام الدفاعي في منطقة الحدود مع بيزنطة الذي ساهم باعطاء أهمية خاصة لمدينة حلب وساهم في تحويلها إلى مركز سياسي شبه مستقل^(٢)

وسلف القول أنه بعد مصرع الخليفة المتوكل على الله العباسي ، واستيلاء الجند على مقاليد الأمور في مركز الدولة العباسية ، أخذت اجزاء كثيرة من اطراف الدولة الاسلامية وخاصة في الغرب بالانفصال وتشكيل دولة مستقلة تربطها بالعاصمة روابط اسمية شكلية . وقد شكل هذا الاستقلال موجة متتالية من مكان لآخر ، فانتقلت عدوى الانفصال حتى وصلت إقليم مصر الذي شكل دولة مستقلة ذات سياسة خارجية محدودة تجاه بلاد الشام تعتمد اعتبار الشام خط دفاع شمالي مصر .

وقد نجحت مصر الاسلامية المستقلة فعلاً في احتلال بلاد الشام إلا أنها اختفت في الاسر بالقسم الشمالي من هذه البلاد وذلك لأسباب كثيرة أهمها - بعد الشمال عن مصر ، ووجود قبيلة كلاب التي نجحت بالاحتفاظ باستقلالها وبديارها ، وساهمت سياسة الامبراطورية البيزنطية التي استهدفت أن يكون على حدودها دولة صغيرة تحجز مصر القوية عنها في بقاء استقلال^(٣) الشمال او بالحري مدينة حلب التي غدت ولاية كلابية لصالح مصر .

إلا أن وجود الدولة الحمدانية في الموصل حرم قبيلة كلاب من تشكيل دولة مستقلة بها ، أضيف إلى ذلك طبيعة تركيب القبيلة . مما ساعد على قيام الدولة الحمدانية في حلب

(١) ديوان ابن أبي حصينة ج ١ : ١٦٣ ، مرآة الزمان حوادث ٤٥٢ / غزوات من كتابات المؤرخين العرب : ٨٧-٩٥ .

(٢) مهرجان أبي الفداء ، العمران العدد الخاص بحياة

(٣) حطين : ٤٠٠

وبذلك أصبحت حلب مركزاً لدولة صغيرة تحكم شمال بلاد الشام وتتطلع باستمرار للتوسع على حساب الجنوب مما جعل حماة ومنطقتها ميدان هذا الصراع الذي أخذ شسراً بين دمشق وحلب . وقد ساعد هذا الصراع على دفع حماة وتقدمها وخصوصاً أن الصراع لم يحسم من قبل أي من الفريقين مما جعل حماة تأخذ بالتحول منذ أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي من حقل للصراع إلى منطقة عازلة بين القوتين المتصارعتين وتطورت حماة من بلدة صغيرة كانت تابعة لجند حمص . وبدأت تتحول إلى مدينة من أبرز مدن الشام وأكبرها^(١) ففي القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي تدفقت جموع الفُرّ إلى خراسان ونجم عن ذلك قيام السلطنة السلجوقية . ولم يتوقف زحف الفُرّ عند حدود خراسان بل تابعت قبايلهم الاندفاع نحو العراق وارمينيا وآسيا الصغرى والجزيرة وبلاد الشام . وتوافق هذا مع دخول السلاجقة إلى العراق وإزالة التحكم البويهي فيها .

وفي هذا الوقت كانت بلاد الشام ممزقة وكان الوضع فيها كما يلي :

كانت حلب ومعظم مناطق شمال الشام تحت الحكم المرداسي . بينما كانت دمشق مع معظم مناطق جنوب بلاد الشام تحت الحكم الفاطمي . وكانت شيزر وكفر طاب تحت حكم بني منقذ وفي معرة مصرين وجبل الساق كان هناك تجمعات لاتباع الدعوة الاسماعيلية من نزارية مستعيلة مع اعداد من الدروز وسواهم^(٢)

وقد أغار السلاجقة سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠م على الدولة المرداسية في شمال سورية، واستتبوا حاكمها المرداسي ثم اقتحم اتسر أحد زعماء التركمان فلسطين حتى عسقلان متزعاً تلك المناطق من أيدي الفاطميين وفي سنة ٤٦٤ هـ / ١٠٧١م أحرز الب أرسلان انتصاراً حاسماً على البيزنطيين في معركة منازكرد وكان نتيجة ذلك أن تدفقت قبائل التركمان على شمالي بلاد الشام وآسيا الصغرى . وفي عهد ملكشاه بن الب أرسلان (١٠٧٢ - ١٠٨٢) دخل اتسر دمشق سنة ١٠٧٦م بينما بقيت مناطق حماة تحت سيادة أمير شيزر (عز الدولة أبو المرفه) الذي اعتصم في قلعة المنيرة واعترف بسلطنة ملكشاه وفي عام ١٠٧٩ دخل تشر بن الب أرسلان أخو ملكشاه دمشق وقتل اتسر^(٣)

خلف ملكشاه وراهه آق سنقر قسيم الدولة والياً على حلب وقد بقي حاكماً فيها مايقارب من سبع سنوات وتعتبر فترة حكمه هامة في تاريخ حلب وشمالي بلاد الشام

(١) بحث زكار في مهرجان أبي الفداء . تاريخ العصر الأيوبي : ٥ - ٩ - حتى ج ٢ : ١٩٤

(٢) حطين ٤٢ / حتى ج ٢ : ٢١٤

(٣) المدخل ص ٧٥ وما بعدها . تاريخ شيزر ص ١٥٠ وما بعدها . المبران العدد احاسر بحياة ..

فهو أول حاكم سلجوقي لحلب وهو أبو زكري مؤسس الدولة الاتابكية وجد نور الدين الشهيد
رجل الحروب الصليبية^(١)

وقد جهد تش منذ أن أصبح الحاكم بدمشق في العمل على مد سلطانه على بلدان الشام ومدنه
خاصة التي كانت تدين بالطاعة للخلافة الفاطمية أو تحكم من قبلها مباشرة وطلب تش من أخيه ملكشاه
دعم جهوده لاستخلاص مدن ساحل الشام من أيدي الفاطميين ، وأوعز ملكشاه إلى قسيم الدولة آق
سنقر وإلى حلب وإلى بوزان صاحب الرها بأن يساعدوا تش في ذلك . ولكنها لم يقدموا مساعدات منيعة
لتش^(٢)

وقد وصل في سنة ٤٨٢هـ / ١٠٨٩م إلى الساحل الشامي جيش فاطمي وتمكن من أخذ صيدا وصور
وجبيل وعكا .

وقام بحصار بعلبك . وأثناء الحصار وصل للمعسكر الفاطمي خلف بن ملاعب صاحب حمص
وأفاميه ، واعترف لقائد فاطمي وجد في المنطقة بالسلطة للخليفة الفاطمي . وقام تش ببحث
السلطان على مهاجمة حمص لذلك أعطى السلطان القيادة إلى تش الذي انضم إليه آق سنقر وبوزان .
وبعد أن تمكنت قواتهم من اقتحام حمص انعم السلطان بها على أخيه تاج الدولة تش وبقيت كنف طاب
وشيزر في ظل امرائها من آل منفذ بمنأى عن الخلافات بين تش وآق سنقر تلك الخلافات التي تضررت
أثناء حصار طرابلس بعد القضاء على خلف بن ملاعب حاكم حمص . فتجد أن آق سنقر وأثناء عودته
من طرابلس إلى حلب قام باحتلال أفامية التي كانت من أملاك ابن ملاعب ، لكنه سلسها إلى نصر ابن
علي الأمير المنقذي لشيزر مما قد يعني أن العلاقات بين آق سنقر واسرة آل منفذ كانت طيبة . مع أنه سبق
عام ١٠٨٨م أن حاول آق سنقر احتلال شيزر^(٣) وهذا يدل على أن إعطاء أفامية للحاكم المنقذي لم تكن
عن طيبة خاطر بل كان تقوية لدور شيزر كإمارة عازلة بين القوتين المتصارعتين في الشمال والجنوب من
بلاد الشام .

ونتيجة للصراع القائم بين آق سنقر وتش وخصوصاً بعد موت ملكشاه وإعلان تش نفسه خليفة
لأخيه وسلطاناً للإمبراطورية السلجوقية وقيام آق سنقر بتأييده التأييد الذي تحول نحو بركياروق الابن
الأكبر لملكشاه ، فكان نتيجة أن وقعت الواقعة بين الطرفين وانتهت بأن وقع آق سنقر أسيراً بيد تش
فقتله واستولى على حلب وبذلك توحدت بلاد الشام ، إلا أن الأمر لم يدم طويلاً فقد قتل تش في
اصفهان فقام ابنه رضوان بالتوجه إلى حلب وتسلمها من وزير أبيه أبي القاسم بن بديع عام ٤٨٨هـ

(١) المدخل ص ٢١٥ ، حتى ج ٢ : ٢١٧

(٢) ابن عساكر ج ٦ : ٥٠ / العظيمي ١٨٨ ط / الكاسل لابن الأثير ج ٨ : ١٧٥ - ١٧٦ زبدة الحلب ج ٢ :

١١٩ - ١٢٢ / المختصر ج ١ : ٢١٦ - ٢١٧ / حتى ج ٢ : ٢١٠ وما بعدها

(٣) ابن الفلاني ١٢٠ - ١٢١ ، مفرج الكروب ١ / ١٩ / النجوم الزاهرة ٥ / ١٣٢ / حتى ج ٢ : ٢١٢

١٠٩٥م وتولى حسين جناح الدولة تدبير ملكه لانه كان زوج أمه وأخذ بالتضييق على ابن تنش الآخر دقاق فتهرب بتحريره من نائب دمشق (ساوتكين) إلى دمشق وأصبح حاكمها الشرعي ، وبذلك عاد الشرق إلى بلاد الشام : الشمال بظل حكم رضوان ومركزه حلب والجنوب بظل حكم دقاق ومركزه دمشق (١) إلا أن رضوان الذي ولد وترعرع في دمشق أراد استرجاعها من أخيه ، لذلك هاجمها وحاصرها ، ولكنه أخفق في الاستيلاء عليها وذلك عام ٤٨٩هـ / ١٠٩٦م ورغم اخفاق رضوان في احتلال دمشق نجده يقوم بمحاولة عن طريق الفاطميين فقام بإعلان الدعوة للفاطميين .

أثناء الحروب الصليبية ، ونتيجة لنشاط إدارة أنطاكية ، ونظراً لما ألم بحلب من ضعف فقد غدت حمة من أملاك دمشق ، لكن ما أن تأسس حكم عماد الدين زنكي في الموصل ، ومدّ زنكي سلطانه إلى حلب حتى ركز جهوده على حمة فانتزعها من أملاك بوري بن طنتكين أتاك دمشق . وفي عام ٥٢٧هـ / ١١٣٢م مات بوري بن طنتكين صاحب دمشق فخلفه ابنه اسماعيل وفي تلك السنة ٥٢٧هـ / ١١٣٢م احتل اسماعيل حصن بانباس من الفرنج ، كما فتح حمة ثم حاصر شيزر إلا أن سلطان بن متقلد صانعه بمال حمله إليه (٢) .

وآخر قدوم الامبراطور البيزنطي حناكومنين لمحاصرة أنطاكية ، تم الاتفاق بين الامبراطور ريموند صاحب أنطاكية على أن يتسلم الامبراطور أنطاكية لقاء إعطاء ريموند إمارة تتألف من حلب وشيزر في حلب بعد أن وعده الفاطميون بمساعدته بجيش يرسل من القاهرة في سبيل احتلال دمشق ، ولكنه أفلح عن الدعوة للفاطميين أثر الخلافات التي حدثت قرب شيزر بين أمراء جيشه .

واستغل أهالي أقاليم هذا النزاع فتخلصوا من حاكمهم المعين من قبل تنش واحضروا من القاهرة بخلف بن ملاعب والياً عليهم (٣) .

وهنا بدأ في الظهور على مسرح بلاد الشام قوى الحملة الصليبية الأولى ، ووقعت معركة أنطاكية وكان لسقوطها المأساوي (٤) بأبعاده الكبيرة ، وكان من نتيجته اعتبار أنطاكية مركز انطلاق للصليبيين . وتوجه قسم منهم شرقاً عبر مناطق الثغور الإسلامية نحو الرها فاحتلتها وشكلت منها قاعدة لإحدى إمارات الصليبيين في المشرق (٥) ، بينما تابعت معظم جموع الفرنجة الزحف جنوباً وأخذت من إمارة حلب

(١) ابن القلاسي : ١٧١ وما بعدها . مفرج الكروب ج ١ : ٢١ : النجوم الزاهرة ج ٥ / ١٣٥

(٢) ابن القلاسي : ٣٨ ، الكامل ج ٨ : ٣٤٠ - ٣٤١

(٣) تاريخ شيزر ١٧٢ ، عماد الدين زنكي ١٢٠ ، تاريخ العصر الأيوبي : ٤٠ - ٤٣ ، حطين : ٦٦

(٤) المدخل ص ٢٤٥ ، الحروب الصليبية للتبجي ٥٤ - ٦١ ، تاريخ العصر الأيوبي : ٩ - ١١ و ٣٩ - ٤١ حتى

ج ٣ : ٢٢٤ وما بعدها .

(٥) الحروب الصليبية الأولى ص ١٣٠ وما بعدها ، الحروب الصليبية لسميل ص ١٦٥ ، تاريخ العصر الأيوبي

١٩ - ٢٠ ، حتى ج ٢ : ٢٢٦ ، حطين : ٥٠ ، المدخل : ٢٤٧ ، حطين : ٦٣

معظم أملاكها وهددت المدينة بذاتها ، وقد ضعف شأن رضوان فجعل من اتباع الدعوة الإسماعيلية الجديدة التي أسستها حسن الصباح حليفاً له . واستطاع بعد جهد القضاء على الثورات التي قامت بحلب نتيجة تحالفه الجديد .

واستطاع دس من يقتال حاكم حمص الأتابك جناح الدولة حسين ، إلا أن النتيجة كانت عكس ما رجاء حيث عادت حمص إلى دمشق وشجع هذا الاغتيال أتابك دمشق طغتكين على التخلص من دقاق الذي دس له السم عن طريق جارية بتحريض من أمه ، واستمر الصراع بين حلب ودمشق .
وبعداً جعلت تلك الصراعات المستمرة من حاة مركزاً أولاً للمواجهة بين قوى الشمال وقوى الجنوب وأعطت حاة أهمية كبيرة لم تستطع حمص انتزاعه ، سيما وأنها ألحقت بدمشق ، وازدادت هذه الأهمية في حاة حمص (١) . وفي عام ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م حاصر الإمبراطور شيزر وفي نفس الوقت كان زنكي يحاصر حاة إلا أنه فشل عن محاصرتها وسار لمساعدة شيزر ، وأرسل السلطان حملة لفنجال الإفرنج ، أضف إلى ذلك أن اختلاف النوايا والأهداف بين قادة الإفرنج أدى إلى إخفاقه في حصار شيزر مما أجبره على قبول عرض قدمه أمير شيزر لقاء مبالغ وهدايا فتركها وعاد لإنطاكية . وفي عام ٥٢٦ هـ .
١١٤٣ م احتالت الباطنية على أمير مصياف وكان مولد لبني منقذ فملكوا الحصن وفي عام ٥٢٩ هـ .
١١٤٦ م سقطت الرها الصليبية بيد زنكي (٢) وفي عام ١١٤٦ . توفي زنكي أثر اغتياله (٣) أثناء حصاره لقلعة جعبر قرب الفرات .

وخلفه أبنائه فحكم الموصل ابنه سيف الدين غازي وحلب ابنه نور الدين الذي أخذ يقاتل بنجاح الصليبيين وفي عام ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م هاجم نور الدين دمشق ودخلها (٤) بينما احتفظت شيزر باستقلالها حتى هزمها الزلزال عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ . عندها دخلها جماعة من الخشيشية واحتلوا قلعتها وقد هاجمهم الصليبيون وكادوا يحتلون القلعة لولا انشقاقهم وخلافهم لمن ستكون له شيزر فاضطروا للانسحاب وبعدها احتلها نور الدين وسلمها إلى أخيه بالرضاعة عبد الدين ابن الداية (٥) .

بعد هذا العرض تبقى أخبار حاة في العصر النوري نادرة وغير ذات أهمية ولعل ما جرى عرضه حتى الآن يفي بغرض إيضاح تطور مكانة حاة حتى تاريخ قيام الدولة الأيوبية ، الذي سيكون محور الحديث في الفصل التالي :

-
- (١) تاريخ شيزر ١٧٢ ، عهد الدين زنكي ١٤٢ ، حجاج ٢ : ٢٣٢
 - (٢) تاريخ شيزر ١٧٨ ، الإعلام النبئين ص ٤٧ ، تاريخ العصر الأيوبي : ٥٠ - ٥٤ ، حجاج ٢ : ٢٣٤
 - (٣) تاريخ شيزر ١٧٨ ، الإعلام والنبئين ص ٤٩ ، تاريخ العصر الأيوبي : ٥٤ - ٥٥ ، حطين : ٦٧
 - (٤) تاريخ شيزر ١٧٨ ، الحروب الصليبية للنبيني ص ١١٣ ، تاريخ العصر الأيوبي ٦٤ - ٦٨ ، حطين : ٦٨
 - (٥) تاريخ شيزر : ١٧٩ ، الإعلام والنبئين ٥١ ، تاريخ العصر الأيوبي : ٧٢ - ٨١ ، حجاج ٢ : ٢٣٥

الفصل الأول

صلاح الدين الأيوبي وقيام الدولة الأيوبية

سكنت المناطق الجبلية الواقعة في أعالي الجزيرة شمال وشمال شرقي الموصل أعداد كبيرة من القبائل الكردية التي كانت أعداد كبيرة منها تهاجر لتقطن بلدان الجزيرة وتستوطن بها مندجة مع سكانها . وصادف ذلك ضعف الخلافة العباسية وانفصال بعض أجزاء من أطرافها عنها مما شجع الأكراد للانضمام إلى عساكر الدويلات المنفصلة أو الانتماء نحو الحدود البيزنطية والإغارة عليها . وقد استطاع أحد قادة جماعة من الأكراد وهو (باز) في تأسيس دولة في ميفارفين وديار بكر في الجزيرة عرفت باسم الدولة المروانية (٣٧٢ - ٤٧٨ هـ ، ٩٨٣ - ١٠٨٥ م)

وفي القرن الحادي عشر هاجرت قبائل التركمان من منطقة ما وراء نهر جيحون إلى خراسان والعراق والجزيرة وآسيا الصغرى والشام . مما دفع أمامهم كميات من الأكراد نحو دويلات بلاد الشام والعراق والجزيرة منخرطين في جيوش هذه الدويلات ، وبالتالي سمح تنفصلهم فيها بمهدأ المسيل أمام الأكراد لورادة التركمان والحلول محلهم .

وقد نجح عماد الدين زنكي في تأسيس الدولة الأتابكية في الموصل ، ولكن نتيجة تورطه في الصراعات السلجوقية في العراق . وأثر انهزامه في العراق عام ٥٢٦ هـ / ١١٣٢ م انسحب بفلول جيشه نحو تكريت يريد جواز دجلة . وكانت قلعة تكريت يحكمها ضابط كردي اسمه نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان الذي قدم له الكثير من المساعدات في سبيل عبوره نهر دجلة . إلا أن هذه المساعدات من جهة أخرى . كانت سبباً في عزل نجم الدين أيوب عن ولاية تكريت التابعة لبغداد . فاضطر للالتجاء إلى الموصل إلى زنكي الذي أحسن استقباله وأقطعته وأسرته إقطاعات كثيرة . وانخرط أفراد الأسرة في خدمة زنكي وبرز بعد أيوب أخوه شيركوه الذي برهن على قدرات عسكرية فائقة .

بعد احتلال زنكي بعلبك عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٠ م عين أيوب والد صلاح الدين والياً عليها وأقطعته ثلثها . ولكن بعد وفاة زنكي أصبحت بعلبك من أملاك دمشق .

وفي سنة ١١٥٢ م غادر شيركوه وابن أخيه صلاح الدين الذي أصبح في الرابعة عشرة من عمره بعلبك إلى حلب ودخلا في خدمة نور الدين الشهيد وهناك أصبح شيركوه من أبرز ضباط نور الدين

وبالتالي أصبح صلاح الدين نائباً عن عمه ومرافقاً له في حله وترحاله كذلك استطاع انتزاع إعجاب نور الدين وثقته وأصبح من مرافقيه .^(١)

بدأت شهرة صلاح الدين أثر مرافقته لعمه شيركوه في الحملات التي أرسله بها نور الدين إلى مصر ، مقر الخلافة الفاطمية التي ضعف نفوذها ، وتسلط على الخلفاء قادة جندهم الذين أصبحوا هم الحكم فعلياً ، اعتباراً من بندر الجبالي الذي قام بحركة هدفتم التسلط على الخليفة والقصر عام ٤٦٧/هـ - ١٠٧٤ م وكان من نتيجة تدخله أن انقسمت الدعوة الاسماعيلية إلى شطرين نزارية ومستعلية أثر قيامه بتعيين خليفة من قبله وهو المستعلي بدلاً عن ولي المهدي نزار الابن الأكبر للمستنصر .

وبعد وفاة المستعلي حصلت بعض الاضرابات والصراعات الداخلية كان من نتائجها أن طلب بعض رجالات الصراع مساعدة الصليبيين الذين كانوا يطمحون بالسيطرة على مصر . وكان من بين الذين تحكّموا بمصر وزير اسمه شاور السعدي اصطدم بوالي الصعيد واسمه ضرغام بن ثعلبة . فهزم عما اضطر لمغادرة القاهرة إلى دمشق طلباً لمساعدة نور الدين^(٢) الذي اغتتم هذا الطلب فأرسل جيشاً إلى مصر بقيادة أسد الدين شيركوه وكان في الحملة صلاح الدين . واستطاعت هذه القوات الدخول للقاهرة وإعادة شاور للحكم . واضطرت هذه القوات للانسحاب من القاهرة بعد وصول القوات الصليبية التي استحضرها شاور تنفيذاً لاتفاق انسحاب متبادل^(٣) .

خاف نور الدين من تسلط الصليبيين على مصر فطلب موافقة الخليفة العباسي في بغداد على إرسال حملة إلى مصر . إلا أن تدخل الصليبيين اضطر الحملة للانسحاب ثانية أثر اتفاق انسحاب متبادل مع الصليبيين .

كان لوصول النجيدات الصليبية لمصر أثر في طمع أموري ملك القدس الصليبي في احتلالها . فزحف بقواته نحوها ولم يستجب لنداء شاور والخليفة الفاطمي بوقف زحفه عما اضطر للاستنجاد بنور

-
- (١) الروضتين ١ : ٨٥ - ٢٠٨٨ / ٣٢٩ - ٣٣٠ / النوادر السلطانية : ٦٠ السلوك ج ١ : ٤٠ - ٤٢ زيادة الحلب ج ٢ : ٢٥٥ . حياة صلاح الدين : ٥٦ . حطين : ٧٤ - ٧٥ . تاريخ العصر الأيوبي : ٨٣ .
(٢) الروضتين ج ١ : ٨٥ - ١٠٠ . حطين ٧٦ - ٧٧ . حياة صلاح الدين : ٦٢ ابن الأثير : ١٢١ - ١٢٢ .
مراة الزمان ج ١ : ٢٦٨ - ٢٧٠ . الباهر : ١٣٢ - ١٣٤ . الكامل : ٩ : ٨١ . الكواكب الدرية : ١٦٤ / ابن خلدون ج ٥ : ٢٤٦ . منا البرق الشامي ج ١ : ٦٢ - ٦٥ .
النوادر السلطانية : ١١٧ . الحروب الصليبية للتيمي : ١١٧ . شفاء القلوب : ٢٥ - ٤٦ . نور الدين (المؤنس) : ٨٩ -

٢٩٧

تاريخ العصر الأيوبي : ٧٢ - ٨١

- (٣) النوادر السلطانية ٢٣ . منا البرق الشامي : ٦٠ - ٦١ . الباهر ١٢٢ . الروضتين ١ : ١٢٩ - ١٣٢ .
متخبات : ٢٠٧ . تاريخ ابن أبي الدم : ١٥١ . ظهر . الكامل ٩ : ٨٤ . الكواكب الدرية : ١٦٤ -
١٧٠ ابن خلدون ج ٥ : ٢٤٧ و ٢٧٩ | شفاء القلوب : ٢٥ - ٤٦ .

حطين : ٧٩ - ٨٠ . حياة صلاح الدين ٨٤ - ٨٦ . الحروب الصليبية للتيمي : ١١٩ - ١٢٠

الدين الذي أرسل أسد الدين شيركوه للمرة الثالثة ، إلا أنه في هذه المرة تغلص من شاور واستلم الوزارة بدلاً منه وأخذ يرتب شؤون مصر ولكنه توفي في ٢٢ جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسة (١١٦٩/٣/٢٣ م) ففوض العاضد الوزارة الى صلاح الدين الذي كان يعتبره نور الدين نائباً عنه في مصر^(١).

وكان الجيش الشامي في مصر يتألف من مجموعتين ، واحدة عرفت باسم الأسدية والثانية بالنورية ، وهم من جماعة نور الدين ورفض هؤلاء وصول صلاح الدين الى السلطة في مصر وحدثت بين الفريقين بعض الصدامات كان النصر فيها لصلاح الدين الذي استطاع ضبط أمورهم وضبط أمور القصر مما قاده للعصام مع القوات السودانية في الجيش الفاطمي ، وتمكن من نفيهم من القاهرة وبذلك صفت له الأمور . وكان لانتصار صلاح الدين أيضاً على الصليبيين في حصار دمياط الأثر الأكبر في توطيد حكمه في مصر وتقوية نزعة الاستقلالية فيها ، ولم يكن من عشرة أمامه سوى نور الدين . ونخباً للمستقبل أرسل صلاح الدين حملة الى اليمن واحتلها وضمها لسلطته . وبعد تمكنه من الموقف في مصر قام بإلغاء الخلافة الفاطمية بأن أمر الخطباء في أول جمعة من محرم سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م بقطع الخطبة للخليفة الفاطمي واستبدالها للخليفة العباسي ، ثم اتبع هذه الخطوة بسيطرته على مقر الخلافة في القاهرة وبيع موجوداته وذلك بعد وفاة الخليفة الفاطمي العاضد .

قام صلاح الدين بتجهيز الجيوش من أموال مصر مما خفض نسبة الأموال التي كان عليه إرسالها إلى نور الدين ، الأمر الذي خلق جواً متوتراً بين الطرفين بلغ ذروته عام ٦٨ هـ / ١١٧٢ م عندما قرر نور الدين القيام بحملة حاسمة ضد فرجة الشام ، وأرسل الى صلاح الدين للاشتراك بالحملة والنزول على الكرك وعاصرتها ليقوم هو أيضاً بالتحرك إلى الكرك والاجتماع به هناك ولكن أصحاب صلاح الدين خوفوه من الاجتماع بنور الدين فأرسل إليه معتذراً عن الوصول إليه بسبب اختلال وضع مصر وخوفه من البعد عنها . فلم يقبل نور الدين عذره وأراد تجريد حملة الى مصر لإخراجه منها . فبلغ الخبر صلاح الدين الذي أرسل رسالة اعتذار مع هدية كبيرة مما أسكن غضب نور الدين ولكنه ظل وفي نيته إخراج صلاح الدين من مصر إلا أن النية لم تمهله لتحقيق مراده إذ توفي يوم الأربعاء الحادي عشر من شوال عام ٥٦٩ هـ / ١١٧٤/٥/١٥ م^(٢).

- (١) النوادر السلطانية : ٢٥ - ٢٦ ، حيلة صلاح الدين : ٩٢ - ٩٥ ، الروضتين ج ١ : ١٥٧ ، حطين : ٨٧ ، تاريخ العصر الأيوبي : ٧٨ - ٨١ ، تاريخ ابن أبي الدم : ظهر ، ١٥٣ ، الكامل : ٨٥ ، الكواكب الدرية : ١٧٤ - ١٩٥ ، ابن خلدون ج ٥ : ٢٤٧ و ٢٨٢ ،
- (٢) سنا البرق الشامي ج ١ : ٧٧ - ١١٥ ، النوادر السلطانية : ٤١ - ٤٥ ، الروضتين ج ١ : ٢٧٨ - ٢٠٣ ، الباهر ، ١٤٣ - ١٥٩ مرة الزمان ج ١ : ٢٧٩ - ٢٩٥ ، النجوم الزاهرة ج ٦ : ١٦ - ٢٤ ، تاريخ العصر الأيوبي : ٩٧ - ١٠٨ ،
- الكواكب الدرية : ١٩٥ - ٢٣٠ ، ابن خلدون ج ٥ : ٢٤٩ - ٢٥٣ و ٢٨٤ - ٢٨٥ ، حطير : ٨٧ - ٩٧

(أموري) وخلفه ابنه الصغير بلدوين (الأبرص) .
 طلب شمس الدين والي حلب الى الملك الصالح أن يقادر دمشق إليه . وأرسل في ذلك سعد
 الدين كمشكين فردّه أهل دمشق . ولكنه عاد ثانية ورحل معه الملك الصالح ، ولما وصل الى حلب قام
 كمشكين فآلفي القبض على ابن الداية وأولاده وغيرهم من الأمراء وأودعهم السجن وانحاز للأفرنج
 ليتفوق بهم .
 من الأمراء في دمشق على أنفسهم فراسلوا سيف

بعد حركة كمشكين خاف ابن المقدم ومن معه من الأمراء في دمشق على أنفسهم فراسلوا سيف الدولة صاحب الموصل الذي خاف أن يكون في الأمر خديعة فقام بمصالحة ابن عمه الملك الصالح الذي أقره على ما بيده ، مما ضيق على أمراء الشام الذين راسلوا صلاح الدين طالبين منه الحضور لينقذهم . فقام صلاح الدين متهماً تلك الفرصة ودخل دمشق بعد أن راسل الخليفة العباسي في بغداد ليسوق دخوله دمشق تحت سمعه وبصره ليحرر القدس والأراضي المقدسة ، وبعد استراحة عمل في دمشق توجه الى حمص فملكها ، وتركها وقد حاصر قلعتها وسافر منها الى حماة ، وكان الوالي عليها الأمير عز الدين جورديك ، وبعد تردد سلم الوالي المدينة وذهب رسولاً عن صلاح الدين لحلب - إلا أن كمشكين أودعه السجن مما جعل صلاح الدين يتوجه الى حلب حيث حاصرها فقام كمشكين بمراسلة الحشيشية ورئيس طائفتهم شيخ جبل واشد الدين سنان ، وحاول بعض عناصر الحشيشية اغتيال صلاح الدين ولكن لم تنجح المحاولة . لذلك عمد كمشكين للافرنج والى ريموند الثالث أمير طرابلس الذي كان

- ۲۶ -

منذ أيام نور الدين لديه ، وكان قد أطلقه عند قيامه بأمر حلب طالباً منه إنجاده . فقام ريموند وهو على بلدوين الرابع ملك القدس بالتوجه الى حمص ، مما اضطر صلاح الدين الى فك الحصار عن والتوجه إليهم . إلا أنهم عاودوا من حيث أتوا ففسر صلاح الدين الى دمشق واستولى في طريقه على

بعد أن أعيت الحيلة الملك الصالح راسل سيف الدين غازي صاحب الموصل الذي جند الجنود م الى جيش حلب وقصدوا صلاح الدين الذي حاول مصالحتهم ، إلا أن رفضهم للصلح أجبر ح الدين على قتالهم قرب حماة وكان النصر له وتبع فلولهم الى حلب وحاصروهم فيها ، بينما عاد سيف ن الى الموصل وجند الجنود وتقابل جنده مع جند صلاح الدين ، فكان النصر لصلاح الدين بينما انضم سيف الدين وفلوله عسكريه لحلب . ثم تابع صلاح الدين تقدمه نحو حلب فاحتل بزاعة ومنبج وأعزاز فشد الحصار على حلب ، وحاولت بعض عناصر الخشيشية اغتيال صلاح الدين أثناء حصاره حلب في مرة الثانية وأخفقت المحاولة . مما أجبر الملك الصالح بعد تردد أن يصالح صلاح الدين على أن يبقى بيد صلاح الدين ما افتتح من بلاد وأن يبقى الملك الصالح بحلب التي لم يكن له فيها سوى المدينة وما حولها .

فقتل صلاح الدين راجعاً الى دمشق وبعد وصوله إليها وصلت إليه خلع الخليفة وأمر الولاية من قبله على مصر والشام واعتراف الخليفة به سلطاناً ، عندها قطع اسم الملك الصالح من الخطبة وصريت النقود في القاهرة باسمه بدلاً من الملك الصالح . وبعد ذلك توجه صلاح الدين لمعاينة الخشيشية في جبال الدعوة فغرب بعض القرى وحاصر قلعة رئيسهم شيخ الجبل سنان في مصياف ، وضيق الحصار عليها حتى أرسل سنان الى خال السلطان شهاب الدين الحارمي صاحب حماة ليتوسط في التسليم فقام بذلك على أن يكفل شهاب الدين رجال الخشيشية . عندها فك صلاح الدين حصاره وعاد لدمشق حيث اجتمع بأخيه توران شاه والي اليمن ثم توجه الى مصر (٣) .

(١) حياة صلاح الدين : ١٢٦ - ١٣١ . الحروب الصليبية للتبسي : ١٤٢ - ١٤٣ . الروضتين : ٢٣٨ - ٢٤٠ .
النوادر السلطانية : ٣٢ ، منتخبات : ٢١٩ ، تاريخ العصر الأيوبي : ١١٣ - ١١٩ الكامل ٩ : ١٣١ ابن خلدون ج ٥ : ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٩١ .
١٤١ - ١٤١٠

(٢) حياة صلاح الدين : ١٣١ - ١٣٦ . الحروب الصليبية للتبسي : ١٤٣ - ١٤٥ . النوادر منتخبات : ٢٢٠ - ٢٢٢ .
٢٢٢ تاريخ العصر الأيوبي : ١١٩ - ١٢٧ .
تاريخ ابن أبي الدم : ١٥٥ ظهر - ١٥٦ وجه . الكامل ٩ : ١٣٩ .
ابن خلدون ج ٥ : ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٩١ .
Saladin 141-145

١ - انتقال حماة للأيوبيين :

في عام ١١٥٤ م / ٥٤٧ هـ أخذ نور الدين حماه وقد ولى عليها الأمير عز الدين جورديك . وعندما هاجم صلاح الدين حماة تردد واليها عز الدين في تسليمها وهو أحد أولئك الذين كانوا مع في الحملة الثالث على مصر ولم يشأ أن يخدم تحت أمرته إلا أن صلاح الدين بين له أنه إنما جاء ليحفظ البلاد من الأفرنج ويسترد ما استول عليه صاحب الموصل من أملاك مولاها نور الدين وأنه في طاعة الملك الصالح . فسلمه المدينة مستخلفاً على قلعتها أخاه ، ثم قبل أن يكون رسول صلاح الدين إلى كمشكين في حلب حماه وتوجه إلى حلب (١) . بعد أن عين حاكماً عليها علي بن أبي الفوارس نائباً عنه ، وقام بحصار حلب . وفي مستهل رجب قرك حصار حلب وعاد إلى حماه إذ علم أن الأفرنج قد نزلوا على حمص ووصل حماه ثامن رجب وبعد اجتماع قوات الملك الصالح وعمه سيف الدين غازي صاحب الموصل أرسل صلاح الدين بترك حمص وحماة على أن تبقى بيده دمشق وأن يكون فيها نائباً للملك الصالح ، ولما لم يستجيبوا لطلباته وساروا إلى قتاله . وقعت المعركة عند قرني حماة (٢) وكانت الغلبة لصلاح الدين الذي لاحق جيوش خصومه المتفرقة باتجاه الموصل وعند وصوله حلب حاصرها ولما طلبت الصلح أجابها إليه ثم عاد إلى حماه وكان منذ مطلع شهر شوال قد ولى حماه خاله شهاب الدين محمود بن تكش الحارمي (٣)

٢ - نظام الإقطاع في المملكة الأيوبية :

اعتمدت السلطنة الأيوبية نظام الإقطاع العسكري كنظام يشمل سائر أنحاء الدولة الأيوبية وهو نظام كان قد استقر منذ عهد الدولة السلجوقية واعتمدته الدولة النورية (زمن نور الدين) ويجري في هذا النظام إقطاع كل مدينة (أو ولاية) لوال أو أمير من الأمراء الذين يثق بهم السلطان أو الملك وهذه الفئة قد تكون ممنوحة لشخص من أفراد الأسرة قربت قرابته أو بعدت أو من المخلصين للحكم أو من الأصدقاء الأعزاء ، والوالي عليه تقع مسؤولية تولي شؤون المدينة أو الولاية بكامل نواحيها السياسية والعسكرية والإدارية .

(١) حياة صلاح الدين : ١٢٩ ، التوادر السلطانية ٢٢٠
منا البرق الشامي ج ١ : ١٨٦ - ١٩٢ ، تاريخ ابن أبي الدم : ١٥٥ ، ظهر ، ابن خلدون ج ١ : ٢٥٦

Saladin: 142-143

(٢) يبرقان الآن باسم جبل زين العابدين وجبل كفراع إلى الشمال من المدينة على طرف الطريق الذي يسيل حماه بحلب

(٣) تاريخ ابن أبي الدم : ١٥٦ ، وجه . ابن خلدون ج ٥ : ٢٥٧ و ٢٩٨ - ٢٩٢

المصادر السابقة

والوالي تابع للسلطان وهونائب عنه في ولايته أو مدينته والى السلطان يعود تصريف الأمور الكبرى القضايا الاستراتيجية المهمة المصرية . وله قيادة الشؤون السياسية العامة والشؤون العسكرية خصوصاً ما يتعلق منها بسلامة المملكة ، سواء من أعدائها الداخليين أم من جهة الصليبيين وكان هذا النظام يعتبر من أفضل الأنظمة في تلك العصور . وسندرس هذا النظام تفصيلاً عند دراستنا للحياة الإدارية في حماه . وقد كان صلاح الدين يعتمد أساساً في تمركزه على القاهرة مع أن لدمشق أهمية خاصة فهي العاصمة الثانية وهي العاصمة الحربية لقربها واستراتيجية موقعها بالنسبة للصليبيين ومراقبتهم . وكان صلاح الدين أميل لتعيين الولاة من أهله وأقربائه المخلصين له تحسباً لما قد يتبع عن تعيين الغرباء . الذين لا بد أن يتهمزوا أية بارقة ضعف في الدولة لينفردوا أو ليزيدوا ما تحت أيديهم من أراضي وقطاعات .

وكان هذا النظام يستند على أساس الوراثة في تولية الإقطاعات ، إذ بعد وفاة الوالي يختار السلطان بالذات خلفاً له أو والياً بدلاً عنه ويقوم بتعيينه بصرف النظر عن قرابته أو صلته بالوالي المتوفى . فالوالي يخضع تماماً للسلطة المركزية التي هي بيد السلطان صلاح الدين .

٣ - موقع حماه من المملكة الأيوبية :

رأينا فيما مضى مكانة حماه وأهمية موقعها في بلاد الشام تلك الأهمية التي اكتسبتها لكونها ضمن حلقة صراع شمال بلاد الشام مع جنوبها ، وكونها ضمن إطار الصراعات القبلية بين كلاب وما والاها وكنب وما والاها . وقد برزت أهمية حماه أكثر خلال الحروب الصليبية . إذ كانت نقطة متقدمة للدفاع بين الشرق العربي والغرب الصليبي .

كما كان لموقعها على طرف بادية الشام تأثير كبير ناتج عن صلاتها مع البدو وعلاقاتهم بها . إذ هي من أهم نقاط احتكاكهم بالحضر وعلى طريق قوافلهم وفي وجه غزواتهم وعطية في حلهم وترحالهم وهجرتهم واستقرارهم . أما في عهد صلاح الدين فقد تقوى مركز حماه وتفوق على مركز شيزر الذي استقطب قيادة وأهمية المنطقة لفترة من الزمن ، فحماة كانت تعني لصلاح الدين الكثير فهي مركز رصد لأعدائه جميعاً وهي نقطة متقدمة ورأس حربة في الصراع الدائر في المنطقة .

ففي الشمال تركز الملك الصالح وسعد الدين كمشكين وكلاهما كان من أكبر وألد أعداء صلاح الدين وأكثر الوقائع التي تمت فيها بينها كانت دائماً تبدأ من حماه وتنتهي شمالاً أو شمال شرق حماه وكان لحماية النصب الأكبر في تلك المعارك والغزوات وذلك الصراع المحموم وكان الملك الصالح ومن والاه يتحين الفرصة تلو الفرصة للانقضاض على حماه واستخلاصها من يد صلاح الدين ، أما في الشرق فكان البدو وكان وراء البدو صاحب الموصل حليف الملك الصالح وابن عمه وعدو صلاح الدين وكان دائم الاشتراك في الحروب مع الملك الصالح ضد صلاح الدين .^(١)

(١) المصادر السابقة

أما بالنسبة للصليبيين فقد كانت حماة نقطة ضغط حساسة على صلاح الدين فمنها يمكن تحريك النزاع بين الشمال والجنوب، ومنها يمكن الضغط على صلاح الدين لفك أي حصار في أي موقع آخر وقد رأينا تنفيذ هذه الاستراتيجية عند الصليبيين مراراً ، فحماة بالنسبة إليهم قرية جداً ، وهي بعيدة جداً عن صلاح الدين وقيادته ، وإن وصولهم لحماة أسرع بكثير من وصول نجدات صلاح الدين إليها ، لذلك اكتسبت حماة مركزاً دفاعياً خاصاً ، وكان لواليتها صلاحيات خاصة في هذا الخصوص . ولهذا فإن صلاح الدين بعد أن عين عليها علياً بن أبي الفوارس ، وبعد حوادثه في تلك الفترة مع الملك الصالح وصاحب الموصل والصليبيين ولى عليها خاله شهاب الدين لمركز خاله عنده ولوثوقه المطلق به . أما الحشيشية فقد كانت من أهم الأخطار التي تواجه حماة . فعلاقة الحشيشية بصلاح الدين كانت سيئة بالأساس . وتحالفهم تارة مع الافرنج وأخرى مع الملك الصالح كان خطيراً بالنسبة له وقربهم من حماة كان سبباً لدخول أفراد ومقاتلي وفدائيي الحشيشية الى مملكة صلاح الدين وكان ضغطهم يسبب أذى كبيراً له ويضطره المرة تلو المرة أن يغير من استراتيجيته أو أن يفك حصاره في سبيل عدم السماح لاختراق حماة من أي جهة خارجية عن حكمه ومملكته .^(١)

٤ - حدود حماة وما فيها :

كما سلفت الإشارة تقع حماة في منتهى المنخفض السوري الافريقي ويقع في نهرها جبال عالية كثيرة المياه هي سلسلة جبال بهراء وفي الغرب حفرة طبيعية عميقة والى الشرق الاراضي الصحراوية والى الجنوب من حماة (١٥ كم) جبل معرين الذي يصل ارتفاعه ٦٩٤ م وفي شمال حماة (٧ كم) جبل يعرف باسم قرني حماة (جبل زين العابدين وكفرناح حالياً)

وفي منطقة حماة ممرات طبيعية ذات استراتيجية عسكرية ، ففي الجهة الشمالية الجنوبية نجد الحفرة الانهدامية الطولانية التي تمتد من جبال طوروس حتى البحر الميت وهي ليست ذات ارتفاع متساو فهي تنخفض في منطقة حماة عند الغاب ويجرى نهر العاصي كما أنه يعترضها بعض المنطوط العرضانية المصحوبة بالاراضي البركانية في جهات الغرب وهناك منحد شيزر الذي يصل حماة من شمالها ويتصل بسهل حمير المتصل بسهل البقاع وهناك سهل الغاب القليل الانحدار يمر به نهر العاصي ببطله حتى ان ميله لا يريه عن المتر الواحد على مسافة طولها ٦٠ كم^(٢)

وعبر هذه الممرات فإن هناك شبكة مواصلات هامة قديمة وحديثة ، تربط حماة مع الجبال وباتجاه طرطوس

(١) جغرافية حماة : ١ - ٣ ، انظر الخريطة رقم (١) من كتاب الحروب الصليبية . ص ١٥٠ ، حماة الدين

زنكي خارطة رقم (٢) ١٣٤
العمران العدد الخاص بمحمدة

ومن حماه باتجاه الشمال سواء عبر الغاب أو عبر الطريق الصحراوي الشمالي . وهناك طرق تؤدي إلى طرابلس وبعليبك . أما في الجنوب باتجاه حمص والبادية كذلك في الشرق باتجاه البادية و سلمية ، إن هذه الطرق التي تعتمد على ممرات طبيعية كانت أساساً للاستراتيجية العسكرية لحماية . وكانت طرقاً للفرزات التي وصلت إليها من كافة الجهات عبر التاريخ وخصوصاً في فترة الحروب الصليبية . أما حدود حماه في العصر الايوبي فكانت تمتد جنوباً حتى الرستن ومن الغرب إلى أول حدود مصياف ومن الشرق حتى حدود الصحراء وتضم السلمية . أما في الشمال فقد كانت تصل إلى حدود شيزر . ولم تكن هذه الحدود مستقرة تماماً فهي تعلقت بقوة حماه والظالمين فيها فقد كانت تتوسع بحدودها في جهة أو أكثر أو إن جوارها من حشيشية أو صليبيين أو حليين أو سواهم يوسعون أملاكهم على حسابها . .

أما المدينة بعد ذاتها فهي تقع ضمن منخفض طبيعي كما قلنا وكانت منفصلة عن القلعة الواقعة على تل إلى الشرق من المدينة وامتدت حدود المدينة الشمالية إلى العاسي .
وأهم ما يجب أن نبحث في هذا المضمار هو سور المدينة وقلعتها وهما أساس دفاع حماه وأساس بقائها في تلك الفترة .

وكان موقع مدينة حماه منذ العصور السحيقة في التاريخ هو موضع قلعتها الآن التي جرت تنقيبات فيها اعتباراً من عام ١٩٣٢ حتى ١٩٣٨ وجدت فيها (١٣) سوية ، وأقدم المكتشفات الأثرية التي عثر عليها تعود إلى الألف الخامس قبل الميلاد . وتبين وجود تجمعات سكانية زراعية أسست النواة الأولى لما سيصبح في المستقبل مدينة حماه (١) وقد تطورت هذه النواة في الألف الرابعة قبل الميلاد وبدى في انشاء أول سور لها اعتباراً من الألف الثالث ق.م .

وفي العصر الآرامي كانت قلعتها حصينة جداً تجاه الخطر الآشوري ، ولا زالت بعض آثار هذه الفترة في بقايا قلعة حماه (المدخل الرئيسي للقلعة) وظلت هذه القلعة تتمتع بأهميتها ، لكن يبدو أنها أهملت في العصور الإسلامية حتى اشتد الصراع على الشام وعلى حماه ، ثم كان أن تعرضت لزلزال شديدة هدمتها وفي الفترة التي نبحث عنها أعاد نور الدين بناء معظم أبنيتها بعد الزلزلة الكبرى التي حدثت عام ٥٥٢هـ / ١١٥٧م كذلك رمم أسوارها وقلعتها .

وقد وصف المدينة ياقوت الحموي المتوفى عام ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م .

وبين أن فيها (في عصره) المدينة المسورة والتي تسمى السوق الأعلى (حالياً ما زال اسمها المدينة) وأن في ظاهر السور حاضراً كبيراً جداً (أي غير مسور) ، يسمى السوق الأسفل لأنه منحط عن المدينة وفي طرف المدينة قلعة عظيمة عجيبة في حصنها وانفاذ عمارتها وجفر خندقها نحو مائة ذراع وأكثرها للسلت المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب . ويقول أيضاً إنها مدينة قديمة جاهلية إلا أنها لم تكن مثل ما هي اليوم من العظم بسلطان مفرد بل كانت من عمل حمص .

(١) العمران العدد الخامس بحماة ص ١١٦ مقال المفتي

إذا بقيت حماة ضمن السور ويحدها شمالاً العاصي زمن ياقوت الحموي مع أنه في زمن الأخير ظهر الحاضر إلا أنه لم يكن مسوراً . وأن سور حماة وقلعتها كانت ملفنة للانتظار كما كانت نواحيها ملفنة للانتظار^(١) . أما ابن النديم في كتابه بغية الطلب فيقول في وصف مدينة حماة يشعر أن الحاضر أصبح مسوراً قبل وفاته أي قبل عام ٦٦٠ هـ وهي مديتان والقلعة بينهما وعلى كل مدينة منها سور وفيها سوق . والمدينة الغربية تعرف بسوق الأعلى والمدينة الشرقية تعرف بسوق الأسفل ولكل واحدة منهما مسجد جامع تقام فيه الخطبة ونهر الأرنط (العاصي) يحف بدور المديتين ولم تكن قلعتها بالحصينة ولا المختارة وخربتها الزلزلة سنة اثنتين وخمسين وخمسة وكانت زلزلة عظيمة هائلة ولما ملكها تقي الدين عرابين أخي السلطان الملك الناصر حصنها وقواها ، وجاء بعده ولده الملك المنصور محمد بن عمر فجدد أسوار القلعة وبنائها وشيدها وعلاها فصارت من أحسن القلاع وأبهاها .^(٢)



(١) معجم البلدان : مادة حمة ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر : ٢٨٠ - ٢٨١

(٢) مخطوطة بغية الطلب لابن النديم من مخطوطة أيا صوفيا ٤٨ وجه ٤٨ ظهر تاريخ ابن أبي الدم : ١٥٣ ظهر ، ابن خلدون ج ٥ : ٢٥٩ - ٢٦٠

الفصل الثاني

حماة من التبعية إلى الاستقلال

سلف الذكر أنه كان لحماة موقع خاص ومكانة متميزة في الصراع الذي دار في بلاد الشام ، لذلك فإن صلاح الدين قد أولاها عناية خاصة فولى عليها أولاً علي بن أبي الفوارس ، وفي عهد هذا الوالي تمت معركة قرون حماة بين صلاح الدين من جهة وقوات اتابك حلب والموصل من جهة ثانية وكانت الغلبة لصلاح الدين الذي تتبع آثارهم حتى حلب :

بعد عودة صلاح الدين عن حلب ذهب إلى بعلبك واحتلها ، ثم عاد إلى حمص ونزل بها فوجد الاتابكة ، وقد اتجهوا نحو حماة وأخذوا في حصارها ، واتصل بالسلطان ذلك فرحل عن بعلبك إلى حمص ، وبلغ الاتابكة فعادوا عن حماة ونزلوا قريباً من جبات التركمان إلى جهة العاصي ووضع الاتابكة أوزار القتال وسألوا والي حماة مكتبة السلطان ، فيما يبيع الكلمة ويلس شعث الفرقة فكتب ابن أبي الفوارس بذلك إلى السلطان وحسن له الصلح وتلطف في ذلك غاية التلطف ، وقدم أبو صالح ابن المعجمي وسعد الدين كمشتكين لطلب الصلح فأجابها السلطان إلى ما أرادا ، وتقرر الأمر على أنه يرد إلى الاتابكة جميع الحصون والبلاد الشمالية ويقنع بدمشق وحدها ، ويكون نائباً للسلطان الصالح اسماعيل ابن نورالدين فلما عاين سعد الدين أجابه السلطان إلى الصلح والتزول عن جميع الحصون التي أخذها : حمص وحماة وبعلبك ، طمع في جانب السلطان وتجاوز الحد في الاقتراح ، وطلب الرحبة وأغنامها فقال : هي لابن عمي ولا سبيل إلى أخذها ، فقام سعد الدين من بين يديه نافراً وكان ذلك برأي أبي صالح بن المعجمي لأنه كان معه ، فاجتهد السلطان به أن يرجع ، فلم يفعل وخرج إلى عز الدين محمود وكان ما يزال نازلاً على حماة وحده ما دار بينه وبين السلطان وهون عليه أبو صالح أمر السلطان وأخبره بقله من معه وكان السلطان لما كوتب في أمر الصلح سار في خوف من أصحابه . " وقد علم أعداؤه بالامر ووصل صلاح الدين مع قواته القليلة حتى قرون حماة وهناك تجمعت جيوش الطرفين وكان واضحاً قوة خصوم صلاح الدين مما فرض على صلاح الدين أن يتخذ موقف التمرير وتأخير القتال على أمل وصول ما طلب من قوات من مصر ودمشق إلا أن الخصوم ادركوا ذلك فسارعوا للاشتباك مع عساكر صلاح الدين

(١) الروضتين ج ١ : ٢٤٩ - ٢٥٠ تاريخ ابن أبي الدم : ١٥٣ شهر

ابن خلدون ج ٥ : ٢٦٠

من شكلوا كردوساً واحداً وأخذوا يدافعون هنا وهناك . وحاول السلطان استئالة بعض قوات الموصل
 من تردوا، وفي غمرة القتال وصل تقي الدين عمر في عسكر وجماعة من الأمراء وهم غير عائلين
 سرقة فاشتبكوا لتوهم مما أضعف قوات الجيوش فانهزموا وتابع صلاح الدين فلوهم حتى مرج
 احصار، غير بعيد عن حلب وهناك عيد الفطر وجاءته رسل الملك الصالح يسألونه المهادنة على أن
 ر الملك الصالح على ما في يده إلى حماة فلم يقبل السلطان فجمعوا له مع حماة المعرة وكثر طاب فرضي
 ملك، واتجه نحو دمشق وعند وصوله حماة. وصلته رسل الخليفة المستنصر ومعه أسر الخليفة
 لسلطنة بيلاد مصر والشام لصلاح الدين ثم تسلم السلطان حصن بمرين الذي كان بيد فخر الدين
 سعود ابن الزعفراني وأحدث تبديلاً في إدارة حماة حيث أقطعها لحاله شهاب الدين محمود الحارمي .
 إنعم بخص من على ابن عمه ناصر الدين وعاد إلى دمشق عن طريق حمص ثم بعليك ثم البقاع .

ولاية شهاب الدين الحارمي : محمود بن تكش خال صلاح الدين .

تسلم حماة والياً من السلطان صلاح الدين في أواخر شوال في عام ٥٧١هـ / وهو من رافق صلاح
 الدين في رحلته الثالثة إلى مصر أثناء حياة أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين وبقي معه في مصر وبعد وفاة
 أسد الدين سأل العاضد أصحابه من عسكر أسد الدين عن يصلح للوزارة فأشير إليه بشهاب الدين
 محمود بن تكش فأحضر لتوليها ، إلا أنه اعتذر عن ذلك قائلاً بأن ابن اخته صلاح الدين هو الجدير بها .
 ولكن بنفس الوقت عارض تولي صلاح الدين مصر وانفراجه بها دون نور الدين ، كذلك عارض
 زحف صلاح الدين إلى الشام بعد وفاة نور الدين (٢) .
 إلا أنه كان هناك من يقنعه بالقبول إذ باستلام صلاح الدين تقوية لمركز شهاب الدين ، وبذلك
 تكون له الكلمة العليا وعليه بقي شهاب الدين محمود مرافقاً لصلاح الدين في كافة حروبه وتنقلاته حتى
 تولى امر حماة .

وادرک شهاب أهمية حماة لذلك أخذ في تنظيم أعمالها وتقوية شو ونها ، وكان يدرك أن الخطر يحيط
 به من كل جانب ، وأن أي إهمال يمكن أن يؤدي إلى الضياع والهلاك فالملك الصالح في الشمال ليربهر
 بحماة وبالسلطان صلاح الدين . والحشيشية في الغرب تحين الفرص للانتقام من صلاح الدين .
 والصليبيون يتابعون رصدتهم ويتنظرون فرصة للهجوم وهم دائسوا الاستعداد له . وصاحب الموصل

(١) الروضتين : ٢٥١ . حياة صلاح الدين ١٣٤ . تاريخ ابن أبي الدم : ١٥٣ طهر ابن خلدون ج ٥ : ٢٦١

(٢) تاريخ ابن أبي الدم : ١٥٣ ط . حياة صلاح الدين : ١٣٤

بيد القريب يترقب أيضاً الفرصة المناسبة للانقضاض ، لذلك نجد سياسة الوالي في حاة اتخذت دوراً
 أعياً رزينا . فهي مركز الانطلاق والتصدي وقد تبين ذلك بوضوح . فحينما علم صاحب المرسل
 صلاح الملك الصالح مع صلاح الدين حمله على نقضه واثقه بأيمان جديدة وأرسل رسولا إلى دمشق ليقابل
 صلاح الدين فيكشف ما عنده ويأخذ عهده للموصل ، ولكن الرسول أخطأ بإيصال رأي صاحب
 الموصل فأعطاه بدلاً عنه صورة يمين الحلبيين واتفاقهم مع الموصل ضد صلاح الدين ، فانكشفت الخدعة
 صلاح الدين (١) فأرسل من فورهِ إلى نائبه مصر ليجتمع العساكر وللخروج منها في شعبان . وتوجه
 صلاح الدين إلى حماة وجاوزها إلى قرون حماة ووصلت جريدة من قواته إلى أطراف حلب وفي بكرة
 الخميس العاشر من شوال جرت المعركة وكان النصر حليف صلاح الدين وتفرق خصومه لا يلوون على
 شيء واتجهوا نحو حلب ومن هناك تابع صاحب الموصل سيف الدين غازي سيره نحو الفرات بعد أن أخذ
 من حلب خزائنه . وتصور الملك الصالح اسماعيل أن صلاح الدين في أثره لذلك أغلق ابواب مدينة
 حلب وأخذ بالاستعداد للحصار القادم .

تسلم صلاح الدين معسكر الملك الصالح وسيف الدين صاحب الموصل . وأسر بعض المتقدمين
 والامراء وأرسلهم إلى حماة وراعه ما شاهده في معسكر الخصوم من «مغنيات وجواري وحفايا وطيور
 مختلفة في الأقداس» . فأرسل الطيور بأقفاصها إلى سيف الدين يقول له «عد إلى اللعب بهذه الطيور فإن
 الزمن مقاساة الحرب» . ثم رد الامراء الذين أرسلهم إلى حماة وخلع عليهم وأرسلهم إلى حلب . ثم
 توجه إلى حلب وحاصرها ورأى أن يحصن ما حولها ليضعف مركزها فافتتح منبج ثم توجه إلى اعزاز
 وليقطع بين الحلبيين والفرنج ، وقد افتتحها بعد حصار دام ثمانية وثلاثين يوماً (٢) .

وثناء حصار اعزاز هاجمت الخشيشية ببعض من رجالها صلاح الدين في محاولة لاغتياله واخفقت
 محاولة الاغتيال فبعد فتح (اعزاز) توجه صلاح الدين إلى حلب وحاصرها وكان كمشكين في حارم وقد
 راعه أن يكون خارج حلب فيتفق الملك الصالح مع صلاح الدين فلا يكون له من الأمر شيء .

فراسل صلاح الدين طالباً تسهيل عودته إلى حلب فسياناً لتنفيذ رغباته ، (صلاح الدين) كما راسل
 الملك الصالح قائلاً بأنه راسل صلاح الدين وأنه لا يستطيع البوح بما عنده إلا بعد دخوله مدينة حلب .
 وبعد مفاوضات وأرسال وهائن لصلاح الدين دخل كمشكين حلب وأدرك صلاح الدين فيما بعد لعبة
 كمشكين فشدد الحصار بما أجبر الملك الصالح على أن يلجأ في طلب السلاح فوافق صلاح الدين وأرسل

(١) الروضتين ج ١ / ٢٥٨ - ٢٥٩

خطط الشام ج ٢ : ٥١ الاسماعيليون والدولة الاسماعيلية ميشيل لباد : ٩٤ - ١٠٣
 منا البرق الشامي ج ١ : ٢١٨ - ٢١٩ ، الدعوة الاسماعيلية مصطفى غالب : ٢١١

(٢) الروضتين ج ١ / ٢٥٩ - ٢٦٠ / تاريخ ابن أبي الدم : ١٥٥ ظ / الكامل ٩ : ١٣٩
 منا البرق الشامي ج ١ : ٢١٤ - ٢١٨

الملك الصالح أخته (الخاتون) ابنة نور الدين وكانت صغيرة السن فطلبت منه اعزاز فرهبها إياها . وتم الاتفاق أن يأخذ صلاح الدين من حماة إلى مصر وشمل الصلح الحلبين والمراصلة . ثم توجه صلاح الدين إلى مصياف قاصداً الانتقام من الحشيشية^(١) : وحاصر قلعتها ونصب عليها المجانيق الكبار وأوسعهم قتلاً وتخريباً . مما اضطر سنان صاحب مصياف لمراسلة خال صلاح الدين صاحب حماة شهاب الدين محمود في الصلح لأنه من جيرانه. وقد جاءت تفسيرات كثيرة لتدخل شهاب الدين في طلب الصلح ولقبول صلاح الدين فمن قائل أن سنان هدد شهاب الدين باغتيال أسرة صلاح الدين بكاملها ومهاجمة حماة ، ومن قائل أن شهاب الدين مكفل بإيقاف نشاط الحشيشية ، ومن قائل بأن سنان الذي كان حليفاً لصاحب حماة السابق علاء الدين جرديك خاف من تسلط صلاح الدين على مصياف بعد توحيد مصر وبلاد الشام ، فكان له هذا الموقف العدائي مع صلاح الدين وإن تخلى صلاح الدين عن قتال سنان إنما مر لشعوره بقوة سنان وحصونه والعبث من الحصار بما فيه صلاح الدين إلى خطورة الوضع ودفعه لمحاربتهم وبالتالي دفعه لقبول عرض شهاب الدين ومصالحة سنان .^(٢)

فعاد صلاح الدين إلى حماة وفيها اجتمع باخيه شمس الدولة توران شاه العائد من اليمن . وكان اللقاء حافلاً ثم سار إلى دمشق حيث فوض امر دمشق اليه (شمس الدولة) وعزم على السفر إلى مصر . وفي حوليات المؤرخين العرب أنه وصل إلى ساحل الشام من البحر امير (كند) كبير يقال له (اقلندس) على رأس حملة جديدة. لذلك تهيأ الصليبيون فنزلوا على حماة بقيادة ارناط الذي كان أسيراً في حلب أيام نور الدين . واطلقه الملك الصالح أملاً في مساعدته على صلاح الدين ، وكان ذلك في العشرين من جمادى الأولى وطمع الفرنجة بحماة لبعده السلطان عنها، ولهزيمته قرب عسقلان، ولم يكن غير توران شاه بدمشق نائباً عن أخيه صلاح الدين ، وليس عنده كثير من العسكر وكان توران شاه أيضاً كثير الانهماك في اللذات . ثم لما حاصروا حماة كان بها صاحبها شهاب الدين الحارمي مريضاً . واشتد عليه حصار الأفرنج للمدينة وطال زحفهم عليها حتى أنهم هجموا على بعض اطرافها وكادوا يملكونها قهراً .^(٣)

وصادف وجود قوة عسكرية أيوبية بقيادة علي بن أحمد بن المشطوب قرب حماة فدخلها ودافع ابن المشطوب عنها دفاعاً كبيراً بعد أن دخل الصليبيون بعض أحياء المدينة، وقد جد المسلمون في قتالهم وأخرجوهم من الدروب إلى خارج السور . ثم استمر الفرنجة في حصار حماة بعدها مدة أربعة أيام .

- (١) الروضتين ج ١ : ٢٦١ تاريخ ابن أبي الدم ١٥٦ وجه - ١٥٧ ظهر .
ابن خلدون ج ٥ : ٢٩١ . سنا البرق الشامي ج ١ : ٢١٨ - ٢١٩ حصة
(٢) الروضتين ج ١ : ٢٦١ - ٢٦٢
الشم ج ٢ : ٥١ . الاسماعيليون والدولة الاسماعيلية ميشيل لباد : ٩٤ - ١٠٣
سنان وصلاح الدين هارف تامر : ٣٢ وما بعدها . اعلام الاسماعيلية منطلى غالب : ٢٠٥ وما بعدها
تاريخ الدعوة الاسماعيلية منطلى غالب ٢١١ وما بعدها /
(٣) الروضتين ج ١ : ٢٦١ - ٢٦٢ / الكامل ٩ : ١٤٠ وما بعدها

وأخيراً رحلوا عنها بعد أن يسوا من فتحها . وتحولوا الى مدينة حارم التي كانت تابعة لسعد الدين كمشتكين . وعقب رحيلهم عنها توفي صاحب حماة الامير الحارمي . وكان له ابن شاب مات قبله بثلاثة أيام . ولعل من اسباب وفاة شهاب الدين صدمته بآبته . وكانت وفاة صاحب حماة في العاشر من جمادى الآخرة ودفن الى جوار آبته .^(١) وراسل ابن المشطوب صلاح الدين وروى له تفاصيل ما حدث وبين أن عدد قتل الفرنج زاد على الف مائتين فارس وراجل .

ولاية ابن خمارتكين :

بعد وفاة شهاب الدين صاحب حماة قام السلطان صلاح الدين بتولية الامير ناصر الدين منكورمر ابن الامير خمارتكين صاحب حصن (أبو قبيس) ومتولي عسكر حماة ، عليها . وفي ولايته هاجم الفرنجة حماة من جديد وذلك في العشر الاول من شهر ربيع الآخر من سنة أربع وسبعين وخمسة في جمع غفير من الفرنج وبشكل مفاجيء ولم يكن بها من الجند سوى عدد قليل لا يتجاوز المائة شخص . وقد استطاعت هذه الزمرة القليلة وبدهاء كبير أن توقع جيش الفرنجة عن طريق الكمانز ، وقد وقع بالامر بعس مقدمي الفرنجة بعدما قتل عدد كبير من جندهم .

واغتنم ابن خمارتكين متولي عسكر حماة وصول السلطان صلاح الدين الى حمص في طريقه الى بعلبك لتأديب واليها الذي رفض اوامره بتسليم بعلبك لآخيه توران شاه . فاحضر الاسرى بدير بدير مكبلين بالحديد . فأمر السلطان بضرب أعناقهم ، وان يتولى ذلك أهل التقى والدين من الحاضرين . فكان ذلك ثم رحل السلطان الى بعلبك^(٢)

لم يستقر ابن خمارتكين في ولاية شؤ ون حماة سوى بضعة اشهر . إذ صادف ان اقتضى رأي الفرنج ان يرعب المسلمين في كل ناحية خوفاً من اجتماعهم على جهة واحدة . وكانت اخبار صلاح الدين ومنداته بالجهاد المقدس تزعجهم . فأغار ابرنس انطاكية على شيزر . وغدر (كونت طرابلس) بجماعة من التركمان بعد الأمان . مما أوجب على صلاح الدين ان يتخذ خطوات جديدة ليوقف بوجه غملمسات الفرنجة . وأراد أن يثاقل لدولته . لذلك قام باعادة تشكيل قيادات ثغور الحدود مع الفرنجة وكان من جملة ما قام به أن رتب ابن آخيه تقى الدين عمر في ثغر حماة .

كما ورتب ابن عمه ناصر الدين في ثغر حمص في مقابلة طرابلس وكان قد رتب اخاه شمس الدولة توران شاه في بعلبك . ورتب سيف الدين علي المشطوب في شيزر . ورتب شمس الدين بن المقدم في حصن بعرين وكفر طاب وقرى من بلد المعرة

(١) الروضتين : ج ٢ / ٢٧٤ - ٢٧٥ . المختصر في اخبار البشر ج ٣ : ٦٠ . تاريخ ابن أبي الدم : ١٥٦ صهر الكامل ٩ / ١١٤٢ . سنا البرج الشامي ج ١ : ٢٦٦ - ٢٦٩ / ابن خلدون ج ٥ : ٢٩٢ - ٢٩٣ .
(٢) الروضتين ج ٢ / ٥ / ١٤٥ . سنا البرق الشامي ج ١ : ٣٠٦ - ٣١٠ .

أما عز الدين فرخشاہ فتسلم حوران .
كما أرسل صلاح الدين إلى أخيه العادل نائبه بمصر ، أن يتخبط له من عسكر مصر ألفاً وخمسمائة
فارس يتقوى بهم مع عسكر الشام على العدو .^(١)

تقي الدين عمر بن شاهنشاه

هو من أركان البيت الايوبي ، وله الدور الأكبر في تأسيس وتوطيد أركان الدولة الايوبية وتوسيع
رقعتها . فهو الابن الثاني لشاهنشاه بن ايوب بن شاذي بعد أخيه الأكبر عز الدين فرخشاہ الذي تولى
دمشق بعد توران شاہ أخو صلاح الدين الذي تركها ليتسلم بعلبك كما سلف البيان

وكان تقي الدين مبرزاً في الادب ، ومحبباً من الأسرة الايوبية ، ومن صلاح الدين بالذات
كذلك من عامة الناس .

وقد بدأ حياته العامة في مصر ، إذ كان له دور بارز في فترة ولاية صلاح الدين عليها زمن نور
الدين ، فقد كان مرافقاً لصلاح الدين في حله وترحاله وحربه وسلسه ، وقد عينه والياً على الفيوم ، وله
فيها اعمال اتصفت بالخير والبر فيها . وفي مصر: أنشأ مدرسة للشافعية في القاهرة واشترى الروضة
وحمام الذهب واملأها أخرى أوقفها عليها ، ورافق صلاح الدين في زحفه على الشام بعد وفاة نور
الدين ، ورافقه في حروبه مع الأتابكة في حلب ، ورايانه يسل بقواته من مصر في الوقت المناسب لتسره
صلاح الدين في المعركة التي دارت حول قرون حماة ، ثم رافق عمه بعد تلك المعركة إلى مصر .
ورافقه أيضاً وكان معه ابنه أحمد في غزو غزة وعسقلان والرملة التي خسرها صلاح الدين ،
ونجا بقواته وقادته بشق الانفس وفقد تقي الدين ابنه شهيداً في هذه المعركة بعد أن أبلى بلاء حسناً .
كذلك رافق تقي الدين عمه صلاح الدين في رحلته إلى دمشق من مصر أثناء نزوله على بعلبك وبقي معه
في حله وترحاله حتى ولاء حماة كما بينا .

وكان في اختيار تقي الدين لحماة أسبابه الوجيئة عند صلاح الدين إذ عرف فيه إخلاصه وحنكته
ودرايته ، بعد أن علمته الحروب والأزمات .
وكان تقي الدين ممن اشتهر بحفده على الصليبيين وزاد ذلك فقده ابنه أحمد في قتالهم ولوقوع ابنه الآخر
شاهان في أسرهم لمدة سبع سنين حتى افتداه صلاح الدين بمال كبير .

(١) الروضتين ج ٢ : ٥ / الكامل : ١٤٤ - ١٤٥

تولى تقي الدين ولاية حماة عام أربع وسبعين وخمسة . وبدأ باتخاذ ما يراه مناسباً لموقع ولايته من
بييد الجنود والحفاظ على استعداد قتالي عال لمواجهة الأعداء المحيطين به .

وقد حدثت في أثناء ذلك عدة مناوشات بين السلطنة ككل والفرنج أهمها واقعة بيت الاحزان
التي جرت قرب بانياس . وشارك فيها تقي الدين بقيادة أخيه عز الدين فرخشاء ، وكان النصر فيها
لصالح المسلمين^(١) لكن هذه الواقعة لم تسفر عن احتلال الحصن .

ثم خاض تقي الدين عمر معركة أخرى ضد سلطان سلاجقة الروم قلعج ارسلان الذي طلب
حصن (رعبان) ، وادعى انه من بلاده ، وإنما اخذه منه نور الدين على خلاف مراده . وأن الملك
الصالح ولده قد انعم عليه به ، لكن صلاح الدين رفض إعادة الحصن له ، وكان الحصن مع ابن
المقدم . لذلك ارسل قلعج ارسلان عسكرياً في عشرين ألفاً لحصار الحصن . فاستنفرت القيادات الشمالية
وجب تقي الدين صاحب حماة ومعه سيف الدين على المشغوب صاحب شيزر لمساعدة ابن المقدم وكان
عدد قوات القيادات الشمالية ألف مقاتل منهم ثمانمائة من قوات حماة ومائتان من قوات شيزر . ومع هذا
لمكن الإيقاع بجيوش قلعج ارسلان ، وقد افتخر تقي الدين الذي كان قائداً للمعركة بذلك كثيراً . إذ
قال بأنه هزم بأحاد الوفاً وارغم بأعداد من الأعداء الوفاً . وقد اتبع في ذلك تكتيكاً عسكرياً عالياً إذ وصل
أرض المعركة ليلاً ، فرأى عسكري قلعج ارسلان متشرين آمين ، فقال تقي الدين لأصحابه هؤلاء على ما
ترون من الظمائية والأمن والغفلة وقد رأيت أن نحمل الساعة عليهم ، بعد أن تنسرق في جوانب
عسكرهم ، ونصبح فيهم فأنهم لا يشتون لنا فأجابوه إلى ذلك ، فانفذ واحداً من أصحابه إلى باقي
عسكره ، وأمرهم أن يتفرقوا أطلاقاً ، وأن يعمل في كل طلب قطعة من الكوسات والبوقات ، فإذا
سمعوا الضجة ضربوا بكوساتهم وبوقاتهم ، وجدوا في السير ليلحسوا به ، ففعلوا ما أمرهم ، ثم
انه حمل على عسكر قلعج ارسلان ، وصرخ أصحابه في جوانبه ، وكان في عسكر قلعج ارسلان ثلاثة آلاف
فارس ، فلما سمعوا الضجة وحس الكوسات والبوقات وشدة وقع حوافر الخيل وجلبة الرجال
واضطكاك أجرام الحديد هالمهم ذلك وظنوا أن قد فوجئوا بعالم عظيم فلم يكن لهم إلا أن جالوا في كواثب
خيولهم عرياناً وطلبوا النجاة وأخذتهم السيوف ، فتركوا خيامهم واثقالهم بحالاً ، وأكثر تقي الدين
فيهم القتل والأسر وحصل على جميع ما تركوه . فلما أصبح جمع المأسورين ، ومن عليهم بأموالهم
وكراعهم وسرحهم إلى بلادهم^(٢) .

وقد قوت هذه المعركة مركز تقي الدين لدى صلاح الدين ، وأعطته ثقة كبيرة بالنفس .
وفي عام ٥٧٥هـ / ١١٧٩م في شهر ربيع الأول أراد السلطان صلاح الدين احتلال حصن بيت
الاحزان ، وهدمه وذلك لوقوعه على مسيرة يوم من دمشق ونصف يوم من طبرية وصفد . ذلك أن

(١) الروضتين ج ٢ : ٨ ، مضار الحقائق : ١٥ / مضار الحقائق : ٢٢ / الكامل ٩ : ١٤٨ .

(٢) الروضتين ج ٢ : ٩ - ١٠ / المختصر ج ٢ : ٢٢ / ابن خلدون ج ٥ : ٢٩٤ - ٢٩٥ .

الحصن كان قد أصبح بيد الداوية (فرسان المعبد) الذين أخذوا يمدونه بالمال والتفقات والرجال من أجل صمودهم وبقائهم فيه ، ومن أجل تهديد القوافل الإسلامية التي تمر من هناك . وقد فكر صلاح الدين بئذ مال للداوية ليسلموا الحصن . فيهدمه وبعد المفاوضات بذلك لهم فيه ستين ألف دينار ، فلم يفعلوا فزادهم حتى بلغ مائة ألف فأبوا .^(١) فأرسل رسله إلى تقي الدين في حماة يستشيريه في ذلك ، وكان تقي الدين منهمكاً في تقوية سور حماة وحفر خندق كبير حول القلعة تمتد مسافة مائة ذراع ليفصل الباشورة عن القلعة وكان رد تقي الدين في أن يبذل هذا المال في جمع الرجال والعتاد والاقوات من سائر البلاد الإسلامية . وقد استنصب صلاح الدين هذا الرأي وأخذ به .

وجمع صلاح الدين الجيوش الغفيرة واتجه نحو الحصن ، ووصل إلى المخاضة التي بني الحصن دونها يوم السبت تاسع عشر من ربيع الأول ، فخيم بالقرب منها ، واحصر من صفد التي هي بيد الداوية كل شجرة فيها ليستخدمها في نصب ستائر لأجل المنجنيقات ، وساء الأحد استرلت قوائمه عن الباشورة وانتقلت منها إلى محاصرة الحصن ، وبقوا طوال الليل يحرسونه مخافة أن يفتح الفرنج الأبواب على حين غرة . أما الفرنج فاشعلوا النيران خلف كل باب من أبواب الحصن . فأخذ فرخشاء الجانب القبلي وأخذ السلطان الجانب الشمالي وعهد إلى شركوه بنقب السور مع تقي الدين عمر . وجعل لكل أمير في الدولة قسماً ، ثم نقب السلطان نقباً في السور بطول ثلاثين ذراعاً وقابع النقب حتى انقض الجدار وكان الفرنج قد جمعوا وراء ذلك حطباً واشعلوه لمنع دخول المسلمين إلا أن الرياح بعد أن سقط الجدار دفعت النيران إلى داخل السور مما أحرق البيوت وطائفة من الجند . ودفع بياقي الجند للهرب إلى داخل الحصن فتبعهم المسلمون وأعملوا السيف فيهم حتى طلبوا الأسان ، وقد قام صلاح الدين بهدم السور وردم الجب بعد أن رمى القتل فيه ، وعاد صلاح الدين بعد أن استمرت المعركة والاضمار للهدم أربعة عشر يوماً ، وكان يرافقه في هذه الحادثة رسول كونت طرابلس

وقد أصيب المسلمون بوباء ناتج عن كثرة القتل التي تفسخت جثثها ونتيجة الحر الشديد وكان من أصيب بهذا المرض تقي الدين وابن عمه ناصر الدين وكادا أن يموتا .^(٢)

وحدث في عام ٥٧٧هـ / ١١٨١م أن توفي الملك السالحي اسماعيل بن نور الدين صاحب حلب . وكان قد أوصى بالملك على حلب من بعده إلى ابن عمه عز الدين صاحب الموصل ، وقد للركة أمراء حلب يستعجلون حضور عز الدين إليهم لتسليمه حلب ، فتقدم بقوائمه نحو حلب ولما عبر الفرات كان تقي الدين عمر صاحب حماة بمدينة منبج ، إذ كان قد توجه إليها ضمن خطة محكمة لمنع وصول عز الدين إلى حلب . ولكن الخطة أخفقت فعاد تقي الدين إلى حماة ، وعندما وصلها ثار أهل حماة ورفعوا راية عز الدين ، وكان صلاح الدين بمصر . فأشار عسكر حلب على عز الدين أن يقصد دمشق ، وأطعموه فيها

(١) الروضتين ج ٢ : ١١ / ١٢ ، مضمار الحفاظ : ٢٥ ، المختصر ج ٢ : ٦٢ ، من البرق السامي ج ١ : ٢٢٣ - ٢٢٩

الحروب السليلة للتنبؤ : ١٥٣ / الكامل ٩ : ١٢٧ ،
(٢) الروضتين ج ٢ : ١١ / ١٣ ، مضمار الحفاظ : ٢٦ - ٣٠ / المختصر ج ٢ : ٦٢ ، الكسر ٩ : ١٥١

في غيرها من البلاد الشامية ، وأعلموه نغبة أهلها للبيت الاتابكي ، فلم يفعل ، وقال : بيتنا عيين لا قدر به . وأقام بحلب عدة شهور . ثم سار منها إلى الرقة ، فأقام بها وجاءه رسول أخيه عماد الدين يطلب ، يسلم إليه حلب ويأخذ منه عوضاً عنها مدينة سنجار ، ونتيجة لالحاح بجاهد الدين قايمار الذي لم يكن عز الدين يستطيع مخالفته لتمكنه في الدولة ولكثرة عساكره وبلاده وافق كارهاً .

وكان صلاح الدين قد فقد الأمل في عودة الشام إليه نتيجة الحركات التي تمت هناك والتي جاءت في صالح عماد الدين ، إلا أن الخلاف ثم التسوية التي تمت بين عماد الدين وعز الدين شجعت صلاح الدين للمعودة للشام ، فقام عز الدين بجمع العساكر ، وسار عن الموصل قاصداً حلب خوفاً عليها من صلاح الدين . لكن بعض امرائه خذلوه وانضموا إلى صلاح الدين ، الذي عبر النهرات ، واحتل البلاد الجزرية ، بينما عاد عز الدين للموصل وقام صلاح الدين بحصارها . ولما لم يفلح في فتحها ، تركها وتوجه إلى حلب فسلمها عماد الدين إليه وسبب ذلك أن عز الدين لما تسلم حلب ، لم يترك في خزائنها من السلاح والاموال شيئاً إلا نقله إلى الموصل ، وتسلمها عماد الدين خاوية ، وقد اشترك في هذه المسيرة مع صلاح الدين تقي الدين عمر ، وقد تسلم صلاح الدين حلب واعطى عماد الدين بدلاً عنها مدن سنجار ونصيبين ، والخابور ، والرقة ، وسروج ، وقد عين صلاح الدين على حلب ابنه الملك الظاهر غازي . وكان قد طلب تقي الدين عمر حلب إلا أن صلاح الدين عين ابنه ، ثم عاد صلاح الدين إلى دمشق مروراً بحماة التي استقبلته استقبالاً حافلاً وكان قد اعطى تقي الدين سنجار بعد فتحها . (١) وقد توفي في هذه السنة فيرخشاه الملك المنصور ، فأقر صلاح الدين ولده الملك الأشيد بهرام شاه على بعلبك وأعمالها مكان أبيه ، وأنفذ شمس الدين ابن المقدم والياً مكانه على دمشق وأعمالها ، وبعد وصول صلاح الدين إلى دمشق وكان يرافقه تقي الدين عمر قرر مهاجمة الفرنج مبتدئاً بالكرك ، فأرسل إلى أخيه العادل نائبه بمصر ليأته بالعساكر إلى الكرك ، ونظراً لشغبور نيابة مصر أثناء خشيور العادل للكرك ، أرسل بدلاً عنه ابن أخيه تقي الدين عمر صاحب حماة إلى هناك ، وسلم الملك العادل أخيه مدينة حلب وقلمنتها وأعمالها ، وأعاد ابنه الظاهر غازي إلى دمشق . (٢) وقد اشار بتولية تقي الدين عمر على مصر القاضي الفاضل الذي ذهب مع تقي الدين إلى مصر بعد واقعة الكرك .

- (١) الروضتين ج ٢ : ٢١-٢٢ ، المختصر ج ٣ : ٦٣-٦٥ ، الحروب السلبيه للنيسبي : ١٥٤ / مضمار الحقائق
٥٢-٥٦ الكامل : ١٥٣ / ابن خلدون ج ٥ : ٣٠١-٣٠٢
(٢) الروضتين ج ٢ : ٣٠ ، المختصر ج ٣ : ٦٦ ، ابن خلدون ج ٥ : ٣٠٢
(٣) الروضتين ج ٢ : ٣٣ ، المختصر ج ٣ : ٦٦ ، مضمار الحقائق ٩٣-٩٤ / الكامل : ١٥٤
(٤) الروضتين ج ٢ : ٥١ ، المختصر ج ٣ : ٦٧ ، مضمار الحقائق : ١٤٤ / الكامل : ٩ / ابن خلدون ج ٥ : ٣٠٢-٣٠٣

الفصل الثالث

حماة في فترة الاستقلال

بعد أن قضي صلاح الدين على الحركات المعارضة له التي حدثت في الشام والتي كانت تزدي لخسارته الشام نهائياً وفقد الأمل بعودتها إليه وجد من الأفضل له أن يعمل مركز قيادته في الشام وذلك لهدفين الأول لاحتلال الاستقرار فيها بعد الفتن التي تمت والثاني الاستعداد لبدء المعركة مع الصليبيين التي قرر أن يكون منطلقها من الكرك .

قام صلاح الدين في سبيل هذا الهدف باستدعاء أخيه العادل نائبه في مصر ليأتيه بالعساكر إلى الكرك . ولما شغل منصب ولاية مصر وافق صلاح الدين على اقتراح قدمه القاضي الفاضل بامتناد ولايته لابن أخيه تقي الدين عمر لما يعرفه فيه من إخلاص ووفاء ومقدرة . وقد خبره في معاركه الطويلة ، سواء في مصر في زمن نور الدين أو في مصر والشام بعد نور الدين . فأعطاه ولاية مصر ثم أقطعه الاسكندرية ودمياط وجعل لخاصته البحرية والنيوم وعدة أماكن أخرى إضافة لما بين يديه في الشام حماة والمعرة وبارين « . ويكون صلاح الدين بذلك أميناً على مصر بوال يثق به . وعوضه عن طلبه تقي الدين حلب كما سبق القول بمصر . وهو بذلك يحقق خطة اتخذها تقتضي إعطاء عماله ولايات متباعدة بدلاً من تجميع الولايات المتجاورة بيد وال واحد يتقوى بها فيشكل خطراً على دولة صلاح الدين أو حياً بالاستقلال .

أخذ تقي الدين يرتب أوضاع مصر بعد أن ترك صلاح الدين وتوجه إليها برفقة القاضي الفاضل إلى أن جاءه امر السلطان صلاح الدين عام ٥٨٠هـ / ١١٨٤م باحضار العساكر المصرية والانضمام إليه بهدف الهجوم على الكرك حيث سبقه صلاح الدين إليها . وقد وصل تقي الدين إلى الكرك في التاسع عشر من ربيع الآخر منتظماً إلى صلاح الدين وسائر العساكر الإسلامية . مصطحباً معه بنت الملك العادل وخزائنه لإنهاء أي وجود للعادل في مصر ، مما يعيق استقلال تقي الدين بحكم مصر .

قام تقي الدين والقوات المصرية المرافقة له بالاشتراك بالمعارك التي قام بها صلاح الدين ضد الصليبيين في الشام فشارك في الهجوم على الكرك التي كانت عشرة وعائفاً على خطوط مواصلات الشام ومصر . كذلك شارك تقي الدين في الاغارة على نابلس وسبسطية وجنين . بقي تقي الدين مع السلطان

(١) الروضتين ج ٢ : ٥٣ ، مضمار الحقائق : ١٥٤ - ١٥٥

البداية والنهاية ١٢ : ٣١٥

صلاح الدين في حله وترحاله حتى امره بالعودة مع عساكره الى مصر في منتصف شعبان عام ١١٨٠هـ / ١١٨٤م^(١) .

مرض صلاح الدين اثناء سفره الى البلاد الجزرية وكاذا ان يموت هناك في حران ولكنه عوفي . ثم تصالح مع اصحاب الموصل وعاد نحو حلب ودمشق . قام صلاح الدين باجراء تعديلات ادارية في مصر والشام . شملت فيما شملت ولاية تقي الدين في مصر وحماة . وكان من اهم اسباب التغييرات ان الملك الافضل نور الدين علي بن صلاح الدين كان مع تقي الدين في مصر وهو ولد صلاح الدين الاكبر . وقد بدا يظهر ويتناول على سلطة والي مصر تقي الدين ، ومالت اليه جماعة بمصر ، وبان له منهم طاعة . فاستغل ذلك في محاولة السيطرة ومعاكسة تقي الدين الذي وجد في ذلك انقاصاً لسلطته . فانخذ في الالحاح على صلاح الدين بشرح اعمال ابنه الملك الافضل علي ، واصفاً اختلال امره واشتغال مره^(٢) . صادف ذلك وغبة السلطان في نقل ولده الملك العزيز عثمان الى مصر ، فقرر نقل الافضل الى الشام . فكتب اليه ان يحضر الى الشام بجميع اهله وجماعته ووالدته وحشمه واصحابه ، فخرج الافضل من مصر ووصل الشام . وكتب صلاح الدين الى تقي الدين يبلغه انه قد استغل له امرها وزال عذره . لكن ذلك لم يدم لتقي الدين اذ قام صلاح الدين باعطاء البلاد الشرقية في مصر للملك العادل واعتمد عليه في نيابته على سائر الممالك المصرية ، وكان هذا ضربة قاصمة لتقي الدين احبطت سائر غنططاته ونفرت من صلاح الدين . فرأى أن يعتمد على نفسه في بناء مملكة خاصة به ، ورأى ان يتجه بعساكره لافتح المغرب والاستقلال فيه ، وكتب الى صلاح الدين يستأذنه . لكن صلاح الدين وجد في ذلك اضعافاً لمخططاته في بلاد الشام ، وفي مواجهته للفرنجة ، ولعله خشي من توريطه في معركة جانبية مع الدولة الموحدية صاحبة تونس واجزاء كبيرة من ليبيا . فكتب اليه يأمره بالقدوم عليه ، وسير ولده العزيز الى مصر ومعه عمه العادل .

قدم تقي الدين في آخر شعبان لمقابلة السلطان الذي استقبله خارج دمشق ودخلها معه . وقد اعاد تقي الدين الحماة ومنبج والمرة وسائر اعمالها ثم اضاف اليه مياقارقين وجميع ما تبهما من معازل^(٣) . اعطي تقي الدين لقب ملك . فاصبح يعرف بالملك المظفر تقي الدين عمر . وبذلك تحولت حماه الى مملكة وكان ذلك عام ١١٨٢هـ / ١١٨٦م . وضمت املاكاً اوسع كما سبق القول مما زاد اهميتها وزاد في حجم عسكرها . وقام تقي الدين باعادة تنظيم مملكته ادارياً وسياسياً ضمن اطار الدور التاريخي لمملكة حماة بين الممالك الايوبية وتوافق هذا مع عزم صلاح الدين على شن الهجوم الكبير على الصليبيين . واعلانه الجهاد المقدس .

-
- (١) الروضتين ج ٢ : ٦٤-٥٤ مضمار الحقائق : ١٥٥ - ١٦٠ . الكامل ج ٩ : ١٥٦
(٢) ذيل النوادر : ٢٣٠ ، مضمار الحقائق : ١١١ - ١١٤ ، المختصر ج ٥ : ٩٤ ، شفاء القلوب : ١١٧ - ١١٨
(٣) الروضتين ج ٢ : ٦٩ البداية والنهاية ج ١٢ : ٣١٥ - ٣١٦
ذيل النوادر : ٢٣٤ ، شفاء القلوب : ١١٨ ، ابن خلدون ج ٥ : ٣٠٥ - ٣٠٦ ، الكامل ج ٩ : ١٧٢ - ١٧٣

في محرم من عام ثلاث وثمانين وخمسمائة (١١٨٧م) قصد السلطان غزو الكرك^(١) اثر غدر صاحبها
ارناطم بالقوافل المارة بين بلاد الشام ومصر والحجاز وقد استقدم صلاح الدين الجيوش واخذ في
جميعها .

قام تقي الدين بالتوجه مع جيشه نحو حلب للانضمام للقوات الحلبية تلبية لأوامر صلاح الدين ثم
اتجهت قوات حماة وحلب نحو طبرية حيث اخذت بمناوشة قوات الصليبيين هناك بينما سار صلاح الدين
الى بصرى وانضمت اليه قوات مصر للوقوف بوجه الصليبيين في الكرك وحماية قافلة الحاج الآتية من
الحجاز . وبنفس الوقت مناوشة قوات الكرك واختبار قوات وحشود الفرنج .

ثم قام صلاح الدين بحشد جيوشه قرب طبريا . وعبا العساكر قلباً وجناحين ومينة ومبرة
وجاليشية .

قاد تقي الدين مينة صلاح الدين ، وشارك مشاركة فعالة في احداث معركة حطين ، وهو الذي
افصح المجال لريموند الثالث صاحب طرابلس كما يفر ، حتى يتمكن من احتلال موقعه ، ويطبق بشكل
كامل على المتبقي من القوات الصليبية التي فقدت بفرار ريموند ابرع قادتها^(٢) .

بعد معركة حطين لازم تقي الدين السلطان صلاح الدين ولم يتخل عنه ، والمفيد هنا انه منذ
حطين صارت جيوش الأيوبيين وحتى المماليك من بعدهم يتولى مبيتها صاحب حماة من خلفاء تقي
الدين .

بعد انتهاء معركة حطين توجه تقي الدين مع صلاح الدين الى عكا التي ابرمت الصلح مع السلطان
على اخلائها للمسلمين بعد ان امنهم السلطان على انفسهم واموالهم ثم توجهت القوات الاسلامية الى
الناصرية وقيسارية وحيفا وصفورية والشقيف والقولة^(٣) . وقد شارك تقي الدين في هذه الفتوحات ،
ودخل عكا وتصرف في دار الشكر فيها وافانى قدورها واستوعب موجودها ونقل قدورها وانقاضها وحوى
جواهرها واعراضها^(٤) .

ثم انطلق الملك المظفر تقي الدين نحو تبين ليقطع الميرة عنها وعن مدينة صور لكنها (اي تبين)
استعصت عليه . فارسل تقي الدين الى السلطان ان يأتيه بنفسه ، وقد سارع السلطان لانقاذ تقي الدين

(١) الروضتين ج ٢ : ٧٠ - ٧٥ ، زبدة الخلب ج ٣ : ٨٣٧ ، مضار الحقائق : ١٨٨ - ١٩٠ ، تاريخ ابن ابي الدم :
١٥٨ وجه

(٢) الروضتين ج ٢ : ٧٧ ، المختصر في اخبار البشر ج ٥ : ٩٩ ، ذيل النوادر : ٢٣٥ ، الكامل ٩ : ١٦٤ ، تاريخ ابن
ابي الدم : ١٦٠ ظهر ، ابن خلدون ج ٥ : ٣٠٥ - ٢٣٥ ، البداية والنهاية ج ١٢ : ٣٢٠ - ١٩٩-٢١١ Saladin :
البداية والنهاية ج ١٢ : ٣٢٠ - ١٩٩-٢١١ Saladin :

(٣) الروضتين ج ٢ : ٨٦ - ٨٧ ، النوادر السلطانية : ٦٥ ، حياة صلاح الدين : ١٦٢ - ١٦٧ ، زبدة الخلب ج ٣ :
٨٤٣ تاريخ ابن ابي الدم : ١٦١ ظهر ، ابن خلدون ج ٥ : ٣٠٧ ، الحروب الصليبية للتبجي : ١٦٥ :

(٤) الروضتين ج ٢ : ٨٩ ، النوادر السلطانية : ٦٥ ، حياة صلاح الدين : ١٨٣ - ١٨٥ ، تاريخ ابن ابي الدم : ١٦١
ظهر ، الكامل ج ٩ : ١٧٦ ، ابن خلدون ج ٥ : ٣٠٨ - ٣٠٧ ، الحروب الصليبية للتبجي : ١٦٥

فوصل إليه في ثلاث مراحل . ونزل على تبين يوم الأحد الحادي عشر من جمادى الأولى . فراسل أهلها السلطان وسأله الأمان فأعطاهم إياه شاملاً أنفسهم وأموالهم . وتنفيذاً للاتفاق قام الفرنجة بإطلاق الأسرى المسلمين وبعد إخلاء المدينة والقلعة توجهوا إلى صور . التي أرجأ صلاح الدين فتحها . ثم فتح بيروت وبعدها سلمت إليه جبيل لقاء فك أسر صاحبها . ثم احتل عسقلان . والرملة والداروم وغزة والخليل وبيت لحم وبيت جبرين والنظرون ، وكان أخوه العادل قد استرد مناطق جنوب فلسطين . وبذلك لم يبق للصليبيين سوى القدس وصور ، فقام السلطان بحصار القدس وبعد أن شعر الصليبيون بعقم الاستمرار فيها . فاضوه على تسليمها ، ورغم إصراره على فتحها بالقوة ومنك دمايتهم كما فعلوا عندما احتلوها ، هددوه بقتل أسرى المسلمين وهم خمسة آلاف . وتهديم بيت المقدس . وتعليل السخرة . وأخيراً آمنهم السلطان ودخل القدس وحصل الجسعة فيها . في السابع عشر من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة هجرية / الموافق للثاني من تشرين الأول سنة الف ومائة وسبع وثمانين ميلادية .

عين صلاح الدين سيف الدين علي بن أحمد المشطوب نائباً عنه بصيدا وبيروت . وأرسل المشطوب إلى صلاح الدين يستحثه على فتح صور . فسبق إليها الأفضل وتقي الدين . وكان الفرنج في صور قد حفروا لها خندقاً من البحر إلى البر أثناء فتح السلطان للقدس ، وقد أحكم صلاح الدين الحصار على صور برأ وبحراً إلا أنه اضطر للتخلي عن العمل البحري وإعادة شواطئ المسلمين التي بقيت بعد هجوم الفرنج المفاجيء عليها . ولما طال الحصار واشتد البرد وتعمر الفتح ، اضطر صلاح الدين لفك الحصار ، واتجه نحو عكا وأقام بها فترة (١) ، ثم تركها إلى كوكب وقد أوكل عمارتها إلى بهاء الدين قراقوش لتخصصه فهو الذي أدار السور على مصر والقاهرة .

ثم وصل السلطان لدمشق . ومنها اتجه صلاح الدين لفتح المواقع الشمالية الساحلية ، وفي هذه المارك وبعد فتح انطرسوس (طرطوس) التحقت به قوات حماة ، فرحل السلطان يوم الاثنين رابع عشر جمادى الأولى ونزل على مرقية ثم اتجه إلى بلنيس (بانياس) ثم جبلة ثم اللاذقية ثم قلعة صهيون (قلعة صلاح الدين) ثم تابع فتح الحصون هناك ومنها حصن (برزية) وحصن (دربسك) وبفراس . ومن ثم عقد هدنة مع انطاكية ، ثم أراد العودة إلى دمشق فسأله ولده الظاهر صاحب حلب أن يجتاز به ،

(١) الروضتين ج ٨٩ - ٩٠ . الحروب الصليبية للتبجي ١٦٥ . النوادر السلطانية : ٥٥ . حياة صلاح الدين : ١٧٠ - ١٧٢ تاريخ العصر الأيوبي : ١٤٠ - ١٤٧ . تاريخ ابن أبي الدم : ١٦١ ظهر . ابن خلدون ج ٥ : ٣٠٦ - ٣٠٨

(٢) الروضتين ج ٢ : ٩٩ - ٩٢ . الحروب الصليبية للتبجي : ١٦٧ - ١٧٢ . النوادر السلطانية : ٥٣ - ٥٥ . حياة صلاح الدين ١٧٢ - ١٨٠ . زبدة الحلب ج ٣ : ٨٤٤ . تاريخ ابن أبي الدم ١٦٢ وجه وظهر . ابن خلدون ج ٥ : ٣١١ - ٣٠٩

(٣) الروضتين ج ٢ : ١١٩ - ١٢٠ . الحروب الصليبية للتبجي : ١٧٣ . النوادر السلطانية : ٥٥ - ٥٦ . حياة الدين : ١٧٩ - ١٨٢ زبدة الحلب ج ٣ : ٨٤٣ . الكامل : ١٧٦ . ابن خلدون ج ٥ : ٣١١ - ٣١٢

لجابه ، وأقام بقلعتها ثلاثة أيام ، ثم سار يريد دمشق فاعترضه تقي الدين وأصعده إلى قلعة حماة ، ويات بها ليلة واحدة فأعطاه جبلة واللاذقية وفي تعليقه ينقل لنا صاحب الروضتين وصفاً لقلعة حماة فيقول : « وكانت قلعة حماة ذات منبسط فلما تولاهما تقي الدين رفع تلها وعمق خندقها وحصنها ، فطلع السلطان تلك الليلة إلى القلعة وسر بما رأى من الحصانة والرفعة ووقف الملك المظفر لعمه وجرى في الخدمة على رسمه » وأصبح السلطان وإحلاء^(١) يريد دمشق عبر طريق بعلبك .

وقد بلغ السلطان تجمع قوات الفرنجة في صور يريدون عكا . فجمع قواته واتجه نحوهم وعند وصوله لعكا وجد أن قوات الفرنجة قد سبقته إليها . قام حولها واخذ في تجميع وتنظيم قواته استعداداً للمعركة .

وفي يوم الحادي والعشرين من شعبان تحركت عساكر الفرنج بشكل قتالي مريب يريدون مباغنة قوات صلاح الدين وقد قدر عددهم بثلاثين ألف رجل والفين من الفرسان. وهاجوا ميمنة جيش صلاح الدين وكانت هناك القوات بقيادة الملك المظفر تقي الدين عمر صاحب حماة وكان صلاح الدين في القلب فلمد تقي الدين بعسكر من عنده . ولما شعر الفرنج بقلعة عسكر القلب غيروا خططهم وهاجوا القلب بدل الميمنة وقد اجتاحتها خيمة السلطان . وهنا انقضت ميسرة السلطان عليهم وكانوا اخذوا يتراجعون عما جعلهم يقعون بين فلول القلب وجيش الميسرة فكانت خسارتهم كبيرة جداً. قدر عدد القتل بمشرة آلاف وكان عدد الأسرى كبيراً جداً^(٢) .

وكان رأي صلاح الدين متابعة القتال إلا أن امرأه فضلوا الراحة. وصدف أن أصيب صلاح الدين بالقولنج. واقترب موسم الشتاء فغادر عكا بعد أن أمر أهلها بالحفاظ عليها .

عاد صلاح الدين بعد انتهاء الشتاء من عام ٥٨٦هـ / ١١٩٠م إلى عكا واخذ بعيد تجميع وتنظيم قواته لفك حصار الفرنجة عنها . وأرسل إلى أنحاء مملكته مستدعياً القوات إليه. إلا أن تقي الدين عمر الذي غادر صلاح الدين في الشتاء كان قد اتجه نحو الجزيرة لتسلم البلاد التي أضيفت إليه شرقي الفرات إذ كان له بالشام المعرة وحماة وسلمية وجبلة واللاذقية . وكان له في الجزيرة ديار بكر وحران والرها وسميساط وضباعها وميافارقين وحسونة .

وقد رأى تقي الدين توسيع حدوده في الجزيرة وشرع بشن الهجمات فيها جاوره متوسعاً وكان هذا

(١) الروضتين ج ٢ : ١٣٤ ، الحروب الصليبية للتميمي : ١٧٥ - ١٧٧ ، تاريخ شيزر : ١٩٦ ، حياة صلاح الدين ١٨٣ ، زبدة الحلب ج ٣ : ٨٤٨ - ٨٥٦ ، تاريخ ابن أبي الدم : ١٦٤ : ظهر الكامل ٩ : ١٧٧ ابن خلدون ج ٥ : ٣١١ - ٣١٢

(٢) الروضتين ج ٢ : ١٤٤ - ١٥٣ ، الحروب الصليبية للتميمي ١٧٦ - ١٧٧ ، النوادر السلطانية ٩١ - ٩٣ ، حياة صلاح الدين ١٨٥ - ١٨٧ ، زبدة الحلب ج ٣ : ٨٥٦ - ٨٥٨ ، تاريخ العصر الأيوبي ١٤٩ - ١٥١ ، تاريخ ابن أبي الدم : ١٦٥ : ظهر الكامل ٩ : ١٧٨

أ في تأخره عن الالتحاق بقوات صلاح الدين مما اضطر الأخير للحالاح عليه للمودة إلى عكا فعاد تقي
بين والتحق بالقوات حول عكا " .

كان الوضع في عكا سيئاً للغاية فأهل عكا معاصرون من عدة أشهر بقوات الفرنج وصلاح الدين
أصر الفرنج حول عكا ، الذين نصبوا عليها سبعة تجانيق واستقروا قواتهم وبدأوا في الهجوم ، استعد
سلطان للمعركة الفاصلة وتقدم بقواته إلى تل العياضية ، وفي هذه الأثناء وصل ريتشارد قلب الأسد
مع قوات بحرية وبرية محمولة ، فشدد الحناق على عكا .

وفي المقابل أخذ السلطان يضيق على محاصري عكا من الفرنج وحاول إيصال بعض المعونات
للمؤمن إليها فأخفق في ذلك . مما كان له تأثير كبير على معنويات المحاصرين فيها .

وقدم الفرنجة دبابات نحو السور لهدمه عانى المسلمون الكثير لحرقها وإيقاف تقدمها . وأخيراً قدم
الفرنج ما يشبه تلاً من تراب دفعوه أمامهم وهم غثبثون خلفه متقدمون إلى الأسوار .

كان الفرنج يقاتلون ليلاً نهاراً لكثرتهم . وكان هجومهم في البر والبحر . مما أضعف أهل
عكا بالدفاع . وكان السور قد تهدم في بعض أطرافه . ودخل الفرنج منه . وأخذ القتال يشتد على
الأبراج ، لذلك اضطر ابن المشطوب صاحب عكا أن يطلب من السلطان حسم المعركة والا فلا بد من
التسليم . ولما لم يستطع السلطان فك الحصار رغم قيامه بالهجوم عدة مرات . وقع مالم يكن منه بد .
وعمل كره من السلطان وأهل عكا " .

سلمت عكا على أساس السماح للمحصورين بالخروج من المدينة بأموالهم على أن يدفعوا ما شئ
الف دينار ويتسلموا خمسمائة أسير من اخوانهم المسلمين المروفين ويعيدوا خشبة الصليب ويدفعوا إلى
كونراد صاحب صور أربعة عشر ألف دينار . وبعد دخول الفرنج عكا غدروا بأهلها مما أجبر صلاح
الدين على عدم دفع الأموال لهم أو تسليمهم الأسرى والصليب .

وبعد دخول عكا حصلت بعض الخلافات بين الفرنج . فعاد إلى بلاده ليولد أمير النمسا
وانسحب صاحب صور من عكا . وعاد فيليب أوغسطس إلى فرنسا .

وبعد استراحة الفرنج بعكا قاموا بقيادة ريتشارد بالزحف نحو الرملة وحصلت مفاوضات بينه وبين

(١) النوادر السلطانية : ١٠٦ / الكامل ١٧٩ : ٢١٠ ، حياة صلاح الدين : ١٩٠ - ١٩٣ / زبدة الخلب ج ٢ :

٨٥٨ - ٨٥٩ ، البداية والنهاية ج ١٢ : ٢٢٢ - ٢٢٣ Saladin: 235-250

(٢) الروضتين ج ٢ : ١٨٤ - ١٩٤ ، الحروب الصليبية للتلميحي : ١٨٨ - ١٩٠ ، النوادر السلطانية : ٩٦ - ١٣٢ .

متنجات من كتاب التاريخ : ٢٤٠ - ٢٤٣ ، حياة صلاح الدين : ١٩٠ - ١٩٣ ، زبدة الخلب ج ٣ : ٨٦٠ - ٨٦٥

ابن خلدون ج ٥ : ٣١٨ - ٣١٩ البداية والنهاية ج ١٢ : ٢٢٤ - ٢٢٥ Saladin 251-264

صلاح الدين أدت الى عقد صلح الرملة .

بعد أن توسعت املاك تقي الدين عمر في منطقة الجزيرة والفرات امتدت عينه الى بلاد غيره فاستولى على السويداء وعلى مدينة هاني وعزم على قصد خلاط وكسر صاحبها سيف الدين بكتمر وتملك معظم تلك البلاد ثم اتاح على منازكره يحاصرها ومعه عساكر كثيرة . وعندما علم صلاح الدين بذلك قال : وهذا من عمل الشيطان وفي مثل هذا الوقت يتعرض لهذا المقت ، واني اخاف في هذه السنة حيث أساء عند امكان الحسنة .

وقد اصيب تقي الدين بمرض اعتراه اثناء حصاره لمناز كرد ولم يستطع مقاومة المرض فتوفي يوم الجمعة تاسع عشر رمضان . ورحل الملك المنصور بن تقي الدين الى حماة ومعه جثة أبيه وقد اخفى وفاته عن الجميع وقد عجب الناس من حزمه وعزمه وثباته وجلده .

ويقول ابن شداد ان وفاته كانت في طريق خلاط عائداً الى ميافارقين ثم عملت له تربة عليها مدرسة مشهورة بأرض حماة وحمل إليها ودفن فيها .

وفي نفس يوم وفاته مات أيضاً ابن اخته السلطان حاتم الدين محمد بن عمر بن لاجين بدمشق . وقد فجع السلطان بأبن اخيه وابن اخته في تاريخ واحد .

وعند تبليغ السلطان صلاح الدين وفاة تقي الدين دعا اخاه الملك العادل والامير علم الدين سليمان والامير سابق الدين وعز الدين أولاد المقدم واخبرهم بوفاة تقي الدين وبكاه واجهش بالبكاء وطلب اخفاء الأمر حتى لا يعلم الفرنج بذلك .

وعندما وصله كتاب الخليفة في بغداد في الثاني عشر من شوال ينكر على تقي الدين عمله في الجزيرة ويطلب ارساله الى بغداد فأجاب السلطان بأن تقي الدين مار لجميع العساكر من اجل الجهاد وان السلطان قد أمره بالعودة .

وقد أخفى السلطان عن الخليفة وفاة تقي الدين بل وصفه بأنه مريض جداً وأن قوته ضعيفة وهو غير قادر على المشول لبغداد .

وهكذا مات قطب من أقطاب الدولة الأيوبية ومؤسس مملكة حماة الأيوبية وعجاهد كبير من مجاهدي

-
- (١) الروضتين ج ٢ : ١٤٢-١٩٢ و ١٩٢-١٩٤ الحروب الصليبية للتبسي ١٩٠-١٩١ . النوادر السلطانية ١٣١ .
١٣٤ ، حياة صلاح الدين : ١٩٣-١٩٧ ، زبدة الحلب ج ٣ : ٨٦٥-٨٦٧ . تاريخ العصر الأيوبي : ١٥١-١٥٧
ابن خلدون ج ٥ : ٣١٨-٣٢٦ البداية والنهاية ج ١٢ : ٣٣٦-٣٤٦
(٢) الروضتين ج ١٢ : ١٩٤ ، منتخبات من كتاب التاريخ : ٢٤٣ ، النوادر السلطانية : ١٥٥ ، الكامل ٢١٢ : ٩
(٣) الروضتين ج ٢ : ١٨٦ ، النوادر السلطانية : ١٥٥ ، منتخبات من كتاب التاريخ : ٢٤٣
(٤) الروضتين ج ٢ / ١٩٤-١٩٥ ، زبدة الحلب ج ٣ : ٨٦٧ ، تاريخ ابن أبي الدم : ١٦٦ وجه
الكامل ٢١٣ : ٩ البداية والنهاية ج ١٢ : ٣٤٦-٣٤٧ ، النجوم الزاهرة ج ٦ : ١١٣-١١٤

الاسلام ممن واجهوا الفرنج والصليبيين وردوهم. وكان له الدور الكبير والحاسم في الكثير من المواقف والمعارك . وخلف تقي الدين من الأولاد نور الدين شهنشاه . وتقي الدين ناصر المجاهدين عماد الدين مصطفى ، والملك المنصور ناصر الدين محمد (١) . وكان قد استشهد له ولد في معركة الرملة اسمه احمد .



(١) ترويح القلوب : ٥٢ . زبدة الحلب ج ٣ : ٨٦٧

الحكم الوراثي في حماه والملك المنصور الأول

محمد بن تقي الدين عمر

(٥٨٨ - ٦١٧) هـ (١١٩١ - ١٢٢٠) م

لم يوص تقي الدين بالملك بعده لأي من أولاده أو سواهم . كما وان السلطان لم يعطه هذا الحق . الا ان ابنه محمد الذي كان يرافقه في منازكره اخفى وفاة ابيه وعاد به الى حماه . ومن هناك ارسل رساله الى السلطان يخبره بأنه قام مقام والده فيما كان له من البلدان . وطلب منه شروطاً نسب بسببها الى العصيان ، وحدث في نفس الوقت أن طلب الملك الأفضل ابن السلطان صلاح الدين من والده البلاد قاطعاً الفرات ، ولما سمع ابن تقي الدين ذلك ارسل رسوله الى الملك العادل وهو بالقدس ولاجئاً الى ظله ولائلاً بجانبه فاحتفى له وقوى امله . ثم خاطب السلطان في أمره قائلاً أنا لمضي إليه واحضره على ان تبقى له حران والرها حتى يمضي العام ، وتعطيه في السنة التالية حماه والمعرة . لكن السلطان رفض ذلك . ثم استشفع محمد بن تقي الدين الملك العادل ثانية واقترح احد قسمين اما حران والرها وسميساط ، وإما حماه ومنبج وسلمية والمعرة ، مع كفالة اخوته . وبعد اخذ ورد ورفض من السلطان الذي ضاق بما يعامله به ابن ابن اخيه ، مما شجع ابنه الملك الأفضل على الزحف بمساكره لمحاربة محمد بن تقي الدين في حماه ، وعندها تدخل الملك العادل من جديد مما اضطر السلطان لجمع الأمراء ومشاورتهم في الموضوع ، وأخيراً اقر السلطان لمحمد بن تقي الدين ، واعطاء نسخة يمين على ان يكون له ماكان لأبيه في الشام : (حماه ومنبج وسلمية ومعرة النعمان) وتؤخذ منه البلاد الجزرية . لتمتلي للملك العادل الذي أخذ حران والرها وسميساط وميافارقين .

وذهب الملك العادل الى محمد بن تقي الدين عمر ليتسلم منه البلاد الجزرية وليوقف الاستعدادات العسكرية التي كانت جارية من قبل الملك الأفضل وهكذا استقرت الأحوال . وتسلم الملك العادل البلاد الجزرية وعاد الى السلطان في جمادى الآخرة من نفس السنة (محمد) الذي اكرم السلطان وفادته وجعله في مقدمة عسكره (١) .

(١) الروضتين ج ٢ : ١٩٦ - ١٩٧ . منتخبات من كتاب التاريخ : ٢٤٣ - ٢٤٤ ، النوادر السلطانية ١٦٢ - ١٦٣ زبدة

الخطب ج ٣ : ٨٦٧ - ٨٦٨

وكان سبب تردد السلطان في حسم موضوع وراثة تقي الدين عمر أن ابنه محمد قد تولى الأمر دون رة . وحتى دون وصية من أبيه . وقيامه بذلك كان دون اتفاق مع اخوته . وسبب أهم أن حماة هي حمودة فقد كان محمد قاصراً لم يبلغ سن الرشد ، وحماة موقع متقدم وله تأثير كبير في حروب السلطان مع الفرنج وفي حماية بلاد الشام بأسرها . ونعيد لتؤكد أن الموقف المتسرع الذي أخذه محمد بن تقي الدين عمر من السلطان اساء به الى السلطان نفسه . كما وأن تلك الأحداث التي تبعت (عمر) محمد كانت سبباً في وقت مباحثات الصلح التي كانت مستم بين ملك الفرنج والسلطان والتي اوقفها الفرنج ظناً منهم ان في حرب السلطان لمحمد . سيسمح لهم بالانقضاء على القدس واستعادة ما فقدوه من مواقع .

وما ان انحسم النزاع حتى انضم الملك المنصور محمد مع عساكره للسلطان . فعاد الملك ريشارد قلب الأسد طلبه بالصلح وخصوصاً أن مرض ريشارد قد زاد. وقد عقدت الهدنة في يوم السبت ثامن عشر من شعبان عام ثمانية وثمانين وخمسة ١١٩٢م وكان الملك المنصور محمد من بين الملوك الذين اشتركوا في إبرام عقد الهدنة وشروط الصلح والذي يسمى صلح الرملة التي اتفق على استمرارها ثلاث سنوات وثلاثة أشهر ونص على احتفاظ الفرنج بالمدن الساحلية من صور إلى يافا وتبقى بيت المقدس بيد المسلمين مع السماح للحجاج المسيحيين بالحج إليها دون ضريبة (١) .

بعد أن عقد صلاح الدين الصلح اراد العودة إلى دمشق عن طريق الثغور للنظر في احوالها والتأكد من جاهزيتها ، وأراد الحج أيضاً فأرسل لمصر واليمن والخليفة العباسي يعلمهم بأن مراده الحج . فخرج من القدس إلى دمشق وبعد استراحة قصيرة توجه الى بيروت ثم عاد ثانية الى دمشق . ولم يخرج كما كان مراده حيث اصيب بحمى صفراوية عانى منها الكثير لمدة اثني عشر يوماً .

وتوفي السلطان صلاح الدين بعد صلاة الصبح من يوم الاربعاء السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسة ١١٩٣م .

وكان الملك الأفضل ابنه قد أخذ أثناء المرض عهد الامراء والولاة والحكام له بعد وفاة أبيه وولايه مادام حياً (٢) . وبعد وفاة صلاح الدين تم توزيع الملك كما يلي : استقر بالملك في دمشق وما ينسب إليها ابنه الملك الأفضل نور الدين علي . وبالديار المصرية الملك العزيز عثمان ، وبحلب الملك الظاهر

(١) النوادر السلطانية : ١٦٧ - ١٨٨ . منتخبات من كتاب التاريخ ٢٤٣ - ٢٤٥ . الروضتين ج ٢ / ١٩٦ - ٢٠٦ . الحروب الصليبية للتجمي : ١٩٠ - ١٩٨ ، تاريخ شيزر : ١٩٧ ، زبدة الحلب ج ٣ : ٨٦٨ . تاريخ العصر الأيوبي :

١٥٧ - ١٦١ الكامل ٩ : ٢٢١ ، ابن خلدون ج ٥ : ٣٢٠ - ٣٢١ Saladin 324-342.

(٢) الروضتين ج ٢ : ٢٠٦ - ٢٢٤ ، النوادر السلطانية : ١٩٦ - ٢٠٥ . منتخبات من كتاب التاريخ : ٢٤٤ - ٢٥١ . تاريخ شيزر : ١٩٧ ، الحروب الصليبية للتجمي : ٢٠٣ - ٢٠٦ ، حياة صلاح الدين ٢٠٨ - ٢١٥ . زبدة الحلب ج ٣ : ٨٦٩ تاريخ العصر الأيوبي : ١٦١ - ١٦٢ . تاريخ ابن أبي الدم : ١٦٧ وجه وظهر ، الكامل ٩ : ٢٢٥ ابن خلدون ج ٥ : ٣٣٠ - ٣٣١ Saladin 364-376.

غياث الدين غازي ، وبالكرك والشوبك والبلاد الشرقية الملك العادل سيف الدين ابو بكر بن ايوب .
 ويحياء وسلمية والمرة ومنبج وقلعة نجم الملك المنصور ناصر الدين محمد بن المعز المظفر تقي الدين
 عمر ، وفي بعلبك الملك الامجد عبد الدين بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن ايوب ، ويحمص
 والرحبة وتدمر شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شاذي ، وبصرى بيد الملك خضر بن السلطان صلاح
 الدين وهو في خدمة أخيه الملك الأفضل . وقد أخذ ابن الداية شيزر وأخذ عز الدين ابراهيم بن شمس
 الدين المقدم بفراس وكفرطاب وقامية (١) .

كانت تلك القسمة التي ذكرناها واهنة ولم ترض أحداً ، ولذلك بدأت الاضطرابات داخل الأسرة
 الأيوبية وكان من الأسباب التي زادت في تطوير المشكلة أن الملك الأفضل أبعد مساعدتي والده الذين
 غادروه الى مصر وأخذوا في تخويف العزيز من أخيه الأفضل وحثه على أخذ دمشق منه ، لذلك سار
 العزيز لاحتلال دمشق وطرد أخيه الأفضل فقام هذا الأخير بالاستيلاء بعهده الملك العادل بالكرك وأخيه
 الظاهر بحلب فسارا الى دمشق وأصلحا بين الأخوين وعاد العزيز الى مصر .

وقام الملك العادل سيف الدين ثانية وأتفق مع ابن أخيه الملك العزيز عثمان صاحب مصر ضد الملك
 الأفضل ملك دمشق وقد استنجد الأفضل بالخليفة العباسي الناصر في بغداد ولكن أخفق في ذلك مما جعله
 يفسر دمشق وقد عوض عنها بصرخدا .

وتفصيل ذلك أن الملك العادل اندفع في شعبان من سنة خمس وتسعين وخمسة مع قواته لاحتلال
 دمشق وصادف أن الملك الأفضل لم يكن فيها وقد استطاع العادل احتلال دمشق وكان معه الملك
 العزيز . قام الملك الظاهر غازي صاحب حلب وقد خاف امتداد نفوذ عمه الملك العادل فاندفع بقواته
 لنجدة الملك الأفضل وحين وصوله الى حماة منعه عسكريها من العبور على جسر العاصي الا أنه استطاع
 بالقوة عبوره وهاجم حماة وقد اتخذ الملك المنصور صاحبها خطه المهادنة ليسبى ملكه . فهادن الملك
 الظاهر وقدم له ما يحتاجه ووضع عساكره تحت تصرفه ، فأخذ قسماً من العساكر الحموية لمساعدته في
 قتال الملك العادل . وقد استحلط المنصور على موافقته قبل مغادرته حماة ، ولقاء ذلك أقبلع الملك
 الظاهر لصاحب حماة بارين التي كانت بيد عز الدين ابراهيم بن المقدم (٢) .

(١) الروضتين ج ١٢ : ١٩٠ - ٢١٣ و ٢٢٤ - ٢٣٢ ، مستغبات من كتاب للتاريخ ٢٥١ ، تاريخ شيزر : ١٩٧ .
 الحروب الصليبية للتيجي : ٢١٢

• حياة صلاح الدين : ٢٠٩ ، مفرج الكروب : ج ٤ : ٤ ، زبدة الحلب ج ٣ : ٨٧٠ - ٨٧١ البداية والنهاية ج ١٣ : ٦
 تاريخ العصر الأيوبي : ١٦٤ - ١٦٥ ، الكامل : ٩ : ٢٢٦ - ٢٢٧ ، ابن خلدون ج ٥ : ٣٣١ - ٣٣٢ النجوم الزاهرة
 ج ٦ : ١٠٣ النوادر السلطانية : ١٧٤ - ١٨٢ ، الفتح القدسي : ٥٢٨ - ٦٢٧
 (٢) الكامل في التاريخ ج ١٢ : ٥١ ، زبدة الحلب ج ٣ : ٨٧٥ ، مفرج الكروب ج ٣ : ٤٥ - ٥٠ شفاء القلوب : ٢٠٧ -
 ٢٠٩ الحروب الصليبية للتيجي : ٢١٢ ، تاريخ شيزر : ١٩٩ ، المختصر في اخبار البشر ج ٣ : ٨٦ - ٩٢ ، تاريخ العصر
 الأيوبي : ١٦٥ - ١٦٦ تاريخ ابن أبي الدم : ١٦٨ وجه ، النجوم الزاهرة ج ٦ : ١٢٠

سار الملك المنصور محمد من بارين بعد أن أقطعها له الملك الظاهر . وكان قيامه في رمضان سنة
وتسعين وخمسة . وحاصر بارين وأخذها من ابن المقدم الذي عوض عنها بمبنيج .
وأقام الملك المنصور محمد في بارين مدة لإعادة ترميم سورها الذي ضربه بشدة بالمنجنيق وهدم قسماً
كذلك كان قد أصيب في هذه المعارك بجرح .

وقد عيد الملك المنصور عيد الأضحى في بارين .
بعد احتلال دمشق من قبل الملك العزيز والملك العادل ترك الملك العزيز دمشق واتجه إلى مصر
يبقى الملك العادل في دمشق . الذي أخذ يحاول التوسع باتجاه الشرق (١) .
وفي خريف عام ٥٩٥ هـ / ١١٩٨م توفي الملك العزيز بالقاهرة اثر حصى أصابته وقد أوصى بالملك
بعده إلى ابنه الملك المنصور محمد وكان عمره يوم توفي والده تسع سنين وشهوراً ، وقد أوصى والده أن
يكون مدبره بهاء الدين قراقوش الأسدي .

إلا أنه وقع الخلاف بين أمراء الدولة في تولية أحد أبناء أيوب . لأن مصر ثغر الإسلام ويجب أن
يتول أمرها من يجمع العساكر ويقودها فكان الخلاف بين تنصيب العادل أو الأفضل وأخيراً رجح القاضي
الفاضل ترشيح الملك الأفضل وأبلغوه ذلك فجاء مسرعاً ودخل مصر متنكراً خوفاً على نفسه من أصحاب
الملك العادل. وبعد اعتلائه حكم مصر أرسل لعمه الملك العادل بأنه غير خارج عن الذي يأمره به وأنه
تحت حكمه (٢) .

إلا أن الملك الأفضل وقد حثه الكثير من الأمراء على احتلال دمشق وخصوصاً أن الملك العادل عمه
متشغل عنها في حصار ماردين . فتوجه إليها إلا أن الملك العادل سبقه إليها بيومين وحدثت معارك شديدة .
وقد وصلت قوات الملك الظاهر لمساعدته كما طلب الملك العادل المساعدة من الأمراء النابمين له . وكاد
الملك العادل يسلم دمشق للمحاصرين لولا أن دب الخلاف بين الملك الظاهر والملك الأفضل مما حمل
الملك الأفضل للعودة إلى مصر وعاد الظاهر إلى حلب .

وكان الملك العادل أثناء حصار دمشق وهو محصور بدمشق يهيء كل ما يحتاجه للهجوم على مصر
بسبب مكاتبات تمت بينه وبين بعض الأمراء هناك . وما أن انتهى الحصار حتى توجه إلى مصر وأخفق
الملك الأفضل في جمع جيش لمحاربته وانهمزت عساكره القليلة أمام جيوش العادل مما اضطره لقبول عرض
العادل بعودته إلى صرخد وقد استطاع أن يقنعه بإضافة حاني وجبل جور وميفارقين وسميساط .

-
- (١) مفرج الكروب ج ٣ : ٦٨-٤٤ ، المختصر في أخبار البشر ج ٣ / ١٢٥ ، شفاء القلوب ٢٠٨ - ٢٠٩ . الحروب
الصليبية للتلميذ ٢١٣ ، تاريخ شيزر : ١٩٩ ، زبدة الحلب ج ٣ : ٨٧٨ - ٨٩٠ ، المختصر في أخبار البشر ج ٣ / ٩٢ -
٩٦ ابن خلدون ج ٥ : ٣٣١ - ٣٣٢ البداية والنهاية ج ١٣ : ١٢ / النجوم الزاهرة : ج ٦ : ١٢٠ - ١٢٧
(٢) مفرج الكروب ج ٣ : ٧٥ - ١٠٥ ، زبدة الحلب ج ٣ : ٨٩٠ - ٨٩٢ ، شفاء القلوب : ٢٠٥ - ٢٠٨ . الحروب
الصليبية للتلميذ : ٢١٣ ، المختصر في أخبار البشر ج ٣ : ٩٦ - ٩٨ ، تاريخ العصر الأيوبي : ١٦٥ . تاريخ ابن أبي
الدم : ١٦٨ ربه وظهر

وقد دخل الملك العادل القاهرة على أساس انه كافل للملك القاصر الا ان هذا لم يدم اكثر من اسبوع حتى حلف الجميع له .

وبعد أن استقر الأمر للملك العادل في مصر استدعى ابنه الملك الكامل ناصر الدين محمداً من الشرق وجعله نائباً عنه بالديار المصرية وعاد العادل الى دمشق .

وهنا سارع الملك المنصور صاحب حماة الى عمه الملك العادل فأرسل له معتذراً إليه عن مساعدته الأفضل والظاهر ويطلب رضاه عنه وكان رسوله إليه زين الدين المعروف «بالمهبطية» فلما قدم عليه تلقاه بالترحيب والاكرام وخلع عليه واحسن اليه وظهر الرضى عن الملك المنصور .

وقد اجاب على كتابه بابيات شعرية رقيقة . ويذكر انه قال لرسوله «المولى الملك المنصور ان كانت قد صدرت منه هذه الزلة فله من الحسنات ما يحورها ويمحقها» .

ثم حلف للملك المنصور . ووثقت الصلة بعد ذلك بين الملك المنصور وعمه الملك العادل فتزوج ابنته عصمة الدين ملكة خاتون ، والدة الملك المنصور^(١) .

وكان الملك الظاهر اثناء عودته الى حلب بعد اخفاقه في حصار دمشق قد اغار على حماة وخرب ارباضها مما اضطر صاحبها الملك المنصور لمصالحته على مال اخذه منه . قيل انه ثلاثون الف دينار صورية . ثم ترك حماة وسار الى منبج .

وكان قد ارسل الملك الظاهر صاحب حلب رسالة الى الملك المنصور صاحب حماة جاء فيها : «انك تعلم محبتي لك ، وشفقتي عليك ، واعتمادى عليك . وتعلم سوء باطن الملك العادل لنا ، وان مقصوده ان تكون البلاد كلها له ولو قدر علينا ما ابقى منا أحداً ، وقد علمت ما فعله بأولاد اخيه السلطان الملك الناصر ، مع انه هو الذي ملكه وظهره الى الوجود ، بعدما كان لا يؤبه به .

وكيف تثق ، وقد اخذ منك منبج وقلمة نجم واعطاهما لابن المقدم . واختاره عليك ؟ وأنت متى وافقتني عليه رددت عليك منبج وقلمة نجم . مضافة الى كفر طاب وأقامية ، والبارية . ومفردات المعرة . وأحلف لك على هذا كله» .

ولما وردت الرسالة على الملك المنصور بذلك اعتذر عن الاجابة اليه . قائلاً «بأنى حلفت له (للعادل) ولا يسعني أن احث في يميني»^(٢) .

وقد كانت معركة حماة حامية الوطيس اذ قاتل صاحبها قتالاً شديداً وقد حاصرها الملك الظاهر من

(١) مفرج الكروبي ج ٣ : ٩٥ - ١١٤ ، زبدة الحلب ج ٣ : ١٤٦ - ١٥٣ ، شفاء القلوب : ٢٠٨ - ٢١٤ . الحروب الصليبية للتنبه : ٢١٣ المختصر في اخبار البشر ج ٣ : ٩٨ - ٩٩ . تاريخ العصر الأيوبي ١٦٥ - ١٦٦ . تاريخ ابن أبي الدم ١٦٩ وجه وظهره الكامل ٢٣١ - ٢٤٩ ، ابن خلدون ج ٥ : ٣٣٢ - ٣٣٣ .
(٢) النص كما ورد في مفرج الكروبي ج ١٣ : ١٢١ ، تاريخ العصر الأيوبي : ١٦٨ - ١٧٠ .

جهة الباب الغربي والقبلي . ثم انحدر الى جهة باب العميان ، وجرى عنده قتال كثير . وجرح الملك الظاهر بسهم في ساقه .

وذلك قبل أن يتم الصلح الذي اشرنا اليه .

واثر مصالحة الملك المنصور للعادل طلب العادل إعادة بارين لابن المقدم : وقد اقر ذلك الملك المنصور الا انه طلب من العادل رد بارين له واخذ بدلاً عنها منبج وقلعة نجم وذلك لقرب بارين من حماة فوافق العادل على ذلك واعطى منبج وقلعة نجم الى ابن المقدم بدلاً عن بارين التي بقيت بيد الملك المنصور .

ولما عصى الملك الأفضل عمه الملك العادل . أخذ العادل منه ما بيده ولم يترك له سوى سميط . فأرسل الأفضل والدته الى صاحب حماة ليرسل معها من يتوجوا له مع عمه فأرسل الملك المنصور معها القاضي زين الدين بن هندي الى العادل ولكنه لم يجيها فعدت خائبة ^(١) .

ثم تصالح الملك العادل مع الملك الظاهر صاحب حلب وخطب له بحلب وبلادها وضرب السكة باسمه واشترط الملك العادل على صاحب حلب أن يكون خمسمائة فارس من خيار عسكر حلب في خدمة الملك العادل كلما خرج الى القتال فالتزم صاحب حلب بذلك . واثرتوجه الملك العادل الى حماة نزل على تل صفرون وقام الملك المنصور صاحب حماة بجميع وظائفه واثرت المكاتبات المتعلقة بالصلح بين الملك الظاهر والملك العادل واستقرار الصلح كما قلنا اخذ الملك العادل من الظاهر المعرة واعطاها للملك المنصور صاحب حماة . وبذلك أصبحت مصر والشام بيد الملك العادل موحدة كما كانت في زمن السلطان صلاح الدين .

وقد خشي الملك العادل من استمرار وجود الملك المنصور عند بن الملك العزيز ومن الصلاحية في مصر لذلك اخرج الملك المنصور وامه واخوته من مصر الى الرها فأقاموا بها فترة ثم انتقلوا الى حلب فأقاموا عند الملك الظاهر صاحبها .

وفي هذه السنة تسع وتسعين وخمسمائة توجه الملك المنصور بعساكره الى بمرين . فنزل بقلعتها مرابطاً لفرنج الساحل وأقام بها وطلب من الملك العادل النجدة فأرسل يطلب له النجدة من صاحب بعلبك وصاحب حمص . كذلك كتب بهذا الخصوص للملك الظاهر صاحب حلب .

وفي ثالث شهر رمضان عام ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م اجتمع الفرنج من حصن الاكراد وطرابلس والحصون التي حولها من بمرسان وعندما علم الملك المنصور بذلك ركب في العساكر التي معه وتقدم اليهم وقاتلهم فهزمهم واخذ جماعة من مقدميهم وخيالتهم ، وأرسل بهم الى حماة فدخلوها راكبين خيرهم لابسين عددهم وبأيديهم رماحهم وكان يوماً مشهوداً .

(١) مفرج الكروب ج ٣ : ١١٤-١١٥ شفاء القلوب ٢١٤ . زبدة الحلب ج ٣ : ١٥٠-١٥١ تاريخ العصر الايوبي : ١٦٨-١٧٠ ، التاريخ المنصوري : ١٥٠ .

وقد كتب الملك المنصور يعلم عمه السلطان العادل بذلك فرد على كتابه بما يلي :

«وردت مكاتبة المجلس . ووقف الخادم عليها ، وفهم ما أشار إليها من بين حركته ، وسعادة وجهته . وبركة نصرته . ودخوله الى بلاد الكفار ، وما أثره فيها وفيهم من جميل الآثار . فاستبشر بما دلت عليه من هذه النعم الراحمة ، والموارف الظاهرة والباطنة ، والله تعالى يجازيه أحسن الجزاء . وبضايف له من الحسنات أوفر الأجزاء ، ويرمم سلفه الكريم ، ويمسح له في الحديث والقديم . ويؤيده في كل حركة بأحزاب الملائكة»^(١) .

وقد حاول الاستبارية ارمباب الملك المنصور ليقوم بمصالحتهم اثر هجماته عليهم لذلك ارسلوا رسولا من الداوية الى الملك المنصور يخبره فيه بوصول الفرنج الى عكا من داخل البحر في نحوستين الفاً من فارس تركبلي (منطلوعة من السكان المحليين مسلحون بالاسلحة الخفيفة) وراجل . وانهم يقصدون جهة جبلة واللاذقية .

وان مقدم الاستبارية ومقدم الداوية . والملك متوجهون الى ابن لادن ملك الارمن ، ليسلحوا بينه وبين الابرئس - صاحب انطاكية - ويأتون بآبن لادن لمساعدة الفرنج ضد المسلمين . وقام بتوجيه التهديدات بأن الفرنج في طريقهم الى بلاد الشام . وان على الملك المنصور ان يصالح بيت الاستبارة بتوسط الداوية . فأجاب المنصور :

«بأننا لا نجزع بما تقول ولا نكثرث . ولو أنهم اضعاف ذلك لناجزتهم . فقد تحققنا قسدهم لنا . وعلمنا ذلك ولا سبيل الى مصالح الاستبارة بوجه»^(٢) .

كذلك ورد كتاب الملك العادل يخبر فيه الملك المنصور بأن الفرنج قد خرجوا من البحر وتوجهوا الى جهة اللاذقية وغيرها من البلاد .

وفي الحادي والعشرين من رمضان عام ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م «خرج جمع من الاستبارة من حصن الاكراد والمرقب» تساندتهم القوات التي وصلت اليهم ، وكانت عدتهم اربعمائة فارس والفرس ومائتي راجل ومعهم قوات من التركمانية والجرجية ورماة الزنبورك .

فرتب الملك المنصور عسكره وقصدهم وقاتلهم وكسرهم ثم قتل منهم الكثيرين واسر منهم جماعة وفر الباقون . وقد تمكن المنصور من ذلك بعد ان كمن لهم كميناً وكان عدد قواته مائة فارس والفرس وخمسمائة راجل فحملت الاسرى الى حماة على خيولهم بعددهم وأسلحتهم . وبقي الملك المنصور بقلعة بعرين مرابطاً للفرنج ومعه عسكره ونجذات كانت قد وصلت إليه .

(١) مفرج الكروب ج ٣ : ١١٤-١١٥ شفاء القلوب ٢١٤ زبدة الحلب ج ٣ : ١٥١-١٥٣ تاريخ النصر الايوبي ١٧٠-١٧٣ التاريخ المنصوري ٤٤
(٢) مفرج الكروب ج ٣ : ١٤٨-١٤١ زبدة الحلب ج ٣ : ١٥٢-١٥٣ تاريخ العصر الايوبي ١٧٠-١٧٤

وضيق على الفرنج ، ففكروا مراسلاتهم طلباً للصلح الى ان اجابهم اليه وعقدوا الهدنة معهم (١) . وعاد بمساكره لحماية وتفرقت العساكر التي اتته للمساعدة من حيث اتت .
وبدخول سنة ٦٠١هـ / ١٢٠٤م انتهت هدنة الاستبارية مع الملك المنصور فأغاروا على حماة وقد انضم اليهم جمع غفير من الفرنج فنهبوا وقتلوا وسبوا وقد وصلوا الى ضيعة على باب حماة تدعى (الرقيطا) (٢) قرية جداً من الباب الغربي . وكان قد خرج من حماة من العامة خلق عظيم فلما وصل العدو وتفرقوا واختلق جماعة عند ابواب المدينة ورمى البعض بأنفسهم في الخنادق وقد رجع الفرنج ومعهم سبي كثير وأسر عدد من رجالات حماة .

طلب الملك المنصور النجدة من الملك المعظم عيسى (ابن الملك العادل) وهو نائبه بدمشق ، فسير اليه نجدة الا ان مباحثات حثيثة بذلها الفرنج كان من نتيجتها توقيع الصلح بين الطرفين .
بعد عقد الهدنة توجه الملك المنصور الى الديار المصرية للقاهرة عند الملك العادل الذي احسن استقباله واكرامه وبقي عنده شهراً (أو شهراً) ثم خلع عليه وعلى أصحابه وعاد الى حماة مكرماً .
وفي عام ثلاثة وستائة كان الملك العادل مازال في مصر وقد توالت عليه الانباء باستعدادات الفرنج العسكرية ومجومهم على حصص فجاء الشام وتابع الى بحيرة (قدس) [قلينة] واستدعى الملوك من اهل بيته والعساكر فجاؤا به ومعهم الملك المنصور صاحب حماة والملك المجاهد صاحب حمص والملك الأشجد صاحب بعلبك وولده الملك المعظم والملك الأشرف وحضر ابن اخيه الملك الظاهر ووصلت عساكر منجنار والموصل والجزيرة وآمد فاجتمع عنده نحو عشرة آلاف فارس . ثم بقي قرب البحيرة حتى صام شهر رمضان كله وتوجه نحو حصن الأكراد وفتح برجاً فيه واخذ خمسمائة اسير وأموالاً وسلاحاً ثم توجه الى قلعة قرب طرابلس ونصب عليها المجانيق ثم افتتحها ثم نازل طرابلس وضيق عليها وضرب ما حوفا وقطع اشجارها والعين النواصلة اليها وخربت طرقاتها . الا ان ضجر عسكره جعله يمدد الى البحيرة قرب حمص وهناك ارسل صاحب طرابلس في طلب الصلح مع ثلاثمائة اسير وهدايا فصالحه في آخر ذي الحجة .

وفي سنة ست وستائة سار الملك العادل الى البلاد الشرقية اثر استصراخ الملك الأوحى للملك العادل لصد الكرج وقد اشترك في هذه الحملة الملك المنصور صاحب حماة . و اشترك صاحب حماة مع

(١) مفرج الكروب ج ٣ : ١٤١ - ١٥٥ المختصر في اخبار البشر ج ٣ : ١٠٥ الكامل ٩ : ٢٩٣
(٢) الرقطة ضيعة عند باب حماة تبعد عن حماة (٤) كم حسب جدول المسافات للقطر العربي السوري وكانت تكتب القأ بدلاً من هاء في آخرها .
(٣) مفرج الكروب ج ٣ : ١٦٠ - ١٦٤ . المختصر في اخبار البشر ج ٣ : ١٠٥ - ١٠٦ . الحروب الصليبية للنسبي : ٢١٥ . صفاء القلوب : ٢١٤ - ٢١٥ .

ك الأشرف بالتزال على نصيبين فأخذها وتسليماً الخابور أيضاً وكان للملك المنصور دوره في الشفاعة
لأحب سنجار أثناء حصار الملك العادل لها (١).

وفي سنة إحدى عشرة وستائة اجتمعت جموع الفرنج من قبرص وطرابلس وعكا وأنطاكية وانضم
إليهم ابن لاون ملك الأرمن ونزلوا على حصن الأكراد القريب من حماة وقد خافهم الملك المنصور والملك
لجاهد صاحب حصن فراسل الملك المنصور الظاهر صاحب حلب طالباً منهم عدم التعرض لحماة وقد استجاب الفرنج لذلك ولم يتعرضوا لحماة وذلك
براسلة الفرنج طالباً منهم عدم التعرض لحماة وقد استجاب الفرنج لذلك ولم يتعرضوا لحماة وذلك
لمرفاق التام الحاصل بين صاحب حلب والفرنج .

وفي سنة ثلاث عشرة وستائة توفي الملك الظاهر صاحب حلب وقد خلفه الملك العزيز بن الملك
الظاهر وسار الملك المنصور صاحب حماة إلى حلب للعزاء . واثار الممارك والمهجيات التي شنها الفرنج عام
٦١٤ هـ قدم الملك العادل إلى الشام لتجميع العساكر وشن الهجمات على الفرنج إلا أن الفرنج عملوا إلى
مصر وهاجموا نهر دمياط عام ٦١٥ هـ فأخذ الملك العادل بإرسال العساكر لنجدة مصر وأخذ يتها للذهاب
إليها وكان نازلاً بمصر ثم رحل منها إلى عالقين فنزل بها ومرض هناك واشتد مرضه ثم توفي في سابع
جمادى الآخرة من سنة خمس عشرة وستائة عن عمر يناهز السابعة والخمسين . وكان أقرب أولاده إليه ابنه
الملك المعظم عيسى الذي كان بناه بلس فأخفى وفاته وذهب به إلى دمشق واستخلف الناس لابيه وله بعد
إبيه ثم استولى على أموال أبيه وعندها أشهر وفاته وجلس للعزاء وقد بلغ ما استولى عليه من أموال أبيه
بدمشق وحدها سبعة آلاف دينار (٢) . وقد كانت بلاد الملك العادل (مصر والشام) قد قسمت بعد وفاته
فأخذ الملك المعظم عيسى دمشق والقدس وطبريا والأردن والكرك وغيرها . وأخذ الملك الكامل محمد
مصر . أما ابنه الثالث الملك الأشرف موسى فكانت له ديار الجزيرة وميفارقين وخلاط . وقد قامت حركة
عصيان في مصر ضد الملك الكامل محمد قادها المشطوب مما اضطر الملك المعظم عيسى للذهاب لمصر
لمساندة أخيه. وأبعاد المشطوب نفياً إلى حماة حيث وصلها في سنة ست عشرة وستائة وقد احتفل فيه صاحبها
الملك المنصور وكرمه. وكانت سياسة المنصور في حينها اظهار الطاعة لأولاد العادل مع العمل في الخفاء
ضد هم. كذلك وصل حماة الملك الناصر الذي أرسله من مصر إبعاده عن مسرح الأحداث ريثما تستقر الأمور
في مصر (وكان مراد الملك المعظم الذي أرسله من مصر إبعاده عن مسرح الأحداث ريثما تستقر الأمور
لأخيه الملك الكامل) وكان المشطوب قد جمع الجموع وجيش الجيوش لمهاجمة حلب يعلم ومعرفة الملك
المنصور الذي يارك حركته . وأرسل معه قاضي حماة نجم الدين أبو البركات . وبعد وصول الملك الناصر
لحماة أبدى الملك المنصور كل استعداد لإرسال الجيوش .

(١) مفرج الكروب ج ٣: ١٩٠ - ١٩٧ . المختصر في أخبار البشر ج ٣: ١١٣ . التاريخ المنصوري : ٥٢ . شفاء

القلوب : ٢١٨ - ٢١٩ . زبدة الحلب ج ٣: ٩٠٦ - ٩٠٧ .

(٢) مفرج الكروب ج ٣: ٢٥٤ - ٢٧٦ . المختصر في أخبار البشر ج ٣: ١١٢ - ١٢١ . شفاء القلوب : ٢١٨ - ٢٢٩

الحروب الصليبية للنسفي ٢١٤ - ٢١٧ . زبدة الحلب ج ٣: ٩٠٦ - ٩٠٧ . تاريخ العصر الأيوبي ١٧٨ - ١٨٠ الكامل

٣١٤ : ٩ وما بعدها . ابن خلدون ج ٥: ٣٤٤ - ٣٤٥

ثم قام الملك المنصور بتحليف اهل حماة لولده الملك المظفر تقي الدين محمود على أن تكون ولاية العهد له . وكان عمر الملك المظفر سبع عشرة سنة .

ثم قام بارسال نسخة اليمين الى مصر مع العساكر التي ارسلها لنجدة خاله الملك الكامل في حربه مع الفرنج وذلك بقيادة ابنه الملك المظفر الثاني وكان معه الطواشي مرشد المنصوري . وفي مصر احسن الملك الكامل استقبال المظفر الثاني والحقه بميمنة العسكر حيث قام مقام جده الدائم في تراتيب جيوش صلاح الدين الأيوبي ^(١) .

توفي الملك المنصور محمد اثر حمى وورم دماغي واستمر مرضه واحداً وعشرين يوماً وذلك في شهر ذي القعدة من سنة سبع عشرة وستائة ١٢٢٠م وكانت وفاته في القلعة وقد اوصى قبل وفاته باخراج من كان في حبسه وقال : وفي حبسنا من قد ظلمنا بأخذ ماله واعتق ماله وإماءه ^(٢) .

كانت سياسة الملك المنصور محمد تتبع من نقطة استمرارية استقلال مملكة حماة في ظل حكمه لذلك نجده متقلباً نحو ابناء صلاح الدين . فتارة مع صاحب حلب ضد صاحب دمشق . وتارة مع صاحب دمشق ضد حلب أو غيرها . فهو يحاول ان يستند على الجهة الاقوى وهو سريع التبدل في سياسته كما رأينا .

أما في سياسته الداخلية فقد قام بإدارة مملكته إدارة حسنة وقام بتعميرها رغم الظروف التي كانت تمر بها المنطقة عموماً . فقام بهدم سور حماة الذي بناه والده من لبن وطين وحجر فاستبدله بسور حجري محكم . وقام بتعمير الخنادق حول السور وعمقها . وبنى مدرسته فوق قبر والده التي ما تزال باقية حتى الآن . وبنى حماماً كما بنى جسراً يقع قرب باب حمص وبنى سوقاً عرف باسم سوق المنصورية .

وقد شهدت حماة في فترة حكمه استقراراً نسبياً نتج عن سياسته الداخلية والخارجية . وكان شجاعاً كريم النفس احاط نفسه بالعلماء وقيل إنه كان في خدمته مائتا متعصب (عالم) من نخبة وفقهاء وعلماء وشعراء وكان يحب الشعر ويميز لمن يمدحه .

وقد كان من المصنفين والمؤرخين فهو صاحب كتاب (المضمار في التاريخ) أو (مضمار الحقائق وسر الخلائق) وهو في عشرين مجلدة وله كتاب (طبقات الشعراء) في عشر مجلدات .

وكان قد استنحلف اهل حماة على ان يخلفه ابنه الملك المظفر الثاني محمود الذي كان عند وفاته في

(١) مفرج الكروب ج ٤ : ١٨ - ٧٧ ، المختصر في اخبار البشر ج ٣ : ١٢٢ - ١٢٥ ، زبدة الخلب ج ٣ : ٩٣٢ - ٩٣٧ .

شفاء القلوب : ٢٧٣ - ٣٠٨

الحروب الصليبية للتنبسي ٢١٩ - ٢٢١

(٢) مفرج الكروب ج ٤ : ٧٧ - ٧٨ ، المختصر في اخبار البشر ج ٣ : ١٢٥ - ١٢٦ ، زبدة الخلب ج ٣ : ٩٣٧ ، تاريخ

ابن أبي الدم : ١٧١ ، التاريخ المنصوري : ٩٠ ، ابن خلدون ج ٥ : ٣٤٦

مر للملك قام ابنه الثاني الناصر قليج ارسلان باغتصاب الملك ونصب نفسه ملكاً على حماه (١) بغوياب ولي
مهد أخيه .



(١) المختصر ج ٣ : ١٢٥ - ١٢٦ ، زينة الحلب ج ٣ : ٩٢٧ ، مفرج الكروب ج ٤ : ٧٧ - ٨٦ ، التاريخ المنصوري :
٩١ ، البداية والنهاية ج ١٣ : ٩٢ .

الملك الناصر قليج ارسلان

٦١٧ - ٦٢٦ هـ / ١٢٢٠ - ١٢٢٨ م

توفي الملك المنصور في حماه وكان ابنه ولي عهده المعين في مصر . اما ابنه الثاني الملك الناصر صلاح الدين قليج ارسلان فقد كان مع خاله الملك المعظم شرف الدين عيسى صاحب دمشق بالساحل غاصرين حصون الفرنج .

اما في حماه فقد كان الوزير فيها زين الدين بن فريج الذي استغرد بالامر واتفق مع ارباب الدولة على كتمان امر وفاة الملك المنصور واستدعاء ابنه الملك الناصر قليج ارسلان وتسليم الملك إليه لما يعطونه من لين عريكته . وبذلك يستطيعون التصرف بالبلاد كيف شاءوا .

فقاموا بمراسلة الملك الناصر قليج ارسلان . وصدق أن عرف الملك المعظم عيسى بتلك المراسلات وادرك الأمر . فمنع الملك الناصر قليج ارسلان من التوجه الى حماه إلا بشرط أن يخلف له على مال يؤديه إليه . وقد اضطر الملك الناصر صاغراً لاجابة طلبه وقيل إن المبلغ كان اربعمائة الف درهم .

وصل الملك الناصر الى حماه واجتمع بالوزير زين الدين وجماعته فحلف لهم واصعدوه الى القلعة واظهروا ان والده حي وانه عهد بالسلطنة إليه ، ونادوا به ولياً للعهد وكان عمره سبع عشرة سنة . ويتوليه يكون معظم أمراء وأكابر حماه قد حنثوا بايمانهم التي حلفوها لاختيه الملك المظفر في حياة الملك المنصور .

ابقى الملك الناصر وزير أبيه زين الدين بن فريج مدة ريشا تم له الأمر . ثم تغير عليه وابعده . واستوزر رجلاً من أهل حماه يعرف باسم شهاب الدين بن القطب . كان قد جمعت به الظروف . فقد كان ابو شهاب الدين رجلاً كبيراً في العلم والفتوى وكان معيداً بالمدرسة السلطانية المنصورية . واتفق ان ولي الملك المنصور شهاب الدين ابن هذا العالم أمراً إلا انه اتهم فيه . فحبسه الملك المنصور بجميع القلعة بحماة . حيث تكرر اجتماع الملك الناصر قليج ارسلان به . وحصلت بينهما مودة وانس . وقد اخبر شهاب الدين الملك المنصور مرة ، ان شخصاً ابلغه في الحلم بان الملك الناصر قليج ارسلان سينولى الحكم بعد أبيه (رغم ان ولي العهد اختيه الملك المظفر) . سر الملك الناصر بذلك ووعد شهاب الدين بان يستوزره اذا تولى الملك " .

(١) مفرج الكروب ج ٤ : ٨٦ - ٨٨ ، المختصر ج ٣ : ١٢٦ ، زبدة الخلب ج ٣ : ٩٣٧ ، التاريخ المنصورى : ٩٢ - ٩٦ .
ابن خلدون ج ٥ : ٣٤٦ ، تاريخ ابن ابي الدم : ١٧١ ووجه وظهر . البداية والنهاية ج ١٣ : ٧٩ .

أحسن الملك الناصر لوزيره الجديد برأ بوعده ، وأقطعه اقطاعاً كبيراً ، وولاه المعرة . فترع لذلك شهاب الدين العمامة عن رأسه ولبس الشربوش (وهو قلنسوة طويلة تلبس بدل العمامة وكانت شارة الأمراء . مما يعني تخليه عن منصبه الديني وانصرافه الى منصبه السياسي الجديد) . وتصرف شهاب الدين في المعرة تصرفاً مطلقاً ، وما لبس أن تخلى عن ولاية المعرة ، وأصبح أتابك العسكر . وإليه النظر في أكثر الأمور . وتسلم اخوه عماد الدين القضاء بحماة (١) .

ان تسلط شهاب الدين على الملك الناصر وتدخله في شؤون مملكة حماة ، وازدياد هذا التدخل واتساعه ، أدى الى غضب الملك الناصر على شهاب الدين فقام في سنة اثنتين وعشرين وستائة باعتقاله وعزل أخيه عن القضاء . فهرب الأخير وبقي شهاب الدين محبوباً بالقلعة الى ان ملك المظفر حماة فاطلقه .

اما الملك المظفر ابن الملك المنصور وولي عهده فقد بلغه وفاة ابيه فاستاذن خاله السلطان الملك الكامل في التوجه من مصر الى حماة ، وهو يعتقد بأنه سيتسلم الملك عند وصوله حماة بسبب الايمان التي حلفها اهل حماة له اثناء حياة والده . فسار مسرعاً نحو حماة ولما وصل غور العاصي لقيه خاله الملك المعظم ، فأخبره بأن أخاه قد استلم الملك ، وأن وصوله لحماة يعني إما قتله أو سجنه . واقنعه ان يتوجه للمشرق ومن هناك يكتب الى ارباب الدولة . ويذكرهم بما حلقوا عليه . فإن وافقوه وعزلوا أخاه عن الملك عندها يتوجه الى حماة .

توجه الملك المظفر الى دمشق . ونزل في دار والده المعروف بدار ابن الزنجيلي . وأقام فيها مدة . ثم قام بتوجيه الرسائل الى ارباب الدولة في حماة لاعادة الحق إليه في ملك حماة . ولما لم يتم له ما أراد . قفل راجعاً الى مصر ملتحقاً بالسلطان الملك الكامل الذي أقطعه بها اقطاعاً (٢) .

اطمان الملك الناصر قليج ارسلان بعودة أخيه الملك المظفر الى مصر . فأخذ محاولاً اسباغ الشرعية على حكمه بالحصول على اعتراف الأمراء والملوك به . فسير الأتابك شهاب الدين لهذا الخصوص . ولايجاد وسيلة للتوسط بينه وبين الملك الأشرف على أن ينتمي إليه ، ويكون من قبله ليأمن بذلك من خاله السلطان الملك الكامل . وقد نجحت الوساطة وحلف الملك الأشرف ان يمنع منه من يقصده .

ولما اشتد خطر الفرنج ضد مصر ارسل الملك الكامل الى اخوته واهل بيته يحثهم على الجهاد وسرعة الحركة . فسار الأشرف وانضم اليه في طريقه الملك الناصر صاحب حماة ، والملك المجاهد صاحب حمص . والملك الأجد صاحب بعلبك مع قوات شهاب الدين طغريل . وبالطبع كان الملك المعظم

(١) مفرج الكروبي ج ٤ : ٨٦ - ٨٨ ، المختصر ج ٣ : ١٢٦ ، زبدة الحلب ج ٣ : ٩٣٧ . تاريخ ابن أبي الدم : ١٧١ وجه وظاهر . التاريخ المنصوري : ٩١ - ٩٢ ، ابن خلدون ج ٥ : ٣٤٦

(٢) مفرج الكروبي ج ٤ : ٨٨ - ٨٩ ، المختصر ج ٣ : ١٢٣ ، زبدة الحلب ج ٣ : ٩٣٧ . التاريخ المنصوري : ٩٤ - ٩٥

إتاه تشارك في هذه المسيرة نحو مصر لنجدة الملك الكامل ، وكان الفرنج قد احتلوا دمياط ، وأخذت
وعهم تخطط للتوجه نحو القاهرة .

غير أن وصول الملوك والأمراء المسلمين غير مجرى المعركة واتجه الجميع نحو ما سيعرف باسم
المنصورة . وقد سُرَّ الملك الكامل بوصول أهله ، وقام الملك الأشرف بالوساطة بين الملك الناصر قليج
ورسلان والسلطان الملك الكامل .

وأمام التحول الجديد في ميزان القوى ، حاول الفرنج بذل مساعي للصلح ، أخفقت بغلوهم في
الطلب وغم بذل الأيوبيين لهم القدس والساحل الشامي كله مقابل التخلي عن دمياط . وهنا قامت جماعة
من المسلمين فحولت مياه النيل ، وهو أثناء فيضانه عليهم ، فأغرقت مياهه الأرض حيث معسكرهم
وقطعت الطرقات . وحاصرهم المسلمون ، مما اضطرهم لتسليم دمياط والخروج سالمين بأنفسهم .
وعرفت هذه الواقعة باسم معركة المنصورة (٦١٨هـ / ١٢٢١م) وعلى أثرها عادت القوات الإسلامية إلى
أوطانها .

وقد انتزع الملك الأشرف الرقة من الملك الأعيد وأقام بها ، وورد عليه الملك الناصر قليج أرسلان
وبقي عنده مدة ثم عاد إلى حماة (١) .

اطمأن الملك الناصر قليج أرسلان للوضع السياسي لحكمه في حماة بعد أن تصالح مع الملك الكامل
في مصر إثر معركة المنصورة التي شارك فيها . واثراً للمصالحة التي تمت بينه وبين الملك الأشرف قبل المعركة.
وبالطبع كان الملك الناصر يستند في علاقته مع دمشق على الاتفاق الذي تم بينه وبين ملكها الملك المعظم
عيسى لقاء مال يدفعه له عند استلامه السلطة .

إلا أن الملك الناصر تأخر في دفع المال وشعر الملك المعظم عيسى بأن الملك الناصر يداهنه وأن في
تأخير تحصيل المبلغ قواتاً له لذلك قرر مهاجمة حماة وبذلك يستد المال المتفق عليه أو يسقط الملك الناصر
قليج أرسلان وقد اتخذ لذلك فريضة أن أميراً من أمراء الملك الكامل وهو الأمير مجاهد الدين أقبال قد هرب
من مصر وأن الملك الكامل قد كتب إليه (للملك المعظم عيسى) للقبض عليه وحمله إليه ، وقد استغل
غياب الملك الناصر عن حماة في رحلة صيد . فاتجه الملك المعظم نحو حماة في محاولة للوصول إليها ودخلها
قبل الملك الناصر .

إلا أن الملك الناصر بلغته هذه الأنباء فسارع في الرجوع إلى حماة ودخلها وتخصن في قلعتها وأغلق
أبواب البلد واستعد للحصار . وحين علم الملك المعظم بذلك أرسل للناصر يقول : «إني لم أقصد

(١) مفرج الكروب ج ٤ : ٩٤ - ١٠٧ ، المختصر ج ٣ : ١٢٩ - ١٣٠ ، زبدة الحلب ج ٣ : ٩٣٧ ، الكامل ج ٩ :
٣٢٧ ، شفاء القلوب : ٢٩٧ - ٣٠٨ ، ابن خلدون ج ٥ : ٣٤٩ ، الحروب الصليبية للتجيمي : ٢١٨ ، البدايه
والنهاية ج ٦ : ٢٤١ - ٢٤٣

قتالاً ، وإنني أتيت لعلب مجاهد الدين إقبال ، فحيث سلكت طريق المحاربة والقتال ، فنحن نسلكه أيضاً معك»^(١)

ثم ترك بعض عسكره محيطاً بحماة ، وتوجه الى سلمية ، واحتاط على ما فيها من الحواصل ، وولى فيها والياً من قبله ، ثم تركها وتوجه الى معرة النعمان التي كان فيها والياً من قبل الملك الناصر وهو شهاب الدين بن القطب الذي هرب منها قبل وصول الملك المعظم اليها . فدخل المعرة ونزل بدار الملك الناصر صاحب حماة . بعد ان استولى على ما في المعرة من الحواصل . وولى والياً من قبله ، وهناك جاءه صاحب شيزر ، كذلك وصل إليه شهاب الدين بن القطب رسولاً من الملك الناصر يستعطفه ويستميله . الا انه رده خائباً . فعاد الى حماة .

اتجه الملك المعظم الى سلمية بقصد الاستعداد لمنازلة حماة^(٢) ، وقام بالاتفاق مع العرب المقيمين حول حماة لقطع الميرة عنها . ومنع من يقصدها من الجند . في محاولة للضغط على صاحبها الملك الناصر ، وحول طرق القوافل عن حماة الى سلمية .

ولما وصلت الاخبار إلى الديار المصرية ، وصادف أن كان فيها الملك الأشرف في زيارة لاخته الملك العادل ، فقام بالتوسط والتدخل في الأمر قائلاً : «ان تركنا الملك المعظم محاصر حماة وبأخذها ، تعدى ذلك الى غيرها . واطمعت نفسه بالاستيلاء على البلاد كلها ، والمصلحة الانكار عليه وتهديده وتخويفه من مغبة فعله»^(٣)

فارسى الملك الأشرف رسولاً من قبله ، والملك الكامل رسولاً آخر الى الملك المعظم طالبين رفع الحصار عن حماة . ويأمران الملك المعظم بالرحيل عنها ، وترك الخلاف . ولم يستطع الملك المعظم رفض الطلب ، بل اضطر لبدء مفاوضات الصلح مع صاحب حماة ، وبعد ابرامه رحل الملك المعظم عن سلمية مغضباً حائقاً على اخويه . وكان ذلك بداية الخلاف الذي دب بينه وبينهما . لانه طمع بالاستيلاء على حماة وما يتبعها وضمها للملكه .

اثناء وجود الملك الأشرف بمصر وهو حليف الملك الناصر صاحب حماة ، جرى بينه وبين الملك الكامل بحث موضوع تمليك حماة للملك المظفر ولي عهدها الشرعي وهو حليف الملك الكامل . وما زال في خلعتة . ولدى الملك الكامل رغبة في تمليك حماة . لما في ذلك من مكاسب له في بلاد الشام بوضع حليف مخلص له . وقد ادرك ذلك الملك الأشرف ، فعارض في ذلك ، واتفق الطرفان على حل وسط بأن تسحب سلمية من الملك الناصر . وتعطى للمظفر . وهو ما تم بالفعل . وقام المظفر بارسال والي اليها

(١) مفرج الكروب ج ٤ : ٩٤-١٠٧ المختصر ج ٣ : ١٢٩ - ١٣٠ ، زبدة الخلب ج ٣ : ٩٣٧ ، شفاء القلوب : ٣٠٦ - ٣٠٨ ، الكامل ج ٩ : ٣٢٧ ، ابن خلدون ج ٥ : ٣٤٩ ، الحروب الصليبية للتلميحي : ٢١٨
(٢) مفرج الكروب ج ٤ : ١١٧ - ١٢٠ ، المختصر ج ٣ : ١٣١ ، زبدة الخلب ج ٣ : ٩٣٨ ، ابن خلدون ج ٥ : ٣٥٠
(٣) مفرج الكروب ج ٤ : ١٢٨

من قبله وهو الأمير حسام الدين بن محمد بن أبي علي الهذباني، وأمره بعمارة القلعة التي في داخلها وتخصيتها^(١).

كان من نتيجة ذلك أن حلق الملك المعظم على أخويه وقد شعر بعزلة السياسة فأخذ يبحث عن حلفاء له. فاتفق مع مظفر الدين بن زين الدين كوكبوري بن علي كوجك صاحب أربيل، وجلال الدين بن خوارزم شاه مشككين حلفاً فيما بينهم. وتم الاتفاق بينهم أن يهاجم مظفر الدين الموصل، ويهاجم جلال الدين خلاط. ويقصد الملك المعظم حصص وحماة. من جهة ثانية قام حلف مضاد شمل صاحب حصص وصاحب حماة والحليين وصاحب الموصل وتزعمهم الملك الأشرف. ولم يكن مع الملك المعظم من أهل بيته إلا الملك الأبعد عبد الدين بهرام شاه بن عز الدين فرخشاہ صاحب بعلبك، والملك العزيز والملك الصالح أبناء الملك العادل وكانا ملازمين خدمة أخيهما الملك المعظم.

وقد شجع الملك المعظم على استمداداته الهجومية أن أخاه الملك الكامل كان بوضع مقلقل في مصر فقد كان يخشى الخروج منها خوفاً من انقراض عسكره عليه. وبذلك وجد الملك المعظم أن الفرصة مواتية له للهجوم على حصص وحماة تنفيذاً للاتفاق المذكور. ورأى أن يبدأ بحمص، فسير جماعة من عرب دمشق. فأغاروا على حصص ونهبوها وخربوها. ثم خرج الملك المعظم من دمشق ووصل مشارف حصص.

بلغت هذه الأخبار مسامع الملك الأشرف الذي أثر عدم التدخل مباشرة فأرسل جوعاً من آل فضل من العرب لنجدة صاحب حصص. إلا أن هذه الجموع نهبت قرى المعرة وحماة أثناء سيرها وأخذت مافي بياديهما من حواصل.

وتوافق وصولهم حصص مع وصول عسكر الملك المعظم فوقعت المعركة بينهم وقد تمكن عرب آل فضل من دخول المدينة لدعم دفاعاتها.

ولما طال مقام الملك المعظم حول حصص دون نتيجة وقد وقع الفناء في عسكره وماتت دوابهم وكثر المرض فيهم اضطر للرحيل عنها نحو دمشق في رمضان من سنة ثلاث وعشرين وستائة. انتهز الملك الأشرف هذه الفرصة وجاء للمشق في محاولة لحسم النزاع. فأحسن الملك المعظم استقباله رياء ولكنه تسلط عليه وأشعره كما لو أنه أسيره. ومنعه من مغادرته ليتزعم منه موافقته على غزوه حصص وحماة. أخذ الملك الأشرف بمداورة الملك المعظم دون أن يمكنه من تحقيق أغراضه. " ولكنه حين شعر أن

(١) مفرج الكروب ج ٤: ١٢٨ - ١٢٩، زبدة الحلب ج ٣: ٩٣٩ - ٩٤٠، المختصر ج ٣: ١٣٢، التواريخ المنصوري: ٩٧، ابن خلدون ج ٥: ٣٥٠.

(٢) مفرج الكروب ج ٤: ١٧٩ - ١٨١، المختصر ج ٣: ١٣٦، زبدة الحلب ج ٣: ٩٤٣ - ٩٤٦، شفاء القلوب: ٣١٠، ابن خلدون ج ٥: ٣٥١، الحروب الصليبية للتيجي: ٢٢١.

لا خلاص له من أخيه إلا بموافقة على مشاريعه اضطر أن يحلف له بأن يعاضده ضد الملك المعادل والملك
المجاهد صاحب حمص والملك الناصر صاحب حماة ، منضياً بذلك لحلف الملك المعظم . عند ذلك
استطاع الملك الأشرف الخروج من قبضة أخيه في دمشق عائداً إلى بلاده بعد أن بقي في قبضته مدة عشرة
أشهر . وما أن وصل بلاده حتى رجع عن كل اتفاق بينهما ، واعتبر أن إيمانه التي حلفها كان مكرهاً
عليها .

وحدث ما قلب موازين القوى والأحلاف القائمة اثر وفاة الملك المعظم عيسى (بالديزنتاريا) وهو
بقلعة دمشق في ذي القعدة من سنة اربع وعشرين وستائة / ١٢٢٦م عن عمر يناهز السابعة والأربعين بعد
أن ملك دمشق استقللاً تسع سنين وعدة أشهر . وقد استولى على ملكة ابنه الملك الناصر داود وأصبح
حاكماً لدولة تمتد ما بين حمص وعريش مصر . وقد اقر عهده الملك الكامل على ذلك إلا أن المعادل طلب
منه اعطائه قلعة الشوبك ليجعلها خزانة ، وفوجئ الملك المعادل برفض الملك الناصر داود لطلبه هذا .
فما أوقع الوحشة بين الطرفين ، ولعل هذا كان باعثاً للملك الكامل على اتخاذ قراره باستعادة الشام .
فجعل ابنه ولياً لهذه المملكة وسلمه حكم مصر واتجه إلى الشام ومعه أمراؤه وقد اصطحب معه الملك المظفر الذي
وعده بإعادة حماة إليه (١) . وصلت الأخبار للملك الناصر داود صاحب دمشق فأرسل إلى عمه الملك
الأشرف مستنجداً به فجاء لنصرته لأنه رأى في تقدم الملك الكامل نحو دمشق واحتلالها تهديداً له واختلافاً
بالتوازن القائم . إلا أن (الملك الأشرف) تغير على الملك الناصر داود ونحوه إلى أخيه الملك الكامل . بعد
أن عرف أن الملك الناصر داود أصبح ورقة خاسرة وبعد أن طمع بالاتفاق مع أخيه الملك الكامل . كما
ونحوه الملك العزيز عن الملك الناصر داود بعد أن كان حليفاً له . رفض الأخير اعطاء بعلبك له .

تم الاجتماع بين الملك الكامل والملك الأشرف بتل العجول والاتفاق بينهما على إعادة التوازن
وتوزيع السلطات بين سائر ملوك الشام كما يلي : تتزع دمشق من ابن أخيهما الملك الناصر داود على أن
تكون للملك الأشرف ويعوض الملك الناصر داود بدلاً عنها (على عادة ملوك الأيوبيين) حران والرقبة
والرها وسروج ورأس عين وجبلين والموزر . تتزع بعلبك من الملك الأشرف . برام شاء وتعطى هي واعمالها
للملك العزيز عثمان مكافأة له لدخول حلف الكامل والأشرف .

تتزع حماة والمرة وبعمرين من الملك الناصر قليج أرسلان وتعطى للملك المظفر على أن يسلم سلمية
للملك المجاهد صاحب حمص (٢) .

قام الملك الأشرف بمهمة ابلاغ ابن أخيه الملك الناصر داود هذه المقررات نحوه فاجتمعاً قرب
فيق بغور الأردن وأبلغه ما تم الاتفاق عليه وأمره بتسليم دمشق والذهاب إلى الجبل الشرقية لاستلامها
ولكنه رفض واتجه لدمشق وقد انفص عنه الكثير من الأمراء الذين كانوا معه وانضموا إلى الملك الأشرف .

(١) مفرج الكروب ج ٤ : ٢٠٥ - ٢٢٦ المختصر ج ٣ : ١٣٨ ، زبدة الحلب ج ٣ : ٢٠١ - ٢٠٢ . نقباء القلوب

٣١١ ، ابن خلدون ج ٥ : ٣٥١ - ٣٥٢ ، الحروب الصليبية للتيمي : ٢٢١

(٢) مفرج الكروب ج ٤ : ٢٣٠ - ٢٣١ ، المختصر ج ٣ : ١٤٠

وكان قبل وصول الملك الناصر داود الى دمشق بأيام قد وصل إليها الملك الناصر قليج ارسلان صاحب حماة بعسكره نصرة للملك الأشرف على اساس الاتفاق القديم بين الملك الناصر داود والملك الأشرف وحينما عرف بانتفاض هذا الاتفاق ورجوع الملك الناصر داود لدمشق استعداداً للمعركة . اسرع بالعودة الى حماة ليهتم بمصلحته الشخصية اذ تأكد انه بعد انتهائهم من دمشق لا بد ان حماه هي التي ستليها (١).

ثم حاصر الملك الكامل والملك الأشرف دمشق من ناحية القدم وقطعا عنها نهري بانياس وقنوات المخصصين لشرب المدينة . وبعد ان طال الحصار واستنفذ مايبذل الملك الناصر داود قرر التسليم فآكرمه الملك الكامل واعطاه الكرك والشوبك واعمالها الا انه تنازل له عن الشوبك ودخل الملك الكامل الى دمشق والقلعة واستلمها ثم سلمها الى اخيه الملك الأشرف تنفيذاً للاتفاق (٢).

بعد أن سلم الملك الكامل لآخيه الملك الأشرف دمشق اتجه نحو حماة فنزل في سلمية وارسل الملك المظفر تقي الدين ليحاصر حماة وبعث معه الملك المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حمص والملك العزيز والملك الصالح ابن الملك العادل . . فنزلوا حماة التي استعد فيها للحصار الملك الناصر قليج ارسلان وكان عنده من الذخائر والعدد الشيء الكثير ولو امتنع فيها لطال الحصار ولو طلب عنها عوضاً لاجيب اليه . الا ان الملك الناصر قليج تعجل النزول الى الملك الكامل وقد خاف العساكر الكثيرة المحيطة به والمجانيق المنصوية على البلد مما اسقط بيده . وقد استمر حصار حماة من أول شهر رمضان حتى اول العشر الاخير منه . حيث نزل الملك الناصر قليج ارسلان من القلعة سحراً الى الملك المجاهد صاحب حمص بعد أن ابلغه برغبته بالذهاب معه الى الملك الكامل وعند وصوله اليه انتهره الملك الكامل واعتقله وامره ان يرسل امره لمن في القلعة لتسليمها الى نوابه فاجاب الى ذلك .

ولما وصلت الأنباء الى نواب قلعة حماة وكان فيها الطواشيان بشير وشجاع الدين مرسل المنصوريان وفيها بعض مماليك المنصور وخدمه وبعض أولاده امتنعوا عن ذلك واركبوا الملك المعز بن الملك المنصور شقيق الملك المظفر والملك الناصر ونادوا به في حماة ملكاً ، وهو يومئذ صغير وقالوا هذا بدل الملك الناصر والبلد له .

ولما وصل الخبر بملك للملك الكامل ارسل للملك المظفر وكان نازلاً بظاهر البلد محاصراً لها أن يتفق مع ممالك ابيه بتسليم القلعة اليه فراسلهم الملك المظفر واتفق معهم على التسليم له دون دخول عساكر الملك الكامل حماة وتم تنفيذ الاتفاق ودخل الملك المظفر حماة ونزل بدار الاكرم يومين ثم صعد في اليوم الثالث الى القلعة وتسلمها وجاء عيد الفطر في عام ستة وعشرين وستة مائة ١٢٢٨م وهو مالكة حماة فرح أهل حماة بعودة الملك الى الملك المظفر لأن في اعتناقهم ميمناً له . وقد فوض الأمور الى الأمير سيف الدين علي بن أبي علي . وقد اخذ الملك الكامل سلمية من الملك المظفر واعطاها لصاحب حمص وبقي

(١) مفرج الكروبي ج ٤ : ٢٢٧ - ٢٤٠ ، تاريخ المعصر الأيوبي ١٩٠ - ١٩٣ ، تاريخ ابن أبي الدم : ١٧٧ وجه وسهر
(٢) مفرج الكروبي ج ٤ : ٢٥٦ - ٢٥٨ ، المختصر ج ٣ : ١٤٢ / تاريخ ابن أبي الدم : ١٧٧ وجه وسهر

في يد الملك المظفر حاة والمرة ويعرين . وكانت مدة ملك قلمج ارسلان بحاة وما يتبعها تسع سنين الا نحو شهرين (١) .

بعد رحيل الملك الكامل من سلمية اطلق الملك الناصر وكتب الى الملك المظفر أن يسلم الى اخيه الملك الناصر يعرين وان يحمل اليه مافي قلعة حاة من أموال وكان فيها نحو أربع مائة ألف درهم .
وقدم الملك الناصر الى يعرين فتسلم من الملك المظفر قلعتها ثم بعث يطلب المال المأذون في تسليمه فسير الملك المظفر إليه بعضه فامتنع عن قبضه ورده وقال : « لا أقنع الا بجميع ما أمر لي السلطان الملك الكامل ، ولا انزل فيه درهما » (٢) فأخذها الملك المظفر وامتنع عن ارسال شيئاً من المال . وقد بقي مع الملك المظفر حاة والمرة فقط .

ثم رحل الملك الكامل الى البلاد الشرقية التي أخذها من الملك الأشرف وهناك استدعى الملك المظفر فسافر من حاة الى خدمته فعقد له العقد في معسكره على ابنة السلطان غازية خاتون شقيقة الملك المسعود صاحب اليمن وكتب له التقليد بمملكة حاة . ثم عاد الى حاة مسروراً (٣) .



-
- (١) مفرج الكروب ج ٤ : ٢٦٥ - ٢٧٢ ، المختصر ج ٣ : ١٤٣ - ١٤٤ . تاريخ ابن أبي الدم ١٧٣ وجه وشهر : تاريخ المنصوري : ١٨١ - ١٨٢ ، الكامل ٩ : ٣٨٠ ، ابن خلدون ج ٥ : ٣٥٢
(٢) مفرج الكروب ج ٤ : ٢٧٢ البداية والنهاية ج ١٣ : ١٢٤
(٣) مفرج الكروب ج ٤ : ٢٧٣ - ٢٧٧ ، المختصر ج ٣ : ١٤٤ - ١٤٥

الملك المظفر الثاني تقي الدين محمود

(٦٢٧ - ٦٤٢) هـ (١٢٢٩ - ١٢٤٤) م

كانت اولى اعمال الملك المظفر الثاني في حماة ان استطاع رد هجوم الفرنج الذين خرجوا من حصن الاكراد وغيره من المواقع في رمضان من سنة سبع وعشرين وستائة ١٢٢٩م وذلك في جمع غفير من مشاة ونخالة . فخرج اليهم الملك المظفر في عسكر من حماة وكان قد وصل الفرنج الى أفنون وهي ما بين حماة وبيعرين فقاتلهم هناك وحمل عليهم عدة حملات وهزمهم فولوا هاربين وقد قتل منهم عدداً كبيراً واسر جماعة منهم واسترد ما غنموه وعاد الى حماة متصراً^(١) .

ارسل الملك المظفر يستاذن الملك الكامل في انتزاع بارين من اخيه قليج ارسلان بحجة خوفه من ان يسلمها للفرنج لضعفه وضعف موقفه . فاذن الملك الكامل له في ذلك .

سار الملك المظفر من حماة متوجهاً الى بارين وحاصرها وانتزعها من اخيه الذي نزل اليه مستسلماً . فاحسن المظفر وفادته وسأله الإقامة عنده في حماة ولكنه فضل السفر الى مصر . وهناك اعطاه الملك الكامل اقطاعاً كبيراً واطلق له املاك جده التي بدمشق ، ثم بدا منه ما لا يليق من الكلام فاعتقله الملك الكامل الى ان مات قليج ارسلان في الحبس سنة خمس وثلاثين وستائة ١٢٣٧م قبل موت الملك الكامل بأيام^(٢) .

اثر تعرض ملك الروم كيقباز بن كيخسرو لخلاط رحل الكامل في شهر رمضان ٦٣١ هـ بعد ان اجتمعت الملوك بين يديه ومنهم الملك المظفر الثاني صاحب حماة .

سار الملك الكامل مع ملوكه وعساكره نحو السليمة حيث عسكر هناك وبعد استراحة قليلة جمع

(١) مفرج الكروب ج ٤ : ٣٠٣ ، السلوك ج ١ اق ١ : ٢٤٠ .
(٢) المختصر ج ٣ : ١٥٢ - ١٥٣ ، زبدة الخلب ج ٣ : ٩٦٠ - ٩٦١ ، السلوك ج ١ اق ١ : ٢٤٤ ، التاريخ المنصوري : ٢٤٩ . وقد وردت ترجمة الملك الناصر قليج ارسلان في شفاء القلوب ص : ٣٩١ - ٣٩٧ .

قواته وسار حتى نزل نهر الأزرق^(١) في حدود بلاد الروم . وحاول الملك الكامل دخول بلاد الروم عن طريق الدربند الا ان الروم حالوا بينه وبين الدخول وبنوا سوراً على رأس الدربند يمنع العساكر من الطلوع فقلت الاقوات عند عسكر الكامل وزاد الموضوع سوءاً وجود نفور بين ملوك بني أيوب بسبب ما سمع منه من انه ينوي الاحتفاظ بالشام ومصر وتعويض ملوك الشام في الشرق^(٢) .

وارسل الملك الكامل بعضاً من عساكره الى حصن منصور وهدمه ثم جاءه صاحب خرت برت أو (خرتبرت) أو (خربوط)^(٣) وهو من بني أرتق وقال : ادخل الروم من جهتي . فقطع السلطان الفرات وسار الى السويداء^(٤) . وارسل قسماً من جيشه بقيادة صاحب حماة تعدادهم ألفان وخمسمائة فارس (وقيل بل خمسة آلاف) فاقبلت الروم في اثني عشر ألفاً فاقتلوا الى آخر النهار فانهمز المظفر ودخل الى قلعة خرتبرت هو وصاحبها ودخل بقية العسكر الربض^(٥) . ففتح الروم واسروا من فيه . ووصل كيقباد فنصب على القلعة تسعة عشر منجنيقاً . ودام الحصار اربعة وعشرين يوماً واشتد الامر على من بالقلعة لكثرتهم اذ اجتمع فيها اكثر من اثني عشر ألفاً وعدم الماء والزاد فاخرج المظفر نصف من بها ثم ضاق به الامر . فطلب الأمان له وللقلعة . ونزل اليه ثالث ذي القعدة فآكرمه وخلع عليه وتسلم خرتبرت وقلاعها وكانت سبعاً والتزم بالمعوض ولم يف . واطلق المظفر بعد يومين ففرح به الكامل .

وأثناء وجود الملك المظفر الثاني في خرتبرت حصل عصيان عسكري على الملك الكامل بسبب تغير نوايا الملوك تجاه الكامل اثر تصريحه عن رغبته بضم مصر والشام وتعويض ملوك الشام بالجزيرة والشرق . فمنعت العساكر من القدوم لنجدة الملك المظفر الثاني المحاصر . وقد اضطلع الملك الكامل الامور مع الملوك الايوبيين ثم رجع بعدها كل منهم الى بلده ووصل صاحب حماة اليها لخمس بقين من ربيع الاول من سنة اثنتين وثلاثين وستة مائة^(٦) وبعد عودة الملك المظفر لحماة تابع بناء قلعة المعرة التي اشار بيئاتها سيف الدين علي بن ابي علي الهذباني . وقد تم بناؤها وشحنها بالرجال والسلاح الا ان الحلبيين حاصروها فيما بعد واخذوها وخربت المعرة بسبب قلعته^(٧) التي كانت تشكل خطراً على الحلبيين . اشتد الخلاف بين الملك الكامل والملك الاشرف بسبب الرقة وقصد الخروج عليه وكاتب ملوك

(١) النهر الأزرق : نهر في طرف بلاد الروم من جهة حلب (معجم البلدان ج ٥ : ٢١٧)

اما الدربند فقد قال عنه ياقوت الحموي انه باب الابواب وهو موقع ستراتيغي على البحر وحصن منصور يقع في

ديار مصر غربي الفرات قرب سميساط (ياقوت)

(٢) شفاء القلوب : ٣١٤-٣١٥ زبدة الحلب ج ٣ : ٩٦٢-٩٦٤ . السلوك ج ١ : ٢٤٧-٢٤٩ . المختصر ج ٣ :

١٥٤-١٥٥ ، الكامل ٩ : ٣٨١ ، ابن خلدون ج ٥ : ٣٥٨

(٣) خرتبرت أو خرت برت مدينة في أقصى ديار بكر من بلاد الروم (معجم البلدان ج ٢ : ٣٥٥)

(٤) السويداء : بلدة مشهورة في ديار مصر قرب حران (معجم البلدان ج ٣ : ٢٨٦)

(٥) الربض ماحول المدينة من خارجها .

(٦) المختصر ج ٣ : ١٥٤-١٥٦ . زبدة الحلب ج ٣ : ٩٦٦-٩٦٧ . شفاء القلوب : ٣٦٤-٣٦٥ . السلوك

ج ١ : ٢٤٨-٢٤٩

الشام ليقوموا معه فوافقوه باستثناء صاحب حماة الا ان الملك الأشرف تهدده بالمهجوم على حماة وانتزاعها منه . فتدخل صاحب حمص وتوسط بينهما فقدم الملك المظفر الى دمشق بين يدي الملك الأشرف وحلف له . كذلك راسل الملك الأشرف ملك الروم كيخسرو واتفق معه على قتال الملك الكامل ان خرج من مصر . ثم ارسل الملك الأشرف للناصر داود صاحب الكرك يطلب منه الاشتراك وعرض عليه مصاهرته وان يجعل منه ولياً لعهدده . فلم يوافق بل رحل الى الديار المصرية ودخل في خدمة الملك الكامل الذي سُرَّ به وجدد عقد زواجه من ابنته سوار التي اجبر على طلاقها اثر معركة خربت ووعده بانتزاع دمشق من الملك الأشرف واعطاها له .

وقد كتب الملك المظفر الى الملك الكامل يعرفه بانتثائه اليه وانه وافق الملك الأشرف خوفاً منه فتقبل الملك الكامل عذره ووعده بانتزاع سلمية من صاحب حمص وتسليمها اليه .

الا ان الملك الأشرف مرض بدمشق وضعف جسمه وعهد بالملك الى اخيه الملك الصالح اسماعيل بن الملك العادل صاحب بصرى لانه لم يكن له سوى ابنة واحدة زوجها للملك الجواد يونس بن مودود ابن الملك العادل .

وقد توفي الملك الأشرف بدمشق في المحرم من سنة خمس وثلاثين وستائة ودفن في تربته بجانب الجامع . بعد ان حكم في دمشق مدة ثمان سنين وشهور وعمره ستون سنة .

وتلك دمشق اخوه الصالح اسماعيل بعهد من الملك الأشرف عهده قبل وفاته . الا ان الكامل وقد وصلت انباء ماجرى بدمشق توجه نحوها ومعه الناصر داود صاحب الكرك " .

استعد الملك الصالح اسماعيل للحصار ووصلت اليه نجدة الحلبيين وصاحب حمص ونازل الملك الكامل دمشق . وقام الملك الصالح اسماعيل بحرق العقبة جميعها ومابها من خانات واسواق وفي مدة الحصار وصل من صاحب حمص رجالة نجدة للصالح اسماعيل وظفر بهم الملك الكامل وشنفهم بين البساتين . ثم قطع عن دمشق الماء وضائقها حتى غلت الاسعار واحرق الطواحين . هما اضطر الصالح اسماعيل لتسليم دمشق الى اخيه الكامل الذي عوضه عنها بعلبك والبقاع وبصرى والسواد وذلك اثر مباحثات قام بها السفير بينهما رسول الخليفة الوارد ليوقع الصلح بين الملوك من بني ايوب وهو الصاحب عمي الدين ابو المظفر يوسف بن الشيخ ابي الفرج بن الجوزي . وتسلم الكامل دمشق في عاشر جمادى الاولى ونزل بالقلعة بينما غادر دمشق الصالح اسماعيل الى بعلبك .

اما صاحب حماة الملك المظفر فقد رجع عن موافقة الجماعة من ملوك بني ايوب . وشرح للملك الكامل ما وصل من اجماع الملوك عليه . ثم طلب من صاحب حمص سلمية الا ان الاخير رفض ذلك ورغم ورود الوساطة بينهما بقي كل منهما على موقفه . لذلك ارسل الملك الكامل صاحب حماة للتزول لحمص

(١) المختصر ج ٣ : ١٥٩ - ١٦٠ . زبدة الحلب ج ٣ : ٩٧١ - ٩٧٩ . شفاء القلوب : ٣١٦ - ٣١٧ . السلوك ج ١ : ٢٥٣ - ٢٥٦ . تاريخ مصر الايوبي : ١٩٠ - ١٩٤ . ابن خلدون ج ٥ : ٣٥٨ - ٣٦٤

فنزول على الرستن. واشتد خوف شريكوه صاحب حمص الذي ارسل نساءه للملك الكامل طلباً للمصفر واسترضاءاً له الا ان الملك الكامل لم يلتفت الى ذلك . اما في حلب فقد اخذ الناس يستعدون للحصار ويجمعون الاقوات واحجار المناجيق والعساكر وارسلوا للملك الروم بطلب نجدة .

الا ان المفاجأة كانت ان الملك الكامل حينما دخل قلعة دمشق وكان الوقت شتاء اصابه زكام فدخل الحمام وسكب عليه ماء شديد الحرارة فاندفعت النزلة الى معدته وتورمت منها وحصل له سمي ثم مات وعمره نحو ستين سنة وكانت وفاته لتسع بقين من رجب سنة ٦٣٥هـ / ١٢٣٧م^(١) .

بعد وفاة الملك الكامل انسحبت عساكر الملك الكامل من حمص وعادت الى دمشق ورجع الملك المظفر الثاني صاحب حماة بعسكره عن الرستن وبقي في حماة للعزاء . وارسل الملك المجاهد صاحب حمص الى سلمية فاسترجعها وطرد نواب الملك المظفر الثاني منها، وقطع القناة الواصلة من السلمية الى حماة فجفت سواقيها ونشفت ارض بساكنها ثم قطع مياه نهر العاصي عنها برفعه سداً فوق بحيرة قدس (قطيئة) فسارت المياه في البساتين حول البحيرة وتجمعت ولما لم تجد سبيلاً هدمت السد المحدث وعادت مياه العاصي الى حماة .

وفي حلب خفت حدة الاستعداد للحصار وارسلت العساكر بقيادة الملك المعظم توران شاه لمحاربة الملك المظفر صاحب حماة في معرة النعمان وذلك انتقاماً من صاحب حماة لموافقته الملك الكامل ضد هم . فانتزع عسكر حلب معرة النعمان من يد الملك المظفر وحاصروا القلعة وهدموها ثم ساروا لمحاصرة حماة ونازلوها ونهب العسكر الحلبي قرى حماة وكان صاحبها قد احاط حاضرها بسور من لبن من جهة القبلة . وقد وصل رسول الملك الصالح بن الملك الكامل الذي استلم الحكم بعد ابيه يشفع في صاحب حماة ولكن لم يجب الى سؤاله . واثناء حصار حماة ولد لصاحبها ولده الأفضل نور الدين علي وهو والد ابي الفداء وذلك في اواخر سنة خمس وثلاثين وستائة هـ / ١٢٣٧م .

ولما طال الحصار على حماة وصاحبها صامد فيها رغم بلله الكثير من الاموال ارسلت الملكة ضيفة خاتون صاحبة حلب للعساكر ان تعود عن حماة . وقد ارادت بذلك ان تشعر الملك المظفر بحدوده ، ونجد من قوته ، ولم ترد نزاع حماة منه ، وهو ابن اختها . وقد عاد العسكر الى حلب دون طائل وكانت النتيجة ان خسر الملك المظفر المعرة وبقي يحكم حماة وبارين فقط .

قام الملك المظفر بعد هذه المعركة بهدم اسوار بارين خوفاً من ان تكون مطمعاً لاحد ملوك بني ايوب او الفرنج . بعد ان كانت اسوار قلعة المعرة هي سبب خرابها^(٢) . توفي الملك الكامل بدمشق وكان ولي عهده ابنه الملك العادل ابو بكر في مصر وقد حلف الامراء له

(١) المختصر ج ٣ : ١٦٠ - ١٦٢ . شفاء القلوب : ٣١٧ - ٣١٩ . زبدة الخلب ج ٣ : ٩٨٢ - ٩٨٣ . السلوك :

ج ١ اق ١ : ٢٥٦ - ٢٥٧ ابن خلدون ج ١٥ : ٣٥٨ - ٣٦٤
(٢) المختصر ج ٣ : ١٦١ . زبدة الخلب ج ٣ : ٩٨٢ - ٩٨٧ . السلوك ج ١ اق ١ : ٢٥٦ - ٢٦١ شفاء القلوب : ٣١٧ - ٣٢٠

وعين الملك الجواد يونس بن مودود ابن الملك العادل أبي بكر بن ايوب نائباً عنه الذي طمع بدمشق واستعصى بها. ونتيجة ضغط الملك العادل سلم الملك الجواد دمشق الى الملك الصالح ايوب واخذ بدلاً عنها البلاد الشرقية. وقد ايده في ذلك صاحب حماة الملك المظفر الذي طلب منه الاذن بمنازلة حمص واخذها من شريكوه الذي بذل مالاً كثيراً حتى عاد الملك المظفر عنه الى حماة .

ورغم الاضطرابات التي وقعت بين الأمراء الأيوبيين وتخلل وضع الملك الصالح ايوب واعتقاله ومن ثم عودته لحكم مصر فان الملك المظفر صاحب حماة بقي على ولائه للملك الصالح ايوب حتى النهاية (١) .

وفي عام ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م اصيب الملك المظفر بالفالج وشارف على الموت وقد قام بتدبير الملك لتناحريه مملوكه واستاذن داره سيف الدين طغرل ورغم تحسن الملك المظفر الا انه توفي اثر اصابته بحصى حادة وذلك عام ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م بعد ان بلغ من العمر ثلاثة وسبعين عاماً حكم حماة منهم خمس عشرة سنة وسبع اشهر وعشرة أيام .

كان الملك المظفر محب ويكرم اهل الفضل والعلم وقد بنى القلاع والابراج العالية واهتم بالعلوم والهندسة والفلك . وبنى طاحوناً على العاصي وبنى قلعة المعرة وسوراً لربض حماة .

تولى الحكم من بعد وفاته ابنه الملك المنصور الثاني عمه وكان له من العمر عشر سنين ونيف وقام بتدبير ملكه مملوك ابيه واستاذن داره سيف الدين طغرل الذي كان بالفعل منذ مرض ابيه يقوم بنفس المهام. وقد اشترك معه في هذه المهام الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصاري وعين لمساعدتهم الطواشي مرشد والوزير بهاء الدين بن التاج . وكان مرجعهم جميعاً والددة الملك الصغير غازية خاتون بنت الملك الكامل (٢) .



(١) المختصر ج ٣ : ١٦٦ ، زبدة الخلب ج ٣ : ٢٩١ - ٢٩٣ شفاء القلوب ٣٢٤ - ٣٢٥ ، السلوك ج ١ ق ١ : ٢٩٢ - ٢٩٩
(٢) المختصر ج ٣ : ١٧٣ - ١٧٤ ، شفاء القلوب : ٣٩٧ - ٤٠٦ وفيه ترجمة للملك المظفر ، السلوك ج ١ ق ١ : ٣١٨

الملك المنصور الثاني محمد (٦٤٢ - ٦٨٣ هـ) / (١٢٤٤ - ١٢٨٤ م)

تأبعت غازية خاتون والددة الملك المنصور الثاني محمد سياسة زوجها المتوفى بمؤالة الملك الصالح ايوب الذي اعطاها سلمية بعد ان انتزعها من صاحب حمص وعادت لحياة .
وقد بدأ الملك المنصور الثاني محمد باستلام مهام منصبه عند بلوغه الحلم من عام ٦٤٥ هـ / ١٢٤٧ وتزوج عائشة خاتون بنت الملك العزيز محمد صاحب حلب^(١) .
واثر وفاة الملك الصالح ايوب وتسقط شجرة الدر على الحكم . ومقتل تورانشاه واستيلاء عز الدين ايبك على السلطة الذي لقب الملك المعز والذي استطاع التخلص من الملوك الايوبيين^(٢) .
بقي الملك المنصور الثاني محمد على الحياء اثناء هذه الاضطرابات التي عمت مصر والشام واسقطت ملوك بني ايوب وادت بالنهاية لانتقال الحكم من البيت الايوبي الى المماليك البحرية في مصر .
وقد بدا في الافق السياسي خطر جديد هو خطر المغول الذين استولوا على بغداد وقتلوا الخليفة العباسي وانهوا الخلافة العباسية^(٣) ، وأوقفوا الدمار ببغداد وقتلوا من اهلها الكثير ودام القتل والسبي نحو اربعين يوماً وذلك عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٧ م. ثم اخذ المغول بالتوسع نحو بلاد الشام ففي سنة ٦٥٧ هـ / ١٢٥٨ م بدأ هولاكو هجومه على مناطق شرقي الفرات فهاجم حران واستولى عليها ومن ثم احتل البلاد الجزرية بكاملها . ثم ارسل ولده سموط بن هولاكو الى الشام فوصل ظاهر حلب وزحف نحو اعزاز فاستولى عليها . ووصلت هذه الانباء الى دمشق فقام صاحبها الملك الناصر يوسف بالتحرك نحو برزة في اواخر عام ٦٥٧ هـ / ١٢٥٨ م في عملية تجميع للقوات . وانضم اليه في برزة صاحب حماة الملك المنصور . الا ان صاحب دمشق ترك معسكر برزة ملتجئاً الى قلعة دمشق عندما سمع عن مؤامرة لاغتياله .

-
- (١) المختصر ج ٣ : ١٧٢ - ١٧٥ . السلوك ج ١ ق ٢ : ٣٢٠ - ٣٢٣ . شفاء القلوب : ٤١٤ / ابن خلدون ج ٥ : ٣٦٤ - ٣٦٧ . النجوم الزاهرة ج ٦ : ٣٦٤ . الحروب الصليبية للتبسي : ٢٢٧ - ٢٢٩ .
(٢) المختصر ج ٣ : ١٧٦ - ١٨٥ . شفاء القلوب : ٤١٢ - ٤١٤ . السلوك ج ١ ق ٢ : ٣٢٧ - ٣٧٩ ابن خلدون ج ٥ : ٣٦٣ . الحروب الصليبية للتبسي : ٢٢٨ - ٢٣٦ . تاريخ المماليك : ٣ - ٨ .
(٢) المختصر ج ٣ : ١٩٢ - ١٩٩ . قبل مرآة الزمان ج ١ : ٧٥ . السلوك ج ١ ق ٢ : ٣٨٨ - ٤٢٠ . شفاء القلوب : ٤١٦ - ٤١٩ . تاريخ حماة : ٧٣ - ٧٩ .

بعد ان احتل هولاكو المناطق التي تحيط بحلب قام بالمهجوم على المدينة فاستولى عليها وحاصر قلعتها
 التي قاومت الحصار لمدة شهر ثم سلمت لهولاكو صلحاً .
 كان سقوط حلب مؤشراً على تعاظم خطر المغول واخذت القوات الموجودة في الشام بالانسحاب .
 باتجاه مصر للاحتواء هناك ولتجميع القوات لصد هجوم المغول . وفي هذا السيل سار الطواشي مرشد الموكل
 بحماة الى دمشق للالتحاق بملك حماة الموجود فيها للاحتواء من ثم الى مصر ، بينما توجه كبراء حماة الى حلب
 ومعهم مفتاح حماة طالبين منه الامان لاهل حماة . وشحنة يكون عندهم . فامتهم هولاكو وارسل الى
 حماة شحنة رجلاً اعجبياً يدعى انه من ذرية خالد بن الوليد يقال له «خسر وشاه» الذي تقدم الى حماة
 وتولاها وأمن الرعية . وكان بقلعتها مجاهد الدين قبايز «امير جندار» فسلم القلعة إليه ، ودخل بخدمة
 المغول .

نزل الشحنة في دار المبارز ، واخذ في تهديم سور قلعة حماة تنفيذاً لسياسة هولاكو . فخربت
 اسوارها وأحرقت زروعها . وبيعت الكتب التي كانت بدار السلطنة بقلعة حماة بأبخس الاثمان . وكان
 هذا خسارة كبيرة لحماة لما كانت تضمه مكتبة القلعة من كنوز . كانت نية الشحنة تهديم اسوار مدينة
 حماة ، الا ان رجلاً من حماة اسمه «ابراهيم بن الافرنجية» وهو ضامن الجهة المفردة بذل للشحنة المغولي
 «خسر وشاه» مالا كثيراً لترك اسوار المدينة خوفاً من الفرنج القريبين اليها الموجودين في حصن الاكراد اذا ما
 هدمت اسوار المدينة (١) .

بعد ان استولى المغول على معظم بلاد الشام عزم الملك المظفر قطز على الخروج الى الشام لقتال
 المغول ، وسار من مصر بالمساكر الاسلامية وقد صاحبه الملك المنصور صاحب حماة واخوه الملك الافضل
 علي وذلك في اوائل رمضان من عام ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م .

بلغت انباء تحرك قطز لنائب هولاكو في الشام «كتبغا» فجمع عساكر المغول الموجودين في الشام
 وسار الى لقاء قطز وكان بصحبته صاحب حمص الملك الاشرف موسى الذين استطاع الحرب وانضم الى
 قطز أما الملك الناصر صاحب دمشق الذي لم يستطع دخول مصر خوفاً من صاحبها فقد وقع اسيراً بيد
 هولاكو الذي ضرب عنقه .

حدثت المعركة الفاصلة بين الطرفين في غور الأردن عند عين جالوت التي اعطت للمعركة
 اسمها . وكان النصر حليف المسلمين وهزم المغول هزيمة نكراء استاصلوا فيها عن آخرهم وتبعث
 المساكر الاسلامية ملوكهم الى البلاد الشرقية وبذلك تحررت سائر مدن بلاد الشام منهم (٢) .
 بعد انتهاء معارك المغول دخل قطز دمشق واخذ في اعادة تنظيم بلاد الشام . من ذلك اقر الملك

(١) المختصر ج ٣ : ١٩٩ - ٢٠٣ . شفاء القلوب : ٤١٦ - ٤١٩ . السلوك ج ١ ق ٢ : ٤١٧ - ٤٢٠ . البداية والنهاية
 ج ١٣ : ٢٠٠ - ٢١٩ . النجوم الزاهرة ج ٧ : ١٠٦ - ١٠٧ . تاريخ حماة : ٧٣ - ٧٩ .
 (٢) المختصر ج ٣ : ٢٠٣ . السلوك ج ١ ق ٢ : ٤٢٢ - ٤٣٣ . البداية والنهاية ج ١٣ : ٢٢٠ - ٢٢٢ .

المنصور على حماه وبارين واعاد اليه المعرة واخذ سلمية منه واعطاها لأمير العرب «عيسى بن مهنا» واعطى دمشق الى «علم الدين سنجر الحلبي» واعطى الملك السعيد حلب ، واعاد الملك الاشرف على حمص .
عاد الملك المنصور الى حماه فقبض على جماعة كانوا من المتعاونين مع المغول واعتقلهم وعاد الملك المظفر قطز الى مصر وفي طريقه اليها اغتاله «بيبرس البندقداري الصالحى» مع بعض المماليك في السابع عشر من ذي العقدة عام ٦٥٨ / ١٢٥٩ واستولى على السلطة باسم الملك الظاهر «بيبرس» ودخل القاهرة والقلمة^(١) .

استغل علم الدين سنجر حادثة مقتل قطز فجمع امراء الشام بدمشق وحلفهم لنفسه بالسلطنة وقد خالفه بذلك صاحب حماه وبذلك انفصلت الشام عن حكم بيبرس . وبنفس الوقت عاد المغول للهجوم على بلاد الشام فارسل حاكم حلب الملك السعيد وتنصيب امير اسمه «حسام الدين الجوكندار العزيزي» الذي اندفع نحو حماه جافلاً من المغول . فاستقبله صاحبها مكرهاً واتجه الجميع نحو حمص حيث تم تجميع القوات الاسلامية لمواجهة المغول وحدثت المعركة قرب الرستن فكان النصر حليف المسلمين . ونتيجة ضعف امراء الشام قام بيبرس باستردادها واعاد سلطة عليها . وقبض على سنجر الحلبي . ثم عين ايدكين البندقداري على دمشق بدلاً من سنجر واعاد صاحب حماه وصاحب حمص الى املاكهما^(٢) .

ادى هجوم المغول على بلاد الشام وسقوط ممالك بلاد الشام واستلام المماليك مصر الى سقوط الحكم الايوبي في مصر وبلاد الشام وتحوله الى دولة المماليك. الا ان سياسة الملك المنصور سواء تجاه مصر ومن فيها على سرير الحكم او تجاه الحاكم في دمشق او حلب وتجاه ممالك بلاد الشام الايوبية وانتهاجه سياسة بعيدة النظر ادت الى بقاء الحكم الايوبي في حماه ، وكانت آخر محاولات عودة الحكم الايوبي ما قام به شمس الدين اقوش البرلي من المزيزية^(٣) وبعض رجالات الناصرية^(٤) بعد التجاؤنهم الى حماه إذ أرسل البرلي للملك المنصور يقول له «انه لم يبق من البيت الايوبي غيرك قم لنصير معك وتلك البلاد»^(٥) ولكن الملك المنصور وهو بسياسة الحكمة يعرف حدوده وقدراته رده رداً قبيحاً قائلاً له «منى وفيتم لاحد من بيت

(١) المختصر ج ٣ : ٢٠٦ - ٢٠٧ ، السلوك ج ١ ق ٢ : ٤٣٢ - ٤٣٧ ، النجوم الزاهرة ج ٧ : ١١٣ - ١١٤ .
(٢) المختصر ج ٣ : ٢٠٧ - ٢١٠ ، شفاء القلوب : ٤٤١ - ٤٤٢ ، السلوك ج ١ ق ٢ : ٤٣٦ - ٤٤٥ ، البداية والنهاية ج ١٣ : ٢٢٢ ، ابن خلدون ج ٥ : ٣٦٦ - ٣٦٧ ، تاريخ المماليك : ١٩ - ٢٠ ، الحروب الصليبية للتميمي : ٢٣٦ - ٢٤٦ .

(٣) المزيزية : هم قوات كانت موالية للملك العزيز صاحب حلب وكانت هناك خلافات شديدة بينهم وبين الناصرية .

(٤) الناصرية : هم قوات كانت موالية للملك الناصر قبل هجوم المغول على الشام ونحوهم الى جهات مصر ثم تم القبض

عليهم من قبل هولاكو .
(٥) المختصر ج ٣ : ٢١١ .

استاذكم حتى تفروا لي وانا مالي حاجة بالملك وانا قانع بهذه البلدة واكون فيها صنيعاً لمن يكون مالكا للديار المصرية»

اغتاظ منه البرلي ونزل على حماه واحرق زرع نيدر العشر وسار غربي حماه فاحدث غلاء فيها ثم سار الى شيزر ومنها الى حلب وبعد مزينة المغول في معركة عين جالوت وهزيمتهم في الرستن احضر هولاكو الملك الناصر واخاه الملك الظاهر غازي وجميع الامراء والملوك من آل ايوب الذين بالاسر وقتلهم ولم يبق سوى اصغرهم سناً وهو الملك العزيز بن الملك الناصر الذي تشفعت فيه زوج هولاكو وبمن قتل غير الاخوين الملك الصالح ابن صاحب حمص .

وفي يوم الاثنين سابع ذي القعدة سنة تسع وخسين وستائة . وعند انتهاء احداث البرلي وصل الظاهر بيبرس الى دمشق فقدم اليه الملك المنصور الثاني صاحب حماه فخلع عليه واعطاه ثمانين الف درهم وحملين وثياباً واعطاه توقيماً ببلاده التي بيده .

وفي عام احدى وستين وستائة وبعد عودة الملك الاشرف صاحب حمص موسى ابن الملك المنصور ابن الملك المجاهد شيركوه بن ناصر الدين محمد بن شيركوه بن شاذي من خدمة الملك الظاهر بيبرس الى حمص مرض واشتد مرضه وتوفي الى رحمة الله فارسل الملك الظاهر وتسلم حمص في ذي القعدة وبذلك لم يبق من الممالك الايوبية سوى حماه .

في عام اربع وستين وستائة خرج الملك الظاهر بعساكره من الديار المصرية وسار الى الشام الى الساحل وجهاز عسكرياً الى طرابلس ففتحوا القليعات وحلباً وعرقاً .

ونزل الملك الظاهر على صفد ثامن شعبان وحاصرها وقد وفد إليه وهو على حصارها الملك المنصور صاحب حماه في تاسع عشر شعبان ففتحها بالامان وقتل اهلها عن آخرهم ولم يبق منهم سوى رجلين احدهما كان رسولاً لفتح المدينة ولكنه اسلم وبقي في خدمة الظاهر بيبرس. والثاني ارسله الى الفرنج في عكا ليروي لهم ما حصل بصفد بعد أن نقض الفرنج شروط التسليم .

وبعد سقوط صفد سار الملك الظاهر الى دمشق وبعد ان استقر فيها فترة جند العساكر وقدم عليهم الملك المنصور صاحب حماه وامرهم بالمسير الى بلاد الارمن ، فسار الملك المنصور بعساكره ووصلوا بلاد سيس في ذي القعدة من سنة اربع وستين وستائة ١٢٦٥م وكان صاحبها هيثوم بن قسطنطين بن باسيل الذي تحصن وجعل عسكره مع ولديه لقتال المسلمين وعندما اشتبك الجيشان كان النصر حليف المسلمين واقترو عسكر الارمن قتلاً وأسراً وقتل ابن صاحب سيس الاول واسر الثاني وانتشرت العساكر الاسلامية في

(١) المختصر ج ٣ : ٢١٠ - ٢١٤ ، السلوك ج ١ ق ٢ : ٤٦٨ - ٤٧١ ، الحروب السلبيه للتبلي ٢٤٣ - ٢٤٦ ، تاريخ الممالك ٢٥ - ٢٨

(٢) شفاء القلوب ٤٤٢ ، المختصر ج ٣ : ٢١٣ - ٢١٨ ، السلوك ج ١ ق ٢ : ٤٧٣ - ٥٠٥ ، الحروب السلبيه للتبلي ٢٤٦ ابن خلدون ج ٥ : ٣٦٩ - ٣٧٩ .

بلاد سبىس وفتحوا قلعة العامودين وقتلوا اهلها وعادت العساكر وقد امتلأت ايديهم من الغنائم .
وعندما وصل خبر هذا الفتح الى الملك الظاهر بيبرس رحل من دمشق ووصل حماه واستقبل العساكر
المنصورية وامر بتسليم الاسرى وفيهم (ليفون) ابن صاحب سبىس . ثم عاد الملك الظاهر بيبرس الى مصر
ووقع عن فرسه قرب الكرك فانكسرت فخذه وحمل في عفة الى قلعة الجبل بالقاهرة .

وفي سنة خمس وستين وسبعمائة وصل الملك المنصور عمدا الى خدمة الملك الظاهر بيبرس بالديار
المصرية وذلك ليهته بالعبافية فاجيب الى ذلك . وخرج الظاهر لاستقبالهم في العباسية . ثم طلب
المنصور من الملك الظاهر مستورا ليقوم بزيارة الاسكندرية ليراها فرسم له ذلك ، وامر اهل اسكندرية
باكرامه واحترامه فزارها برفقة الامير سنقرجاء الظاهري وبعد انتهاء زيارته للاسكندرية عاد الى مصر
(القاهرة) ثم خلع عليه السلطان الظاهر بيبرس على جاري عادته ورسم له بالدستور فعاد الى حماه .

في مستهل محرم سنة ثمان وستين وسبعمائة وصل الملك الظاهر بيبرس الى دمشق بفترة وتابع سيره من
يومه الى حماه فوصلها في الخامس من محرم ثم تابع سيره الى حلب دون توقف ثم عاد دمشق وتوجه الى
القلنس فالقاهرة ومنها عاد الى الشام واغار على عكا . ثم توجه الى دمشق ومنها الى حماه حيث جهز
العساكر لمهاجمة الحشيشية في مصياف وذلك لتبدل الاحوال بينه وبينهم منها انه حينما اغار على حصن
الاکراد (قلعة الحصن) واقام قرب حماه فقد حضر الى خدمته كثير من اصحاب البلاد المجاورة مثل صاحب
حماه وصاحب صهيون ثم تجم الدين حسن بن الشعراني صاحب قلاع الاسماعيلية ، فانه لم يحضر بل
بعث يطلب تنقيص القطيعة التي حملوها لبيت المال بدلا عما كانوا يخلون به الى الفرنج . وكان صارم الدين
مبارك بن الرضى صاحب حصن العليقة الاسماعيلي قد تغير السلطان عليه من مدة فدخل صاحب
صهيون بينه وبين السلطان في الصلح فقلده السلطان بلاد الدعوة الاسماعيلية استقلالاً . ويقال ان الذي
قام في الوساطة الملك المنصور صاحب حماه وانه هو الذي شفع فيه عند السلطان الذي كتب له منشورا
بالحصون كلها وهي : قلعة الكهف وقلعة الخواهي والمنيعة والعليقة والقدموس والرصافة ليكون نائباً
عن السلطان وعلى ان تكون مصياف وبلادها خاصاً للسلطان وارسل نائباً عنه لمصياف الامير عز الدين
العديبي .

وفي عام تسع وستين وسبعمائة في تاسع رجب نازل السلطان حصن الاكراد (قلعة الحصن) وقدم عليه
صاحب حماه وصاحب صهيون وصاحب دعوة الاسماعيلية صاحب نجم الدين وبعد قتال شديد طلب
اهلها الامان فامنهم . ومن ثم استولى السلطان على حصن العليقة من حصون الاسماعيلية .
وبعد ان اتجه السلطان الى مصر نقض صارم الدين ما اتفق عليه مع الملك الظاهر واخرج نائب

(١) المختصر ج ٤ : ٣ . الحروب الصليبية للتبسي : ٢٤٦ - ٢٤٧ . السلوك ج ٢ : ٥٤٦ - ٥٤٨ . ابن خلدون

ج ٢ : ٣٨٦ - ٣٨٧

(٢) السلوك ج ١ ق ٢ : ٥٤٨ - ٥٥٦ . المختصر ج ٤ : ٢ - ٥ . شفاء القلوب : ٤٤٢ - ٤٤٣

سلطان عز الدين من (مصياف) « فسير الملك الظاهر معالي بن قدوس على خيل البريد ومعه نجم الدين كنجي الى حماه ومعه امر بالتوجه الى (مصياف) « فخرج الملك المنصور الثاني ومعه عساكره والامير عز الدين العدوي وتوجهوا الى مصياف ، فخرج منها صارم الدين الى العليقة - واستلم الملك المنصور مصياف حيث استلمها عز الدين ثانية . وارسل الملك الظاهر لصاحب حماه امراً باعتقال صارم الدين واعتقله وارسله للقاهرة » .

في عام ٦٧٥هـ / ١٢٧٦م حضر الملك الظاهر من مصر الى الشام وقد جمع الكثير من العساكر ووقعت معركتان صغيرتان احدهما مع عساكر مغولية » .
توفي الملك الظاهر بدمشق في محرم عام ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م وقيل انه مات بسبب تجرعه كأس سم كان قد دسه للملك القاهر ولكنه شربه خطأ وقد كتم مملوكه بدر الدين تنليك وفاته . ودفنه في قرب جامع دمشق في تربته (المدرسة الظاهرية) وارحل الى مصر بالعساكر ومعه عفة مظهراً ان الملك الظاهر ما زال مريضاً وفي القاهرة اعلن وفاته واستلم الملك ولي عهده ابنة الملك السعيد » .
قام الملك السعيد عام ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م بهجوم على بلاد سيبس وقد صحبه صاحب حماه والامير سيف الدين قلاوون الصالحى وبعد انتهاء الغارة عادوا الى دمشق وفيها حصلت بعض الاضطرابات بين الملك السعيد وامراءه نتيجة سوء تصرفه .

وفي القاهرة قام الامراء بحصار الملك السعيد وتم عزله واعطى الكرك ، وقد اتفق الامراء على اقامة بدر الدين سلامش بن الملك الظاهر ببيروم ولقبوه الملك العادل وله من العرس سبع سنوات وصار الامير سيف الدين قلاوون الصالحى اتابك العسكر وقام قلاوون بتعيين سنقر الاشقر بدمشق فائتلف السلطنة بالشام . وبنفس العام قام قلاوون بخلع الصبي سلامش وتولى الملك هو وسُمي بالملك المنصور قلاوون » .

عندها اعلن سنقر الاشقر نفسه سلطاناً وحلفت العساكر له بدمشق مما اضطر قلاوون لارسال حملة لاعادة سلطته وحدثت المعركة بين العسكرين بظاهر دمشق فانتصرت قوات قلاوون وهرب سنقر الاشقر الى الرحبة وارسل يستنجد بابغاين هولاكو ويدعوه لدخول الشام وقد ساندته في ذلك امير العرب عيسى

(١) السلوك ج ١ ق ٢ : ٥٤٨ - ٥٥٦ ، المختصر ج ٤ : ٥ - ٥٠ ، شفاء القلوب : ٤٤٢ - ٤٤٣ ، ابن خلدون ج ٥ : ٣٩٠ - ٣٩١ .

(٢) السلوك ج ١ ق ٢ : ٥٤٨ - ٦٠٠ ، المختصر ج ٤ : ٧ - ١٠ .

(٣) السلوك ج ١ ق ٢ : ٦٢٠ - ٦٤٣ ، المختصر ج ٤ : ١١ - ١١٠ ، ذيل مرآة الزمان ج ٣ : ١٧٥ - ١٨٥ ، ٢٤٥ - ٢٥٠ ، البداية والنهاية ج ١٣ : ٢٧١ - ٢٧٤ ، النجوم الزاهرة ج ٧ : ٢٥٩ - ٢٦٠ ، الحروب الصليبية للتنبسي ٢٤٨ - ٢٤٩ ، تاريخ الممالك : ٢٧ - ٢٨ .

(٤) المختصر ج ١ : ١١ - ١٣ ، السلوك ٦٤٩ - ٦٥٧ ، ذيل مرآة الزمان ج ٤ : ١ - ١١ و ٣٥ - ٥٤ ، النجوم الزاهرة ج ٧ : ٢٥٦ - ٢٧٥ ، تاريخ الممالك : ٣٨ - ٤٠ .

ابن مهنا . ولكن تمت الوساطة والصلح بين السلطان وسنقر الاشقر الذي تسلم «الشفر ويكاس» .
إن الصلح الذي تم بين السلطان قلاوون وسنقر الاشقر لم يمنع ايبغاين هولاكوم من شن هجومه على
بلاد الشام فاتجه لاحتلال الرحبة وبعد احتلالها ارسل جيوشه بقيادة اخيه منكوتغر الذي توجه نحو حمص .
فسار اليها قلاوون وانضم اليه صاحب حماء وسنقر الاشقر وباقي الامراء . وحدثت المعركة بظاهر حمص
وكان النصر لحليف المسلمين وانهمز المغول وانسحبوا من الشام مرة اخرى " .

وفي سنة ثلاث وثمانين وستائة سار السلطان الملك المنصور قلاوون الى دمشق وحضر الملك المنصور
صاحب حماء الى خدمته ثم عاد كل منهما الى مقر ملكه .

وبعد عودة الملك المنصور صاحب حماء من دمشق اصيب بالحمى الصفراوية في اوائل شعبان ثم
تمائل للشفاء واشاء عليه الاطباء بالدخول الى الحمام ، فعاوده المرض ثانية واحضر له الاطباء من دمشق
مع من كان في خدمته منهم واشتد به ذات الجنب ورغم معالجتهم وعنايتهم الشديدة فانه لم يفلح معه .
وفي فترة مرضه عتق عماليكه وتاب توبة نصوحاً وكتب الى السلطان الملك المنصور قلاوون الى مصر
يسأله إقرار ابنه الملك المظفر محمود في مملكته على قاعدته . واشتد مرضه حتى توفي بكرة حادي عشر شوال
من سنة ثلاث وثمانين وستائة ١٢٨٤ م .

ورغم أن أكبر أمانيه اثناء مرضه كان أن يسمع جواب السلطان في مسألة إقرار حماء على ولده الملك
المظفر محمود ، واتفق امر وفاته قبل وصول الجواب ، وكان قد ارسل في ذلك على البريد مملوئه سنقر امير
اخور فوصل الجواب بعد موت الملك المنصور بستة ايام ، وكانت اجابة السلطان بالموافقة على تعيين
الملك المظفر محمود بن الملك المنصور محمد ، وقد قرأ الكتاب عند وصوله الى حماء بحضور الملك الافضل
والملك المظفر وعلم الدين سنجر المعروف بابن خوص .

كان للملك المنصور محمد عند السلاطين مكانة رفيعة عما يذكر ان الملك الظاهر بيبرس قدم حماء مرة
ونزل بالدار المعروفة بدار المبارز، فرفع اليه اهل حماء عدة شكايي ضد الملك المنصور فأمر الملك الظاهر
بإداره سيف الدين بلبان أن يجمع الشكاوي والا يقرأها ويضعها بمندبل يحملها فيه الى الملك المنصور
فحملها الدوادار واحضرها للملك المنصور ، وقال انه والله لم يطلع السلطان (الظاهر) عليها . فخلع
الملك المنصور على الدوادار ، وتضاعف دعاؤه للسلطان الملك الظاهر ، واخذ القصص فقال بعض
الحاضرين سوف نرى من تظلم بدون حق . وتكلموا بمثل ذلك فأمر الملك المنصور باحضار نار وحرق
تلك الشكاوي ولم يقف على شيء منها " .

وما يذكر أيضاً ان الملك المنصور قام عام ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م بزيارة للسلطان في مصر فانزله

(١) المختصر ج ٤ : ١٣ - ١٦ . البداية والنهاية ج ١٣ : ٢٨٨ - ٢٨٩ . النجوم الزاهرة ج ٧ : ٢٩٢ وما بعدها تاريخ

شهر : ٢٠٥ . تاريخ الممالك : ٤٠ - ٤٦ .

(٢) المختصر ج ٤ : ١٨ - ١٩ . صفاء القلوب : ٤٤٣ - ٤٤٥ . ذيل مرآة الزمان ج ٤ : ٢٣٦ .

السلطان بالكيش واركبه السناجق السلطانية وسأله عن حوائجه ، فقال الملك المنصور حاجتي ان اعفي
من هذا اللقب (الملك المنصور) فانه ما بقي يصلح لي ان القب بالملك المنصور وقد صار هذا لقب مولانا
السلطان الاعظم . فاجابه السلطان بأني ما تلقبت بهذا الاسم الا لمحتبي فيك ولو كان لقبك غير ذلك
كنت تلقبت فيه . فشيء فعلته محبة لاسمك كيف امكن من تغييره^(١) .



الملك المظفر الثالث محمود (٦٨٣ - ٦٩٨ هـ)

١٢٨٤ - ١٢٩٨ م

كان الملك المنصور صاحب حماه قد ارسل رسالة الى السلطان قلاوون يطلب فيها الموافقة على تسمية ابنه الملك المظفر محمود ملكاً على حماه من بعده . وكانت الرسالة قد وصلت إلى السلطان فارسل رده بالموافقة . الا ان الملك المنصور توفي قبل وصول الرد إليه ، لذلك سارع المظفر لابلاغ السلطان بوفاء المنصور واجتمع رسوله مع رسول السلطان في الطريق وكان رد السلطان بعد تبليغه وفاء المنصور بالموافقة على تعيين المظفر ، مع رسالة بأن السلطان سيصل إلى الشام وقال ونحن واصلون إلى الشام ونفعل مع الملك المظفر فوق ما في نفسه^(١) وفي أواخر عزم من هذه السنة سار السلطان الملك المنصور قلاوون إلى دمشق وسار الملك المظفر صاحب حماه وعمه الملك الأفضل ووصلا إليه في دمشق فأكرمهما كثيراً ، وأرسل إلى الملك المظفر في اليوم الثالث من وصوله التقليد بسلطنة حماه والمعرة وبارين وأرسل الشريف وشعار السلطنة وكثيراً من الهدايا للمظفر في داره بدمشق وهي المعروفة بالحافظية داخل باب الفراديس . فلبس الملك المظفر ذلك وركب بشعار السلطنة وحضر امراء السلطان وتقدموا العسكر وساروا معه من بيته إلى القلعة ومشت الامراء في خدمته ودخل الملك المظفر على السلطان فأكرمه وأجلسه إلى جانبه ، وقال : «أنت ولدي وأعز من الملك الصالح عندي فتوجه إلى بلادك وتأهب لهذه الغزاة المباركة فأنتم من بيت ميارك ما حضرتم في مكان إلا وكان النصر معكم» .^(٢)

فعاد الملك المظفر وعمره وعساكره إلى حماه للأنهاب لمعركة حصن المرقب^(٣) بعد أن انتهت مراسيم تنصيبه ملكاً على حماه . وجد الملك المظفر حماه بعد أبيه قوية عزيزة . وقد تابع عمه الملك الأفضل الذي كان الساعد الأيمن لأبيه الملك المنصور ، جهوده في خدمة الملك الجديد بنفس الروح والاخلاص الذين أبداهما لأخيه الختوفي . وساد الهدوء حماه داخلياً وقد طغت أخبار الفتوحات العسكرية وتحرير بلاد الشام من آخر معاقل الصليبيين وخطر المغول في الأجواء السياسية العامة .

(١) المختصر ج ٤ : ١٩ - (٢) المختصر ج ٤ : ١٩ : ٤٦ - ٤٧ . ابن الوردي ج ٢ : ٣٣٠ - ٣٣٢ البداية والنهاية ج ١٣ : ٣٠٥ . النجوم الزاهرة ج ٧ : ٣٦٣ .

كذلك شاركت حماه وملكها في معركة تحرير طرابلس اذ تجمعت القوات المصرية والشامية وسارت إلى طرابلس الشام . والمدينة عاصمة بالبحر من ثلاث جهات اما الجهة الرابعة فهي المتصلة مع البر . وفي هذه الجهة نصبت القوات الاسلامية المجانيق واطبقت الحصار على المدينة واشتد القتال حتى تم الفتح يوم الثلاثاء رابع ربيع الآخر من سنة ثمان وثمانين وستائة ودخلتها القوات الاسلامية عنوة فهرب اهلها الى الميناء والتجأ بعضهم الى المراكب وانجسوا الى كنيسة تسمى كنيسة سنطماس (سانت توماس) الواقعة على جزيرة قريبة من طرابلس وبعد ان انتهت المقاومة في المدينة عبرت القوات الاسلامية بخيلها سباحة نحو الجزيرة وقتلوا جميع من فيها من الرجال والنساء والصغار . وبذلك تم تحرير طرابلس بعد مائة وخمس وثمانين سنة من الاحتلال .

عاد الملك المظفر الثالث محمود مع القوات الحموية الى حماه بعد انتهاء المعركة . وفي ٦ ذي القعدة من عام ٦٨٩ هـ / ١٢٩٠ م توفي السلطان الملك المنصور قلاوون واستلم الحكم من بعده ابنه الملك الأشرف (١)

وفي أوائل جمادى الاولى من سنة تسعين وستائة ٦٩٠ هـ بدأت القوات الاسلامية تتجمع حول عكا وكان السلطان الملك الأشرف خليل قد سار بالعساكر المصرية اليها وأرسل إلى العساكر الشامية وأمرها بالحضور وان يحضروا معهم المجانيق فتوجه الملك المظفر صاحب حماه وعمه الملك الأفضل وسائر عسكر حماه إلى حصن الكراد (قلعة الحصن) وتسلموا هناك منجنيقاً عظيماً يسمى المنصوري كان له مائة عجلة ففرقت في العسكر الحموي فكان كل امير عشرة مسؤول عن عجلة واحدة وكان السير في اواخر فصل الشتاء اذ كانت فترة وقوع الامطار والثلوج وبمشقة كبيرة وصلت القوات الحموية الى عكا وقطعت المسافة بشهر كامل بدلاً من ثمانية ايام مسير الخيل بالعادة وذلك بسبب البرد وموت البقر الذي كان يشد المنجنيق .

واجتمع في عكا المجانيق الكبار والصغار . واشتد عليها القتال ولم يفلق الفرنج غالب ابوابها بل كانت مفتوحة وهم يقاتلون فيها وكان موقع الحمويين على عادتهم برأس الميمنة فكان موضعهم جانب البحر والبر عن يمينهم في مواجهة عكا . فكانوا بين نارين نار المهاجمين من البحر اذ كانوا عرضة لهجوم المراكب المنيبة بالخشب الملبس بجلود الجواميس وكانوا يرمون المسلمين بالنشاب . وكان هناك (بطسة) تهاجمهم تحمل منجنيقاً عظيماً اصابتهم منه شدة عظيمة حتى هبت الرياح القوية في ليلة وارفع المركب وانحط فانكسر المنجنيق بسبب الموج وتحطم .

اما جهة البر فكان القتال فيها شديداً . وفي اثناء فترة الحصار خرج الفرنج ليلاً مفاجئين العسكر البيزكيه (الاستطلاع) ووقع قتال شديد فانجدتهم القوات الحموية وقتلت الكثير منهم ففروا منهزمين وعند الصباح علق الملك المظفر صاحب حماه عدة رؤوس من الفرنج في رقاب خيلهم التي كسبها العسكر واحضرها الى السلطان الملك الأشرف . واشتدت مضايقة العسكر لعكا ففتحت يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الاخر بالسيف ولما

(١) المختصر ج ٤ : ٢٣ ، شفاء الفلوب : ٤٥٦ ، تاريخ الممالك : ٤٧ / ابن الوردي ج ٢ : ٢٣٢-٢٣٥
البدية والنهاية ج ١٣ : ٣٠٥-٣١٧ ، النجوم الزاهرة : ٨ : ٣-٤١٥

هاجمها المسلمون هرب جماعة من اهلها في المراكب وكان داخل البلد عدة أبراج مستعصية على الفتح وهي بمثابة قلاع بدخلها الفرنج وتحصنوا فيها فأخرجهم السلطان جميعاً وأمر بهم فضربت اعناقهم عن آخرهم حول عكا وذلك انتقاماً من الفرنج الذين قتلوا المسلمين الموجودين في عكا في زمن السلطان صلاح الدين وكان ذلك كما سلفت الاشارة يوم الجمعة أيضاً سابع عشر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وخمسة/

١١٩١ م^(١)

أمر السلطان الملك الأشرف صلاح الدين بأسوار عكا فهدمت حتى الأرض ودكت دكاً وقد غنم المسلمون شيئاً يفوت الحصر من كثرته .

دب العرب في الفرنج فأخذوا في الحرب من ساحل الشام فتسلم الملك الأشرف دون قتال صيدا وبيروت وتسلمها علم الدين سنجر الشجاعى . وتسلم مدينة صور وعنيت وانطرطوس وتظهر بذلك الشام وسواحلها من الفرنج. وبعد ذلك عاد السلطان الملك الأشرف إلى دمشق وغادر الملك المظفر محمود إلى حماه^(٢) . بعد أن تم تحرير بلاد الشام كلها من الصليبيين وقد انتهت بذلك الهجمة الصليبية .

فتروح قلعة الروم : بعد انتهاء الحروب الصليبية وتحرير بلاد الشام منهم أصبحت حدود بلاد الشام مع الأرمن ضمن إطار صراع جديد ففى سنة احدى وتسعين وستائة سار السلطان الملك الأشرف من مصر إلى الشام وجمع عساكره المصرية والشامية فسار الملك المظفر محمود وعمه الملك الأفضل إلى دمشق وساروا في خلعتهم . وسبقاه إلى حماه بعد أن عرفا قصد الملك الأشرف زيارة حماه واهتم الملك المظفر بأمر الضيافة والاقامة والتقدمة .

ثم توجه الجميع إلى حلب ومنها إلى قلعة الروم التي قامت في غربي الفرات مقابل البيرة بينها وبين سميساط ، وكانت مقر بطرك طائفة الأرمن ، ونازل السلطان القلعة في العشر الأول من جمادى الآخرة من عام احدى وتسعين وستائة وقلعة الروم حصن حصين . فنصب السلطان عليه المجانيق ونزلت القوات الحموية على رأس الجبل المطل على القلعة من شرقها فكان القتال يجري تحت سمع القوات الحموية ونظرها وكانوا يرصدون تحركات الأرمن وبعد مضايقتهم فتحت بالسيف في يوم السبت حادي عشر رجب وقتل الرجال من اهلها واسرت النساء والأولاد وقد اعتصم بعض من هرب من القلعة ومعهم قائد الأرمن كيتاغيلوس في القلعة في القلعة . وكان منجنيق الحمويين مسلطاً على القلعة فأمر السلطان صاحب حماه بأن يرمي عليهم بالمنجنيق . وحين وتوت القوات الحموية المنجنيق ليبدأوا في الضرب طلب الأرمن الامان فلم يؤمنهم السلطان إلا على أرواحهم على أن يكونوا اسرى فوافقوا على ذلك فأخذهم السلطان بكاملهم بما فيهم كيتاغيلوس . ثم رتب السلطان علم الدين سنجر الشجاعى على القلعة وأمره بتحسينها واصلاحها وجرد معه جماعة من العسكر ورجع السلطان إلى حلب ومنها إلى حماه ومعه الملك المظفر الذي

(١) ابن شداد : ١٠٣-١٧٢ ، الفتح القسي : ٩٦-٥١٣ الروضتين ج ٢ : ١٤٢-١٩٠ حطير : ١٧٩ . ابن الوردي ج ٢ :

٣٣٧-٣٣٦

(٢) المختصر ج ٤ : ٢٤-٢٦ ، شفاء القلوب : ٤٥٦-٤٥٧ تاريخ حماه : ٧٣-٧٩ الحروب الصليبية للتيسمي : ٢٥٠ تاريخ شيزر : ٢٠٦ . السلوك ج ١ في ٣ : ٧٦٣-٧٦٧ تاريخ الممالك : ٤٧-٨ قلعة الروم وتقع على الفرات (ياقوت)

النجوم الزاهرة ج ٨ : ٨-٨ البداية والنهاية ج ١٣ : ٣٢٠-٣٢١

قام بالخدمة أيضاً ثم توجه السلطان الى دمشق واعطى الملك المظفر الدستور بأن يبقى في حماه فأقام فيها ^(١)

الحملة على بلاد سبيس الأرمنية

في سنة سبع وتسعين وستائة جرد حسام الدين لاجين الملك المنصور جيشاً كثيفاً من الديار المصرية وأرسل بعض الأمراء لقيادته . وكان على رأسهم بدر الدين بكتاش الفخري المعروف بأمير سلاح . وأمر لاجين الملك المنصور بمسيره بعساكر الشام فسارت عساكر صفد ودمشق وحمص وسار الملك المظفر محمود صاحب حماه بعسكره أيضاً ووصلت العساكر الى حلب .

ثم ساروا الى بلاد سبيس ولما بلغ مسيرهم متسلك بلاد سبيس سنباط بن ليفون بعث الى السلطان يسأله العفو فلم يجبه . وكان عدد عساكر المسلمين عشرة آلاف فارس . ولما وصلوا العنتق سار الأمير بدر الدين بكتاش في طائفة من عقبة بغراس الى الاسكندرونه ونازلوا تل حمدون وتوجه الملك المظفر صاحب حماه والأمير علم الدين سنجر الدواداري والأمير شمس الدين اقسفر كرتاني في بقية الجيش الى نهر جهان ودخلوا جميعاً بلاد سبيس في يوم الخميس رابع رجب . وبعد أن اختلفت الأمراء حول قيادة الجيش والحصار استقر رأيهم اخيراً على الاغارة فتنقلعوا جهان للغارة ونزل سبيس . صاحب حماه بعسكره على مدينة سبيس فقتلوا من واجههم من الأرمن وساقوا الابقار والجواميس وعادوا الى المصيبة بعد الغارة ثم توجهوا الى بغراس ونزلوا بمرج انطاكية ثم رحلوا الى جسر الحديد يريدون العودة الى مصر وسار صاحب حماه نحوها حتى وصل قسطنطين ، ولما بلغ ذلك للسلطان امرهم بالعودة بعساكرهم لحصار سبيس وأن القيادة تكون للأمير بكتاش وأن العساكر لا ترجع الا بعد فتح تل حمدون فعادت العساكر من الروج الى حلب واقاموا فيها ثمانية ايام . ثم توجهوا الى سبيس وقد حضر هذه الحملة ابو الفداء ووصفها في مختصره . احتلت العساكر قلعة مرعش بعد ان تسلم الأمير بكتاش تل حمدون . وتجمعت الأرمن بقلعة نجم وبقي الأمير بكتاش والملك المظفر بمقابلة القلعة واتجهت باقي العساكر نحو الوطاة ولكن جاء مرسوم من السلطان بمنازلة القلعة فارتدت العساكر نحوها وحصرتها واخذت القوات الاسلامية بالهجوم عليها بدفعات كل دفعة بقيادة أمير ، وكان هجوم الأمير بكتاش وصاحب حماه ببقية الجيش طائفة بعد طائفة وكل منهم يردف الآخر فآخذوا في النقب ، واستمر الحصار واحداً وأربعين يوماً . وكان قد اجتمع فيها خلق كثير من فلاحين ونساء القرى وأولادهم وقل الماء في القلعة فكان في كل يوم يخرج عساكرها بعض الناس منها وكان المسلمون يقتلون الرجال ويقتسمون النساء والصبيان وكانت حصنة أبي الفداء جاريتمين ومملوكاً . وأثناء الحصار صادف المسلمون ضباباً قوياً ومطراً ومرض الملك المظفر ولم يكن

(١) المختصر ج ٤ : ٢٦٦-٢٧٠ . شفاء القلوب : ٤٥٧ تاريخ حماه : ٧٣-٧٩ ابن الوردي ج ٢ : ٢٣٨-٢٣٩

طبيبه معه . فقام ابرو القداء بمداواته حتى شفي وكان صاحب حماه قد نصب خيمة عند حموص كانت
مجمعاً للامراء وكانوا اذا حصل خلاف بينهم التجأوا إلى صاحب حماه في خيسته لحل الخلافات .
ولما طال الحصار على من في القلعة اذ لم يسق فيها سوى المقاتلة ، فاقترلوا بالسيوف على
الماء ، فسألوا الامان فامنوا واخذت القلعة في ذي القعدة وسار من فيها الى حيث شاء . واخذ ايضاً احد
عشر حصناً من الأرمن تسلمها الأمير سيف الدين اسدندر كرجي من أمراء دمشق . ولما تمت الفتوحات
عادت العساكر الى حلب ^(١)

الملك المظفر محمود والمغول

لم يشترك الملك المظفر محمود بأي معركة مع المغول إلا أنه في شهر رمضان من سنة ثمان وتسعين
وسمئة ٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م جهز الملك المظفر عسكر حماه للتوجه الى حلب بسبب حركة المغول واتجاههم
نحو بلاد الشام فسارت العساكر وكان فيهم ابرو القداء الى المعرة ، وهناك ورد كتاب سيف الدين بلبان
الطباخي بترأخي الأخبار ورجوع قوات المغول ، فعادت قوات حماه من المعرة . ويوم وصولها الى حماه ورد
ثانية كتاب بلبان يطلب العسكر الحموي الى حلب فتوجهوا من يومهم اليها . الا انه لم تحدث معركة
قط ^(٢)

وقد اتخذ الملك المظفر صاحب حماه سياسة عدم التدخل في شؤون الحكم في مصر والالتزام بخط
واضح وصريح هو الانصياع للحاكم بمصر ايأ كان .
لذلك كانت علاقة الملك المظفر بالسلطان قلاوون جيدة وقد شاركه في العديد من المعارك
واستمرت الحال على ذلك في عهد الملك الأشرف الذي حدثت في أيامه عدة معارك وغزوات وتم في عهده
سقوط آخر مواقع الصليبيين اثر معركة عكا بمشاركة الملك المظفر وعسكر حماه . ثم انتقلت حلبة الصراع
نحو بلاد الأرمن .

وقد حفظ السلطان الملك الأشرف الود للملك المظفر ولعمه الملك الأفضل علي .

لذلك قام الملك الأشرف في شهر جمادى الأولى من سنة اثنتين وتسعين وسمئة باستدعاء الملك المظفر
محمود وعمه الملك الأفضل علي ليحضرا على البريد الى الديار المصرية . وقد ارتأى الملك المظفر والملك
الأفضل من هذا الاستدعاء وخصوصاً انه طلب حضورها على البريد . فتوجهوا نحو الديار المصرية
ووصلوا الى قلعة الجبل في اليوم الثامن من خروجهما من حماه . وما ان وصلا حتى استقبلهما السلطان
بالترحاب وأمر بهما فادخلا الحمام بقلعة الجبل وانعم عليهما بملبوس يليق بهما واقاما في الخدمة أياماً ثم

(١) المختصر ج ٤ : ٣٥-٣٧ ، السلوك ج ١ ق ٣ : ٨٢٨-٨٤١

(٢) المختصر ج ٤ : ٣٨-٤١ ، السلوك ج ١ ق ٣ : ٨٦٧-٨٧٨

خرج السلطان الى جهة الكرك وسارت العساكر على الطريق الى دمشق ورافقه صاحب حماه وعمره . وقد منحها السلطان الاعطيات وما يحتاجان اليه في الطريق وسارا في صحبة السلطان حتى الكرك ثم بركة زيزا ووصل دمشق . ثم سار السلطان متصيذاً حتى وصل الفرقلس شرق حمص حيث اقام هناك وحضر اليه مهنا بن عيسى امير العرب واخوانه محمود وفضل وولده موسى بن مهنا فقبض السلطان على الجميع وارسلهم الى مصر فحبسوا في قلعة الجبل . ووصل السلطان الى القصب واعطى صاحب حماه الدستور فعاد الى بلده . وكان الملك الافضل علي اصيب بمرض اثناء الطريق في حنينجل فاعطاه السلطان الاذن بالسفر الى حماه (١) .

امر الاشرف صاحب حماه وعمره أن يتوجه الى حلب ويقبض بها لاجل العدو فخرج من حماه ودخل

حلب .

ارسل السلطان الى الملك الافضل الى حلب للمحضور اليه لمشاركته بالصيد بعد أن اعجب به اثناء رحلته الاخيرة من مصر الى الشام لما يتمتع به من خبرة ودراية . الا ان الملك الافضل مرض اثناء الطريق ووصل دمشق وقد اشتد به المرض وفقد فضعت قوته واشتد به المرض حتى توفي في اوائل ذي الحجة من سنة اثنتين وتسعين ومائة . ونقل الى حماه وصلي عليه بجامعها ودفن بها .

رسل الخبر الى صاحب حماه وأولاد الملك الافضل وهم جميعاً في حلب فكان العزاء هناك وقد احسن الملك المظفر محمود الى أولاد الملك الافضل واعطى بعد ذلك الدستور للعودة مع عساكره الى حماه .

كان الملك الافضل علي الساعد الايمن للملك المظفر محمود وكذلك كان بالنسبة لاييه الملك المنصور الثاني محمد وكان له دور بارز في الحياة السياسية والعسكرية لمملكة حماه الايوبية وقد خلف من الاولاد المذكور ثلاثة وهم الامير اسد الدين عمر والامير بدر الدين حسن والملك المؤيد عماد الدين اسماعيل وهو الذي سيعرف فيما بعد باسم أبي الفداء صاحب حماه (٢) .

وفي سنة ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م حدثت عدة تغييرات في الحكام في مصر اثر صراع المماليك فيما بينهم كان ملك حماه في حياته من تلك الاحداث من ذلك ففي اوائل شرم اغتيل السلطان الملك الاشرف صلاح الدين قرب تروجه وذلك من قبل بعض امراءه الذين كان قد عزلهم / ورحل الى القاهرة ودفن بها وفي القاهرة في قلعة الجبل تم اتفاق الامراء على سلطنة الملك الناصر بن السلطان الملك المنصور وجلس على سرير السلطنة في باقي العشر الاوسط من محرم وجرى تتبع قتلة الملك الاشرف وقطعت رقابهم (٣) .

وفي يوم الاربعاء تاسع المحرم جلس الامير زين الدين كتبغا المنصوري على سرير المملكة ولقب

(١) المختصر ج ٤ : ٢٨-٢٩ شفاء القلوب : ٤٥٧-٤٥٨ ، السلوك ج ١ ق ٣ : ٧٨٧ .
(٢) شفاء القلوب : ٤٤٥-٤٤٦ المختصر ج ٤ : ٢٨-٢٩ ، ترويح القلوب : ٥٤ : البداية ج ١٣ : ٣٣٤ .
(٣) المختصر ج ٤ : ٢٩-٣٠ ، السلوك ج ١ ق ٣ : ٧٨٩-٧٩١ . النجوم الزاهرة ج ٨ : ١١ .

نفسه الملك العادل زين الدين كتبغا واستحلف الناس على ذلك وجعل السلطان الملك الناصر في قاعة بقلعة الجبل وحجب الناس عنه وجعل نائبه حسام الدين لاجين .

وفي شوال من سنة خمس وتسعين وستائة خرج الملك العادل كتبغا من الديار المصرية وسار إلى الشام ووصل إلى دمشق وحضر إليه بدمشق الملك المظفر محمود صاحب حماه ثم سار الملك العادل من دمشق إلى جهة حمص متصيذاً ثم عاد إلى دمشق وفي سنة ست وتسعين وستائة في أوائل عزم غادر السلطان دمشق متوجهاً إلى مصر فلما وصل إلى نهر العوجا (الأعوج) هاجمه حسام الدين لاجين المنصوري ففر وعاد للدمشق ودخل قلعتها وحاول تشكيل فرقة لصد الهجوم ولكن عسكر دمشق لم توافقه مما اضطر لعزل نفسه وقد أعطي صرخند واتفق حسام الدين لاجين مع الأمراء على أن يتولى السلطنة ولقب بالملك المنصور حسام الدين لاجين المنصوري وذلك في شهر محرم من سنة ست وتسعين وستائة (١).

وفي عام ثمان وتسعين وستائة ليلة الجمعة حادي عشر ربيع الآخر هجم المماليك الصبيان الذين اصطفاهم لاجين لنفسه وقتلوه وقعد مقدمهم وهو سيف الدين طنجي الاشرقي في موضع النيابة . الا ان الأمراء انكرت ذلك وقتلوه واعادوا السلطان الملك الناصر عمده بن السلطان الملك المنصور قلاوون (٢).

وفاة الملك المظفر محمود :

وفي يوم الخميس الثاني والعشرين من ذي القعدة توفي صاحب حماه السلطان الملك المظفر الثالث تقي الدين محمود عن عمر بلغ إحدى وأربعين سنة وعشرة أشهر وسبعة أيام. حكم حماه منها مدة خمس عشرة سنة وشهراً ويوماً واحداً . وكان سبب وفاته انه كان غاوياً برمي البندق وأراد أن يرمي النسر فتوجه إلى جبل علاروز وهو جبل مطل على قسطنطين. وكان ذلك في شدة الحر وقتل حماداً وتركه على الجبل وعمل من أغصان الشجر كوخاً وجلس فيه. وكان معه مملوك له وابن عمه أبو الفداء. وكان يدخل الكوخ في السحر ويظل فيه إلى الظهر ولا يتكلم انتظاراً لنزول النسر على جيفة الحمار الذي نتن وكانت رائحته تصل إليهم. ولما نزل النسر على جيفة الحمار لم يقدر الملك المظفر على رميه . ثم عاد إلى حماه حيث مرض أبو الفداء حتى شارف على الموت. وقد عاده الملك المظفر الذي ابتداء المرض به ايضاً. وبعد بضع عشرة يوماً توفي . وقد اجتمع بعد وفاته أبو الفداء ابن عمه والأمير صارم الدين أربك المنصوري وأخوة أبي الفداء أسد الدين عمر وبدر الدين حسن لبحث من يخلف الملك المظفر. الا انهم اختلفوا في ذلك ولم يستطيعوا التوصل إلى قرار . وصادف أن قراستقر قد اخرج من السجن وارسل إلى الصببية (قلعة بانياس الجولان)

(١) المختصر ج ٤ : ٣٤٠-٣٣٣ ، السلوك ج ١ ق ٣ : ٧٩٣-٨٠٣ و ٨٢٣-٨٢٦ ، النجوم الزاهرة ج ٨ : ٨٥ - ٨٨

(٢) المختصر ج ٤ : ٣٧٠-٣٦٥ ، السلوك ج ١ ق ٣ : ٨٢٨-٨٤١ البداية والنهاية ج ١٤ : ٥

النجوم الزاهرة ج ٨ : ١١٥ - ١١٦

نائباً . وكان مكاناً قاصياً للمعيشة ، فأرسل قراستقر الى السلطان بمصريشتكي من مقامه هناك وانتق
وصول خبر وفاة الملك المظفر فأعطى السلطان قراستقر نيابة السلطنة بحماه .
وبذلك خرجت مملكة حماه من يد البيت التقوي الأيوبي لأول مرة منذ تأسيسها .



(١) المختصر ج ٤ : ٤١-٤٢ ، السلوك ج ١ ق ٣ : ٨٨١ ، شفاء القلوب : ٥٨ . مجلة المعرفة مقال احسان المسلم
ك ١٩٥٤ / ١ ص ١٧٢ - ١٧٧ البداية والنهاية ج ١٣ : ٣٠٥ ، النجوم ج ٨ : ١٨٩ ، ترويح القلوب : ٥٥

الفصل الرابع

فترة الانقطاع

(٦٩٨ - ٧١٠ هـ)

(١٢٩٨ - ١٣١٠ م)

أسباب هذا الانقطاع :

بقيت حماه محافظة على مركز خاص لدى السلطة المملوكية على اختلاف رجالها وامرائها وحكامها وذلك بسبب اتخاذ البيت التقي في حماه سياسة مناصرة للسلطة في مصر بعد أن تبين له نفوذ حكام مصر على بلاد الشام وعلى المنطقة ، خصوصاً بعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد . وقد وجد البيت التقي أن مناصرة الحاكم في مصر (أي حاكم فيها) هي السياسة المثل لتفادي الصراعات المحلية في بلاد الشام . إلا أنه حدث انقطاع في البيت التقي الأيوبي عن حكم حماه وجاء ذلك الانقطاع مفاجأة بعد وفاة الملك المظفر محمود وهو في ريعان شبابه ، فما هي الأسباب التي أدت إلى انقطاع الحكم التقي . وفي محاولة تحري هذه الأسباب نرى أن :

١ - وفاة الملك المظفر محمود المفاجئة حيث وافته المنية وهو شاب لم يوص بالحكم لاحد من بعده كما أنه لم يخلف وريثاً على عرشه . مما جعل سرير مملكة حماه شاغراً فجأة .

أما أولاد عمه الثلاثة فقد كان بينهم أبو الفداء مريضاً وهو بعد شاباً صغيراً ، أما أخويه أسد الدين عمر وهدر الدين حسن فقد كانا مع قوات حماه في حلب استعداداً لصد هجوم المغول المتوقع .

ولما اجتمع الشمل في حماه بعد وفاة الملك المظفر وعودة الأخوين من حلب اختلف الاخوة الثلاثة واختلف الأمراء ولم يكن بيد احدهم سلطة أو قوة عسكرية ليفرض واقعاً معيناً لذلك أخفقت مساعيهم في اختيار خلف لهم .

٢ - كان الوضع في مصر بين الأمراء المماليك والسلطان يمر بأزمة شديدة وكانت فترة بقاء السلطان للحكم قصيرة . وكان انتهاء السلطان مقتولاً قد تحول إلى أمر طبيعي . لذلك فقد الاستقرار وفقدت السلطة اتخاذ القرار . كما فقدت القدرة على التروي والتشاور قبل اتخاذ القرار . وكان هذان أهم الأسباب برص التي أتتحت لحماه للحفاظ على استقلالها وبقائها .

٣ - وكانت وفاة الملك المظفر في زمن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وفي أوائل فترة عودته للحكم ولم يمض على عودته سوى بضعة أشهر فهو غير قادر على السيطرة واتخاذ القرار الذي يراه سبباً .

٤ - وكانت وفاة الملك المظفر في فترة أراد فيها السلطان الملك الناصر التخلص من الأمراء والمماليك وتحكمين حوله بإبعادهم عن مصر وتمويلهم عنه بتعيينهم في مراكز بعيدة عن القاهرة ومصر لذلك عندما سافر منصب حماه استغله في إرسال أحد هؤلاء الأمراء إليه .

٥ - كذلك جاءت وفاة الملك المظفر في نفس الفترة التي أطلق فيها سراح قراسنقر وعهد إليه بالصبيبة (قلعة بانياس الداخل) وبعد وصوله إليها وعدم تلاؤمه بالعيش فيها اشتكى للسلطان طالباً تبديلها فكان وصول رسالته مع وصول نبأ وفاة الملك المظفر ذاك النبأ الذي لم يرفق فيه اسم مرشح بديل ليتسلم عرش حماه مما جعل السلطان على تسليم حكم حماه إلى قراسنقر على الفور .



ولاية الأمير قراستقر الحو قدار

(٦٩٨ - ٦٩٩ هـ)

(١٢٩٨ - ١٢٩٩ م)

اعطى السلطان نياحة السلطنة بحماه الى قراستقر فسار من الصبية الى حماه ووصلها في اوائل ذي الحجة من سنة ثمان وتسعين وستائة ونزل بدار الملك المظفر صاحب حماه . حيث استقبله ابو الفداء واخوته وباقي الامراء والعسكر فكانت اول اعماله ان وضع يده على تركة الملك المظفر المتوفى فاخذ منها اشياء كثيرة ، ثم اخذ من الامراء اصحاب الدواوين ايضاً اشياء كثيرة مما اغضبهم وقد وصلت هذه الأنباء الى السلطان في مصر . فارسل مناشير الى امراء حماه وجندھا باستقرارهم على ما بأيديهم من الاقطاعات وهكذا عادت الأمور الى نصابها .

وقد اتفق نائب حماه قراستقر مع ابي الفداء وأخويه أسد الدين عمر وبدر الدين حسن أولاد الملك الأفضل على ارسال هدية الى السلطان الملك الناصر اثناء وجوده في غزة . فارسلوا لبها الفداء ومعه قماشاً وخيلاً من خيل الملك المظفر صاحب حماه المتوفى وقماشه ، فسار أبو الفداء وصارم الدين ازبك المنصوري الحموي الى جهة الساحل الفلسطيني حيث اجتمعا بالسلطان قرب عسقلان فقبل الهدية وخلع على ابي الفداء وقام بزيادة اقطاعه واقطاع اخيه بدر الدين حسن . وعند عودة الوفد الى حماه قام قراستقر بزيادة اقطاع ابي الفداء وأخيه نقداً من ديوان حماه «١» . وكانت هذه اول المقابلات التي تمت بين ابي الفداء والسلطان الناصر . وفي سنة تسع وتسعين وستائة سارقازان بن أرغون بجموع عظيمة من المغل والكرج والأرمن وغيرهم وعبر الفرات ، ووصل بجموعه الى حلب ، ثم حماه ونزل على وادي جمع المروج وسارت العساكر الاسلامية بقيادة السلطان الملك الناصر حتى وصلوا ظاهر حمص وساروا الى جهة المجمع . وكان الأمير ملارو الجاشنكير هما المتغلبان على مجريات الأمور في المملكة. وقد داخل الامراء الطمع فلم يكملوا عدة جندهم ولم يجهزوا العدد الكافي من العسكر بما يقابل عسكر المغول ومن ساندتهم مما كان له اثره في الهزيمة التي حاقت بعساكر المسلمين .

فلما كان يوم الأربعاء ثامن عشر من ربيع الأول واثناء مسير السلطان ظهرت طوابع المغول فتروى

(١) المختصر ٤٢ ، مهرجان ابو الفداء : ١٧٤ - ١٧٥

على عسكر المسلمين ان وارموا الرماح واعتمدوا على ضرب السيف والدبوس^(١) وكانت عساكر المسلمين تقارب العشرين الف فارس والمغول في نحو مائة الف وقد اتخذت العساكر الاسلامية تشكيل ميمنة وقلب وميسرة وكان في الميمنة الأمير عيسى بن مهنا وعساكر العربان ويليهم الأمير بلبان الطباخي نائب حلب بعساكر حلب وحماه اما في الميسرة فكان الأمير بكتاش أمير سلاح وعدة امراء . وكان في القلب بييرس وسلار وبرسفي وغيرهم من الامراء وجعلوا امامهم المماليك السلطانية ووقف حسام الدين لاجين الاستادار مع السلطان عن بعد لادارة المعركة . وتقدم نحو خمسمائة مملوك من الزرايين الذين اشعلوا النفط فمرت خيول العساكر بقوة شوطها في العدو ، ولما طال المدى قصرت عدوها وخمد نار النفط عندها تحرك قازان بعد ما قدم عشرة الاف من مشاته يرمون النشاب واصابت سهامهم الكثير من العرب . فولى العرب اولاً (اي البدو) ثم تبعهم جيش حلب وحماه فتمت هزيمة الميمنة من قبل ميسرة قازان ووصلت الميسرة ميمنة قازان صدمة فرقت جمعها وهزمها وقتلت منها نحو خمسة الاف وكاد قازان ان يولي الادبار ثم تجمعت قوات المغل وحملت حملة واحدة على القلب فلم يثبت للهجوم . وتفرقت القوات الاسلامية ، وعادت الميسرة بعد كسرة ميمنة قازان الى حصص واتجهت العساكر المنهزمة نحو دمشق التي غادرتها بعد ساعة بعد ان علمت بان المغول ورائها . واحتل قازان دمشق واقام فيها والياً مع حامية صغيرة ثم رحل قازان الى الأغوار ومنها الى البلاد الشرقية وخلال مدة استيلاء المغول على الشام استولى على حماء شخص من الرجال الذين كانوا فيها لحفظ القلعة ويسمى عثمان السبيتاري . واستولى على الحكم في حماء والقلعة واستباح الحريم واموال اهل المدينة وسفك دم جماعة من فرسان حماء وبعض اهل الباب العربي . وكان يشارك عثمان السبيتاري رفيقاه اسمعيل واسمعه اسمعيل ، لكن عثمان غدر به وقتله وانفرد عثمان بالحكم في حماء ولقب نفسه بالملك الرحيم . وبقي كذلك الى ان وصلت العساكر المملوكية من مصر واستردت دمشق وجرى ارسال صارم الدين أزيك الحموي الى حماء ليكون فيها الى ان يحضر البهازين الدين كتيبا المنصورري النائب^(٢) .

والتجأ عثمان المذكور الى القلعة بعد أن فارقه اصحابه وتخلوا عنه فامسكوه واعتقل عثمان هذا من جنداوية (مماليك) قراستقر ، فلما وصل قراستقر الى حماء متوجهاً الى حلب نزل على تل صفرون ، وتسلم عثمان المذكور واطلقه فحضر اهل حماء اليه وشكوا ما فعل من نهب اموالهم وسفك الدماء . ولم يحقق قراستقر بالشكاوى لأن عثمان رشاه واعطاه اموال اهل حماء فاستطاعه معه ، وأحسن اليه ومنع الناس عنه ، وبقي عنده الى ان هرب قراستقر الى المغول ، فاخفى عثمان ولم يظهر . وعندما استلم ابو الفداء حماء تتبع عثمان وطلبه من نائب السلطنة بالشام الذي امسك به في بلاد عجلون وارسله معتقلاً الى حماء ، فضربت عنقه في سوق الخيل فيها بحضور العسكر . وكان ذلك يوم الاثنين رابع عشر شعبان سنة ست عشرة وسبعمائة^(٣) .

(١) السلوك ج ١ في ٣ : ٨٨٥ - المختصر ج ١ : ٤٢١ - ٤٣ ، مهرجان ابي الفداء : ١٧٤ - ١٧٥

(٢) السلوك ج ١ في ٣ : ٨٨٢ - ٨٩٥ ، النجوم الزاهرة ج ٨ : ١٢٠ - ١٢٢

(٣) المختصر ج ٤ : ٤٤ - ٤٥

ولاية الأمير كتبغا زين الدين المنصوري الحموي (الملك العادل)

(٦٩٩ - ٧٠٢ هـ) (١٢٩٩ - ١٣٠٢ م)

كان كتبغا سلطاناً كما سلفت الإشارة اذ جلس على سرير السلطنة في يوم الاربعاء تاسع المحرم من سنة اربع وتسعين وستائة بعد مقتل الشجاعى . ولقب نفسه الملك العادل ، ويمد أن اخفق في مواجهة حسام الدين لاجين المنصوري خلع نفسه عن السلطنة ، واعطي صرخند ماوى له . وبعد انسحاب المغول من الشام . وعودة القوات المملوكية إليها ، تقرر تعيين كتبغا نائباً عن السلطان في حماه ، فأرسل حسام الدين أربك الحموي إليها لغاية وصوله . وعين قرا سنقر نائباً في حلب .

سار كتبغا من دمشق الى حماه فوصلها في الرابع والعشرين من شعبان من سنة تسع وتسعين وستائة واستقر بها ، وقد اقام بدار صاحبها الملك المظفر ^(١) .

تميزت فترة ولاية كتبغا بالنشاط العسكري . ففي شهر شوال من سنة ٦٩٩ هـ / ١٢٩٩ م اشترك مع قوات حماه في الحملة التي قادها الأمير أقرش الأقرم على جبال كسروان .

وفي سنة سبعمائة اشترك مع قوات حماه التي انضمت الى قوات حلب وعلى رأسها قرا سنقر وتم تجمع القوات الاسلامية قرب حماه لمواجهة القوات المغولية المتواجدة في سرمين والمرة وبيزين والعمق . ثم توجهت القوات الاسلامية الى المرجا الا ان امطاراً غزيرة قطعت الطرقات فقلت الارزاق مما اضطر العساكر للعودة . أما المغول فبعد بقائهم ثلاثة اشهر في حلب ارتدوا عنها الى الفرات . وعندها عادت القوات المتجمعة بظاهر حماه الى مواقعها ^(٢) .

وفي عام ٧٠١ هـ / ١٣٠١ م خرج كتبغا مع عسكر حماه وامرائها وفيهم ابي الفداء للاشتراك مع القوات الاثنية من مصر بقيادة بدر الدين بكتاش وأبيك الخزندار متوجهين الى بلاد سمر مهاجرين سير وارباضها فغنموا الكثير وعادوا الى حلب . وبعد هذه الواقعة اصيب كتبغا بالمرض ^(٣) .

(١) المختصر ج ٤ : ٤٣-٤٤ ، مهرجان ابي الفداء : ١٧٤

(٢) المختصر ج ٤ : ٤٥-٤٦ ، السلوك ج ١ ق ٣ : ٩٠٦-٩٠٩ ، مهرجان ابي الفداء : ١٧٥

(٣) المختصر ج ٤ : ٤٦-٤٧ ، مهرجان ابي الفداء : ١٧٥

وفي عام ١٣٠٢هـ / ١٣٠٢م عاود المغول هجومهم على بلاد الشام فعبروا الفرات واقاموا على ضفافه مدة واثناء اقامتهم توجهت طائفة منهم تعدادها نحو عشرة الاف فارس للاغارة على القريتين .

كانت القوات الاسلامية ماتزال متجمعة حول حماه اثر عودتها من بلاد سيس . اما كتبنا فكان مريضاً وقد اصيب بالشلل . عندها اتفق امراء الشام وعلى راسهم نائب السلطنة بالساحل اسند امر الكرجي على ارسال جند من حلب وجند من حماه وكان على رأس جند حماه ابي الفداء لمواجهة القوات المغولية المهاجمة للقريتين . اتجهت القوات نحو تجمعات المغول فالتقى الجمعان في مكان يقال له (الكرم) قريباً من (عرض) (١) . ووقعت المعركة في شهر شعبان عام ١٣٠٢هـ / ١٣٠٢م وكان النصر حليف العسكر الشامي فانهزمت جموع المغول ولولوا هاربين وبقي بعض العسكر من المشاة وقد اعطاهم المسلمون الأمان الا انهم رفضوا التوقف عن القتال مما اضطر العسكر الشامي لابتدئهم . وعادت القوات بعد انتهاء المعركة الى حماه (٢) . إلا ان خسارة المغول لهذه المعركة دفعهم للانتقام فسارت جموعهم نحو بلاد الشام واقتربوا من حماه وكانت القوات الاسلامية ماتزال متجمعة حول حماه وبلغت هذه الاخبار للسلطان في مصر الذي سار بقواته باتجاه بلاد الشام . وانسحبت العساكر المتجمعة قرب حماه باتجاه دمشق في عملية تهيئ للقتال وانتظاراً لوصول نجدات السلطان من مصر .

غادر كتبنا حماه على محفة وبقي في حماه ابي الفداء يرصد المغول من العليليات ولكنه غادرها بعد ان رأى جموعهم تنزل بظاهر حماه ولحق بالقوات الحموية ونائب حماه كتبنا وذلك في القطيفة (بين النبل ودمشق) واعلم كتبنا بما رآه فسارت القوات باتجاه دمشق لتجميع القوات وخموساً ان طلائع قوات السلطان قد بدأت بالوصول الى دمشق بقيادة الأمير بيبرس الجاشنكير وتم اجتماع القوات بمرج الزنبقية بظاهر دمشق . ثم ساروا الى مرج الصفر انتظاراً لقوات السلطان (٣)

ادرك المغول اهداف القوات الشامية فسارعت قواتهم خلفها لمنحها من التجمع وإعادة تنظيم قواها فكان اللقاء عند (شقح) (٤) بطرف مرج الصفر . وكان السلطان قد وصل وتم التقاء القوات الاسلامية ساعة وصول المغول فالتحم الفريقان بمعركة شديدة .

اخذت القوات الاسلامية تنظيم قلب وميمنة وميسرة ، هاجم المغول بشكل رئيسي ميمنة القوات الاسلامية وقد خسر المسلمون فيها الكثير الا ان قوات القلب وقوات الميسرة استطاعت انتزاع النصر واندفع المغول منهزمين وقد خسروا من عساكرهم الكثير وحل الليل على الجيشين فما كان من القوات الاسلامية الا ان احاطت بباقي القوات المغولية وفي الصباح رأى المغول انفسهم محاطين بالقوات

(١) عرض بضم العين وسكون الواو . بليد في بريد الشام يدخل في اعمال حلب وهو بين تدمر والرصافة المشامية (مجمع البلدان) لياقوت الحموي .

(٢) المختصر ج ٤ : ٤٨ ، السلوك ج ١ ق ٣ : ٩٣٠ - ٩٣١ ، مهرجان ابي الفداء : ١٧٥ - ١٧٦

(٣) المختصر ج ٤ : ٤٨ - ٤٩ ، السلوك ج ١ ق ٣ : ٩٣٠ - ٩٣٨ ، مهرجان ابي الفداء : ١٧٦ - ١٧٧

(٤) شقح : قرية في حوران قرب غياغب

الاسلامية التي اخذت تهاجمهم بقوة فانهمزموا باتجاه الفرات وسار اثمهم الامير سلاار احد قواد السلطان مع اعداد من العساكر الاسلامية . وعندما وصل المغول الى الفرات لم يستطيعوا العبور بسبب ارتفاع منسوب النهر وقت فيضانه وغرق من حاول العبور فاضطر الباقي للاتجاه نحو بغداد وهلك منهم الكثيرون جوعاً أو قتلاً من قبل البدو هناك .

بعد هذه المعركة تجمعت القوات الاسلامية بدمشق ثم اعيدت الى مواقعها (١) . اما نائب حماه كتيبا فقد تابع سيره محمولا على محفة من حماه باتجاه دمشق ثم تابع نحو القاهرة وقد شارف الوصول إليها لكنه عاد ادراجه عندما بلغه انهزام المغول . وفي حماه اقام مدة يسيرة وحالته تزداد سوءاً الى ان توفي ليلة الجمعة يوم عيد الاضحى ذي الحجة سنة ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م .

ارسل ابو الفداء اثر وفاة كتيبا يمرض على السلطان توليته حماه على قاعدة اهله . لكن رسالة ابي الفداء وصلت متأخرة اذ كان السلطان قد قرر عليها سيف الدين قبيجق نائبه في الشوبك وكتب تقليده بها ، إلا أن السلطان وعد ابا الفداء بحماه مستقبلاً (٢) .



(١) المختصر ج ٤ : ٤٨-٤٩ ، السلوك ج ١ ق ٣ : ٩٣٠-٩٣٨ ، مهرجان ابي الفداء : ١٧٦-١٧٧

البدية والنهاية ج ١٤ : ٢٣-٢٦

(٢) المختصر ج ١٤ : ٤٩-٥٠ ، السلوك ج ١ ق ٣ : ٩٤٤-٩٤٧ ، من جادة ابي الفداء ١٧٧-١٧٨ ، الزاخرة ج ٨ : ٢٠٦

الأمير سيف الدين قبجق

نائب السلطان في حماه

(٧٠٣ - ٧٠٩ هـ)

(١٣٠٣ - ١٣٠٩ م)

سبق الإشارة الى ان سيف الدين قبجق كان في الشوبك إذ كانت اقطاعه . فلما اعطاه السلطان نيابة حماه وسحب منه الشوبك اقام فيها لفترة من الزمن لانتهاء أعماله ، ثم سار قاصداً حماه التي خرجت جموعها وأمرأؤها لملاقاته على مرحلة من حماه حيث نصبت الخيام وفرشت البسط بين يديه واقامت له الاحتفالات وقدمت له الهدايا ثم انتقل في اليوم التالي مع مستقبليه ودخلوا حماه بالترحيب والزينات وكان ذلك في يوم السبت الثالث والعشرين من صفر عام ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م . وينزل قبجق بدار الملك المنصور التي أصبحت دار الولاية في حماه (١)

اشترك سيف الدين قبجق بعدة أعمال عسكرية اثناء قيامه بنيابة حماه منها استجابته لطلب الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح السلطان الذي خرج من مصر عام ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م للاغارة على بلاد سبر وكان اجتماع العساكر الاسلامية في حلب ودخلت القوات بلاد سبر بقيادة ابن بدر الدين بكتاش بسبب مرض اصاب الاب ومنعه من متابعة المسير .

قامت القوات الاسلامية بتدمير الكثير من الضياع وقتلوا واسروا الكثير ثم حاصروا قلعة (تل حمدون) (٢) التي تجمع فيها الكثير من الأرمن وبعد مشقة فتحت بالأمان وقد اسر المسلمون منها ستة ملوك من الأرمن الأمر الذي شق على تكفور ملك سبر فارسل الى نائب حلب يعلمه بان سبب الامتناع عن دفع الجزية كان هؤلاء الملوك الأسرى ، عندها قطعت رقابهم عدا صاحب قلعة نجيسة الذي اسلم وكتب لعساكره بالعودة فرافقها (٣) .

(١) المختصر ج ٤ : ٥٠ - ٥١ / مهرجان أبي الفداء : ١٧٨
(٢) حمدون قرية تقع في محافظة حلب حالياً تابعة لمنطقة عين العرب والى الجنوب منها (٤٠) كم (الدليل الهجائي ومعالم واعلام)
(٣) السرك ج ١ ق ٢ : ٩٤٩ ، المختصر ج ٤ : ٥١ ، مهرجان أبي الفداء : ١٧٨ - ١٧٩ - البداية والنهاية ج ١٤ : ٢٩

أزمة السلطان الملك الناصر وموقف نائب حماه منها :

اضطر السلطان الملك الناصر ، تحت ضغوط وتسلط عماليكه وخصوصاً سلاز وبيرس الجاشنكير اللذين جعلاه منه صورة فقط وحاصراه في القلعة ولم يتركاه له غير الاسم ، للتظاهر بنبته الخروج للحج وبعد توجهه نحو الكرك دخل قلعتها وارسل رسله للقاهرة يعلم عماليكه بانه باق في الكرك .

للك الملك اجتمع الامراء في قلعة الجبل واقر رأيهم على تنصيب بيرس الجاشنكير سلطاناً وان يكون سلاز نائباً للسلطنة وذلك يوم السبت ٢٣ شوال سنة ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م وتلقب بالملك المظفر ركن الدين بيرس المنصوري وارسل الى نواب السلطنة بالشام فحلفوا له وارسل للسلطان الملك الناصر تقليداً بالكرك ومنشوراً بما عينه له من الاقطاع ^(١) . الا ان هذا لم يرض السلطان الملك الناصر الذي اخذ يعمل لاستعادة سلطته وكان قد قام الجاشنكير بتجهيز حملة الى حلب لغزو بلاد الروم فوصل العسكر المصري بقيادة الأمير جمال الدين أقوش الموصل الميعود بقتال السبع ووصل لاجين الجاشنكير المعروف بالزيرناج مع النبي فارس واجتمع نواب الشام جميعاً معهم أبو الفداء مرسلأ من قبل قبجق قائداً للمساكر الحموية . فقام قراشقر بالدعوة باطناً للسلطان الملك الناصر ضد بيرس الجاشنكير وقد اثمرت دعوته . ومن ناحية اخرى اخذت طلائع الامراء والعساكر تخرج من مصر منضمة للسلطان الملك الناصر في الكرك .

نتج عن ذلك رجوع العساكر عن حلب بعد ان الغيت الحملة على بلاد الروم ثم توجه السلطان الملك الناصر الى دمشق واخذت البيعة له . وتوافد الامراء النواب اليه مؤيدة ومن بينها العسكر الحموي بقيادة قبجق وكان معه أبو الفداء الذي تقرب من السلطان بان اهداه مملوكه طغزغر فقبله ووعده ابا الفداء بحماه ثانية على عادة اهل بيته ^(٢) واصبحت دمشق مركزاً لتجمع القوات المنفصلة عن بيرس والمنضمة للسلطان الملك الناصر . وبعد ان استكملت العساكر المجتمة في دمشق عدتها سارت في خدمة السلطان باتجاه مصر بعد ان تحصن فيها الأمير بيرس الجاشنكير .

وصلت القوات إلى غزة يوم الجمعة تاسع عشر رمضان وهناك اخذت العساكر المصرية ترد الى السلطان الناصر مؤيدة له واخذ الامراء بالوصول اليه وتابع السلطان مسيره وكلما اتجه نحو القاهرة كانت تصله العساكر والامراء مؤيدين له ^(٣) .

للك اضطر بيرس الجاشنكير لخلع نفسه من السلطنة وارسل مع ركن الدين بيرس الدواداري

(١) المختصر ج ٤ : ٥٥

(٢) المختصر ج ٤ : ٥٦-٥٧ / السلوك ج ٢ ق ١ : ٥٥-٥٧ مهرجان أبي الفداء : ١٧٩ . البداية والنهاية ج ١٤ : ٥١ - ٥٢

(٣) المختصر ج ١١ : ٥٦-٥٧ / السلوك ج ٢ ق ١ : ٥٥ - ٦٦ مهرجان أبي الفداء : ١٧٩ - ١٨٢

ومع بهادر يطلب الامان من السلطان وأن يتصدق عليه ويعطيه اما الكرك او حماء او صهيون وان يكون معه ثلاثمائة مملوك من ممالكه فأجابه السلطان إلى مائة مملوك وان يعطيه صهيون واتم السلطان السير فهرب الجاشنكير من قلعة الجبل الى الصعيد .

دخل السلطان قلعة الجبل واستقر على سرير ملكه . وبعد هذه الأزمة أجرى السلطان تغييرات في سلطته فأعطى نيابة السلطنة في حلب لسيف الدين قبيق وانتزع منه حماء وسار قبيق من مصر يوم الخميس تاسع شوال ورسم لعسكر حماء بالمسير معه . وقام السلطان بالاعتذار الى ابي الفداء عن تسليبه حماء في تلك الظروف واعدأ بانجاز ما وعده به من ملك حماء معتذراً بأن تأخيره لما بين يديه من المهمات والاشغال المعوقة .

سار قبيق والقوات الحموية ومعهم أبو الفداء نحو حماء فوصلوها يوم الخميس خامس عشر ذي القعدة . وقد قرر السلطان حماء للحاج بهادر الظاهري ثم ارجعها منه وقرره في نيابة السلطنة بالحصون والفتوحات واعطى حماء الى اسنمر الذي طلبها منه .

شعر اسنمر برغبة من السلطان باعطاء حماء لابي الفداء لذلك عاجل بطلبها لنفسه وذلك بسبب عداوة استحكمت بين الطرفين نتيجة عن رغبة كل منهما بحياة . كان ابو الفداء يطلبها لنفسه . بينما طلب اسنمر من السلطان ذلك وهو عارف بأن السلطان سيقبل طلبه نتيجة خدماته الكثيرة للسلطان اما السلطان فانه وجد من الافضل له كسب ود اسنمر الذي عزله عن نيابة الحصون والفتوحات باعطائه حماء .

تأخر اسنمر بالوصول الى حماء في سبيل انتهاء أعماله قبل تسلمه منصبه الجديد وانتهاز امير العرب مهنا بن عيسى ذلك فرصا لوصول حماء في محاولة للتوفيق بين ابي الفداء وأخيه بدر الدين حسن الا ان جهوده باءت بالفشل لتمسك كل منهما بحياة لنفسه (١) .



(١) المختصر ج ٤ : ٥٩-٥٧ ، السلوك ج ١ ق ٢ : ٨٠ - مهرجان ابي الفداء : ١٨٠ - ١٨٢

الأمير اسندمر كرجي
نائب السلطان في حماة
(٧٠٩ - ٧١٠ هـ) . (١٣٠٩ - ١٣١٠ م)

أرسل اسندمر نائب حماة الجديد مملوكه بدر الدين تليك السويدي لاستلامها نيابة عنه ولغاية وصوله . وقد عوق السلطان اسندمر عن السفر الى حماة اذ كلفه احضار المظفر بيبرس الذي رفض الحضور الى السلطان خوفاً من أن يقوم السلطان بقتله عقوبة له على احتلاله سرير الملك في مصر مع أن السلطان حلف ميمناً بحضور الأمراء وأعطاه السويس اقطاعاً له .

أخرج اسندمر تمهيدة الى غزة لاحضار بيبرس الجاشنكير الذي استسلم حقناً للدماء . فسيق للقاهرة الى السلطان الذي امر بقتله وكافا اسندمر على عمله .

شعر أبو الفداء بقرب المواجهة مع اسندمر نائب حماة الجديد نتيجة للخصام بينهما . وقد خاف البقاء بحماة ، فأرسل الى السلطان طلباً للسباح له في البقاء بدمشق وأشار سباب طلبه . ثم انتقل بالفعل الى دمشق حيث وافاه مملوكه بمرافقة السلطان على اقامته بدمشق وتعيين حواصل له فيها مع بقاء خيبره (اقطاعه) في حماة (١) .

وعند وصول اسندمر لدمشق في طريقه لاستلام منصبه في حماة فوجيء بوجود أبي الفداء فيها وخروجه عنه وعن طاعته وقد اساءه هذا التصرف كثيراً وحاول اقناع أبي الفداء بالسفر معه الى حماة . ونظراً لرفض أبي الفداء ذلك وسط اسندمر نائب دمشق قراستقر لارساله معه الى حماة طوعاً أو كرهاً . إلا أن قراستقر اعتذر بسبب أوامر السلطان . وعندما عجز اسندمر عن اصطحاب أبي الفداء ترك دمشق متوجهاً الى حماة ودخلها في الرابع والعشرين من المحرم سنة ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م حيث استلم مهام منصبه نائباً عن السلطان في حماة .

كان الأمير سلاار بالشوك حيث عينه السلطان عليها الا انه عزم على الهروب منها فأرسل السلطان اليه واستدعاه بعد أن عرض عليه المسير الى حماة ليكون نائباً فيها ورسم لاسندمر فسار من حماة الى دمشق

(١) المختصر ج ٤ : ٥٩-٥٨ . النجوم الزاهرة ج ٨ : ٢٣٢ - ٢٣٣

وادخل حماه لأجل سلار وبعد مراسلات بينه وبين السلطان حضر سلار الى ديار حمص فقبض السلطان عليه وكان آخر العهد به واحتيط على غالب موجوده لبيت المال .

وفي هذه السنة توفي الحاج بهادر النائب بالسواحل الشامية في يوم الثلاثاء العشرين من ربيع الآخر وصادف أن وصل الأمير مهنا بن عيسى وهو أمير العربان المطاع في البادية وتجمعه مع أبي الفداء وراغباً في ذلك إلا أنه اضطر لاعتباتها الى استدمر عندما طلبها منه مداراة له . فعند وصول الأمير مهنا الذي كانت له كلمة عند السلطان طلب منه حماه لأبي الفداء فوافق السلطان واعطي أبو الفداء حماه وبارين بالمعرة واعطي استدمر السواحل والفتوحات وارسل التقليد بذلك الى استدمر مع منكوثر الطباخي . الا ان استدمر ساءه هذا التحول ورفض السير الى السواحل وامتنع عن قبول التقليد والخلمعة وردهما مع حاملهما الذي عاد الى دمشق .

واتفق ان ورد خبر موت سيف الدين قبجق نائب السلطنة بحلب عند ذلك انعم السلطان على استدمر بناية حلب . وبذلك استقرت حماه الى أبي الفداء الذي وصل تقليدها الى دمشق على قاعدة النواب لا على قاعدة البيت التقوي وكان تاريخ التقليد في ثامن عشر جمادى الاولى سنة عشر وسبعمائة / ١٢١١ م .

توجه ابو الفداء الى حماه مع الأمير سيف الدين فجلس وكان استدمر مازال فيها وهو بأشد حالات الغضب بسبب فراق حماه وبسبب تعيين أبي الفداء مكانه عليها وعزم على مقاتلة أبي الفداء ليرده عنها مع أن جميع العسكر الحموي قد خرج لاستقبال أبي الفداء حيث تم اللقاء قرب حمص " .

وصدف وصول مملوك استدمر (سنقر) من مصر فخوف استدمر من منبة اجراءاته وخوفه من المواقب عندها غادر استدمر حماه متوجهاً الى حلب ، ودخل ابو الفداء حماه بعيد خروج استدمر منها . واستقر ابو الفداء في دار ابن عمه الملك المظفر المسماة دار السعادة . وبذلك عادت حماه الى البيت التقوي بعد فترة انقطاع دامت احدى عشرة سنة وخمسة اشهر وسبعة وعشرين يوماً . الا ان عودتها كانت على قاعدة النواب ولم تعد على قاعدة البيت التقوي .

وكان ابو الفداء لما قارب حماه ونزل بالرسن قد الهسه الأمير سيف الدين فجلس الذي كان بصحبته من مصر الشريف السلطاني وهو اطللس احمر بطراز زركشي فوقاني وثقته اطللس اضفر وكلوته زركش وشاش رقم ومنطقة ذهب مصري وسيف محلي بذهب مصري واركبه حصاناً برقياً بسرجه ولجامه . وقد دخل حماه على هذه الصورة وقرىء مرسوم تقليده حماه بحضور الناس وباحتفال كبير . احتفى ابو الفداء بالأمير سيف الدين فجلس بحماه عدة ايام واحسن اليه بالخلع والهدايا والحرول واعطاه اربعين الف درهم قبل مغادرته حماه .

(١) المختصر: ج ٤ : ٥٨ - ٥٩ . النجوم الزاهرة ج ٩ : ٢٣

وينلك حقق أبو الفداء احلامه بعد كفاح دام حوالي احدى عشرة سنة ونصف السنة . وقد بذل في سبيل ذلك كما سلفت الاشارة الكثير من الجهود والمساعي^(١) .



(١) المختصر ج ١ : ٦٠-٥٩

الفصل الخامس

أبو الفداء

(٧١٠ - ٧٣٢) هـ

(١٣١٠ - ١٣٣١) م

يعتبر أبو الفداء ظاهرة ثقافية وحضارية متميزة في تاريخنا العربي ويعتبر أعظم ملوك حماة الأيوبية وهو الشخصية الثانية بعد صلاح الدين الأيوبي في الأسرة الأيوبية بمجموعها . فمن هو أبو الفداء ؟
هو الملك العادل الفاضل المجاهد عماد الدين اسماعيل بن الأفضل نور الدين علي بن الملك المظفر الثاني محمود بن الملك المنصور الأول محمد بن الملك المظفر الأول تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شاذي بن مروان .

ولد في شهر جمادى الأولى من سنة اثنتين وسبعين وستائة هجرية الموافق لشهر شباط سنة ثلاث وسبعين ومائتين والف وذلك بدمشق في دار الزنجيلي التي كانت بملك والده ، وكان أهله قد حضروا الى دمشق هروباً من هجوم المغول على بلاد الشام . وقد اورد في كتابه المختصر في تاريخ البشر (ج ٤) في حوادث سنة اثنتين وسبعين وستائة تاريخ ولادته (دون تحديد اليوم) كما ذكر مكان ولادته وسبب وجود أهله بدمشق فقال : « (وفيها) في جمادى الأولى كانت ولادة العبد الفقير مؤلف هذا المختصر اسماعيل ابن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب بدار ابن الزنجيلي بدمشق المحروسة فان أهله كانوا قد جفليوا من حماة الى دمشق بسبب اخبار التتار »^(١)

ولد أبو الفداء في بيت من بيوت الملوك الذين كان لهم التأثير الكبير في التاريخ الاسلامي خاصة وفي التاريخ الانساني عامة . وقد نشأ وترعرع في ظل اسرة ارستقراطية وفي مملكة حكمها أهله منذ عشرات السنين واكثر رجالاتها من أهله واقربائه .

كاد والده الملك الأفضل ان يكون شريكاً لابن أخيه الملك المظفر في ملك حماة وكان لا ينادره

(١) المختصر ج ٤ : ٨ ، مهرجان أبي الفداء مقال قدرى الكيلاني : ٢٤٢

بدأ « وكان ابو الفداء يشارك والده في حله وترحاله مع الملك المظفر ورغم ان ابا الفداء كان ثاني ثلاثة ذكور ولدوا لآبيه الملك الأفضل ، وهم بالإضافة إليه : بندر الدين حسن الذي كان أكبر منه بثلاث سنين وكان خصمه في كل محاولة لاستلام ملك حماه قبل أن يمين عليه بها السلطان محمد بن قلاوون أما اخوه الأصغر فكان أسد الدين عمر .

وقد تدرج ابو الفداء في سلك الخدمة منذ نعومة أظافره وكان الاعتماد عليه أكثر من باقي اخوته في مهام المملكة من قبل استلامه لها وذلك لبنائه وعلمه وحسن تصرفه ، من ذلك ان الملك المظفر كان يستد إليه بعض المهام بدلاً من والده ، ونجده يرسله بعد وفاة والده لمقابلة السلطان المملوكي الأشرف خليل بن قلاوون في سفارة قدم فيها بعض الهدايا باسم أبيه وبعد وفاة أبيه التحق بخدمة ابن عمه الملك المظفر وأخذ مكانة أبيه في مشاركته في حله وترحاله وسائر أموره . إلا ان استعراض حياته قبل استلامه الملك يفسر لنا مكانته هذه وسعة اطلاعه وحسن تصرفه والاعتماد عليه .

فقد شارك في الأحداث في وقت مبكر - في سن الثانية عشرة ، كان بصحبة والده عند الاستيلاء على قلعة المرقب ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م من الصليبيين « وقد دون ذلك في كتابه المختصر قائلاً : «وهو اول قتال رأيته » (١) وقد عقب على المعركة قائلاً «وكان يوماً مشهوداً أخذ فيه النار من بيت الاستيلاء» (٢)

وفي سن السادسة عشرة سنة ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م اشترك ابو الفداء في اخراج الصليبيين من طرابلس ، وكان بصحبة والده الملك الأفضل وابن عمه الملك المظفر صاحب حماه وأسهب في وصف المعركة والحصار وكان شاهد عيان .

كذلك اشترك عام ٦٩٠هـ / ١٢٩٠م في حملة الملك الأشرف ابن السلطان قلاوون على عكا بصحبة والده وابن عمه ، وكان قائد عشرة وقد اصدر الملك الأشرف مرسوماً بأن تخضر المناكر ومعهما الجانبين فاحضروا أكبر منجنيق عرف في عصره ، وكان له مائة دولا ب فكان مسؤلاً عن احدها ووصف معاناة الطريق حتى وصلت القوات الى مشارف عكا ، ثم وصف المعركة التي اسفرت عن فتح عكا . وشارك عام ٦٩١هـ / ١٢٩١م في الحملة التي قادها السلطان لفتح قلعة الروم ووصف المعارك وصف شاهد عيان وأرخ لفتحها .

وفي عام ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م انعم عليه ابن عمه الملك المظفر صاحب حماه بعد موت والده الملك الأفضل بأمرة طبلخانة واربعين فارساً .

وفي عام ٦٩٧هـ / ١٢٩٨م اشترك في حملة على أرمينيا (بلاد سبيس) التي قادها السلطان لاجين وقد تحدث عنها في كتابه المختصر فقال «هذه الغزوة من الغزوات التي حضرتها وشاهدتها من اولها إلى آخرها» (٣) ثم تحدث عن سير الحملة ونجاحها الذي ادى الى فرض الصلح على ملك الأرمن بالتنازل عن الأراضي

(١) المختصر ج ٤ : ٨

(٢) المختصر ج ٤ : ٢١

قرب نهر جيحان . وتحدث فيها عن القضايا العامة وسير المعارك وعن اخباره الشخصية . فحينما اشتد
حصار على قلعة حموص وضاق المحاصرون فيها وبدأوا يخرجون النساء والأطفال وبعض الرجال من غير
حاربين. كان المسلمون يقتلون الرجال ويتقاسمون النساء والأطفال فكان نصيبه جارتين وعلوكاً، وبعد
قاة الملك المظفر كان يعتبر نفسه صاحب الحق بالحكم لما مارس من جهود ونشاط في الخدمة ، ولأن الملك
المظفر لم ينجب من يخلفه ، وكان هذا سبب خلافه مع أخيه الأكبر منه بدر الدين حسن . ورغم
داخلات الأمراء لم يحصل تناهم بين الأخوين مما أدى إلى خروج الحكم من البيت التقوي في فترة
لانقطاع كما سبق القول .

وثمة سبب آخر لاعتقاده بأحقية الملك هو علاقته الطيبة مع الملك المظفر إذ يصف أواخر أيامه
ويصف رحلة صيد (رمي البندق) للنسور وكيف أن المرض أصابه هو أولاً. وعاده الملك المظفر قبيل مرضه
ووفاته التي تمت قبل شفاء أبي الفداء من مرضه وكان أخواه مع العباكر الحسوية في حلب بينما استدعاه
الملك المظفر له فقط ليמוד إلى حماه ويشاركه في رحلته المذكورة . لذلك اغتنم فرصة موت الملك المظفر فقام
بمراسلة السلطان في مصر يطلب منه حماه على قاعدة أهله (١) .

فمنع أبو الفداء بهذا الوعد وقرر أن يكون إيجابياً مع السلطان في مصر بعد أن أمن إلى جانبه لذلك
نراه يشارك في خدمة نائب حماه «قراسنقر» رغم كرهه لخروج حماه عن البيت التقوي بل خروجها منه
بالذات .

ويصف أجحاف قراسنقر به وبالعائلة التقوية إلى أن جاءت المناسبات من مصر لابقاء الاقطاعات
التي بين أيدي الأمراء التقويين .

وربطت أبا الفداء بالسلطان محمد بن قلاوون صداقة قوية بقي غليظاً لها لأنه عرف أن مستقبله
السياسي مرتبط مع هذه الصداقة والتي كان السلطان يؤكد دائماً حرصه على إعادة حماه إليه . وكتب عن
أول لقاء له مع السلطان في مصر حينما انتدبه قراسنقر بالاتفاق مع أخويه لا يصال الهدايا والخلع للسلطان
ومعه بعض من خيل الملك المظفر ، إذ أعاد طلب حماه لنفسه ووعدته السلطان خيراً ثم زاد اقطاعاته .
وفلك عام ٦٩٨هـ / ١٢٩٨م .

وفي عام ٧٠١هـ / ١٣٠١م شارك في حملة المماليك الثانية على بلاد سويس وشارك في حملة ضد المغول
سنة ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م في المعركة التي جرت قرب القريتين . ثم شارك في الحملة الثانية التي جرت في
نفس العام عندما غارت المغول الهجوم على شمال بلاد الشام انتقاماً للحملة الأولى .
وعندما عين قبجق على نيابة حماه خرج أبو الفداء لاستقباله وللخدمة حتى العترة ودخل حماه معه .
وآثر اهتزاز مركز السلطان حين تمرد بيبرس الجاشنكير أيد أبو الفداء السلطان . وما إن انتهت الأزمة حتى

(١) المختصر ج ٤ : ٣٦ وما بعدها .
مهرجان أبي الفداء : الدوري : ٢٢٦ ، وقدرى الكيلاني : ٢٥٠

شارك في ارسال الهدايا له الى دمشق . وحصل منه على المواعيد الصادقة بتولية حماه . ولم يكتف بذلك بل شارك السلطان في سفره الى مصر وحصل على تأكيدات لعوده .

وقد علل النفس كثيراً في كتابه المختصر مسوغاً تصرف السلطان حينما استند نيابة حماه الى استئمر بسبب الخلاف الذي عاد للظهور بينه وبين اخيه الأكبر . ولذلك بدأ الخلاف بينه وبين استئمر الذي كان يميل لآخيه أكثر منه فما كان من أبي الفداء الا ان ارسل يطلب الاذن بسكن دمشق حتى لا يبقى مع استئمر ورغم محاولات استئمر باعادته لحماه إلا انه أخفق في ذلك .

وعند تعيين أبي الفداء على حماه ومحاولة استئمر العصيان نجد ابا الفداء لا يدخل حماه حتى يخرج منها استئمر (١)

وقد جمع أبو الفداء اضافة تجاربة السياسية حصيلة علمية وأدبية ومركزاً ثقافياً حصله بجده ونشاطه ورغبته في تحصيل العلوم واتقانها والتأليف فيها وحصل بذلك شهرة فائقة اضيفت الى شهرته السياسية .

اللقاب : وقد حاز أبو الفداء اثناء حياته الكثير من الألقاب منها : في سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م كان امير عشره وقد ذكر استلامه عجلة المنجنيق المنصوري ثم اشتراكه في فتح عكا .

سنة ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م اعطاه الملك المظفر أمرة طبلخانه بأربعين فارساً .

في سنة ٧١٠هـ / ١٣١٠م أصبح نائب السلطان في حماه .

لقب بالملك : وذلك وراثته لأن كل أبناء الأسرة الايوبية يلقبون بالملك سواء استلموا أم لا وقد تأيد ذلك بعد ان رسم له السلطان بأن يكتب له التقليد بمملكة حماه تمليكاً وذلك في ٢٥ ربيع الآخر سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م . وفي سنة ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م وبعد رجوعه من الحج الى مصر مع السلطان محمد ابن قلاوون أرسل السلطان إليه شعاع السلطنة ورسم السلطان ان يخاطب له على منابر حماه واعمالها بالمقام العالي المولوي السلطاني الملكي المؤيدي على ما كان عليه عمه المنصور مع التقدم على كافة ولاية الشام .

وقد لقب بالملك الصالح ثم الملك المؤيد (٢)

أما نسبة مدينة حماه اليه فتعود الى سنة ١٩٢٢م حينما وتأسس في حماه (النسي الادبي) الذي ضم نخبة من ادباء حماه ومفكرها . وكان يجهد جهداً كبيراً لإذكاء الروح الوطنية ويعني في بعث الروح العلمية باستعادة ذكريات ملوكها الأبطال فلم يجد أجود من ملكها أبي الفداء . فعمل على تدشين مرقده ودعا الى ذلك رهطاً من الأدباء والخطباء . ووصل من مصر شيخ المروية احمد زكي باشا والدكتور محبوب تاوب . وقد اقيم احتفال كبير بهذه المناسبة في شهر محرم سنة ١٩٢٥م فمر على حماه اسبوع كان عيداً قومياً وفرصة لمناسبة سياسية للتعبير عن الآلام التي تميش في نفس كل مواطن . واشترك الحمويون بالتبرعات واحتفل

(١) المختصر ج ٤ : ٤١-٥٩ مهرجان أبو الفداء : الدوري ٢٢٨ - ٢٢٩ . وقدرى الكيلاني : ٢٥٠ - ٢٥١

(٢) نفاة القلوب : ٤٥٨ ، السلوك ج ٢ ق ١ : ٣٥٤

بافتتاح تمهيد المرقد ومنذ ذلك الحين اطلق على مدينة حماه اسم مدينة ابي الفداء وعلى الشارع الاخذ الى المرقد اسم شارع ابي الفداء (١).

أبو الفداء في حماه وأعماله العسكرية :

كان أول عمل قام به ابو الفداء بعد توليه نيابة حماه هو كما سبق القول سيره مع العساكر السلطانية التي انضم اليها مع العساكر الحموية للذهاب الى حلب لمباغثة (استنمر) الذي خرج عن السلطنة المملوكية. وبالفعل تم ذلك وسارسل استنمر الى السلطان في الكرك حيث كان مقبياً هناك وكان آخر العهد به. بعد أن شغل منصب نيابة السلطنة في حلب طلب قراستقر نائب السلطنة بدمشق من السلطان أن ينقله الى نيابة السلطنة بحلب لأنه كان فيها والف العيش فيها فرسم له السلطان بذلك وحضر تقليده بولاية حلب مع الأمير سيف الدين أرغون الدوادار الناصري الذي سار في مسجته من دمشق الى حلب وإنشاء الطريق خاف قراستقر أن يكون في الأمر مكيدة وإن يكون مسيره الى حلب لالقاء القبض عليه بسبب وجود عساكر السلطان في حلب إلا أن المقر السيفي أرغون الدوادار الناصري هدأ من روعه وحلف له على عدم توهمه حتى وصل الى حلب وركبت العساكر المقيمون فيها لللتقاء وكان ممن لاقاه ابو الفداء ودخل بمسجته الى حلب يوم الاثنين ثامن عشر المحرم من سنة احدى عشرة وسبع مائة. وقد اعطى قراستقر أرغون المذكور عطاء جزيلاً وسفره الى الديار المصرية .

أقامت العساكر السلطانية مدة في حلب وكانت من بينها العساكر الحموية وعلى رأسها ابو الفداء الى ان ورد الدستور للمسير للعساكر من حيث أتت فسار ابو الفداء وعساكره من حلب ودخل حماه يوم الاثنين الرابع والعشرين منه (٢).

عاد قراستقر للعصيان بعد أن طلب دستوراً للذهاب للحج واعطى الدستور، إلا أنه خاف ان يقبض عليه الركب المصري في الحجاز لذلك رجع لحلب وفي الطريق اجتمع مع مهنا بن عيسى أمير العرب واتفقا على العصيان. ولما قصد قراستقر حلب ليستولي عليها، منع من الدخول اليها من قبل الأمراء والعسكر للملك جاءت العساكر السلطانية لمحاولة ردعه واعادته للطاعة والا فالقبض عليه . وقد سار ابو الفداء مع العساكر الحموية برفقة العساكر السلطانية التي حضرت من مصر بقيادة المقر السيفي أرغون الدوادار الناصري ومعه الأمير حسام الدين قراالاچين ونزلوا بالخيام بالقرب من الزرقا يوم الخميس الحادي عشر من ذي الحجة. إلا ان قراستقر هرب باتجاه القرايت وافتقرت عماليكه. فبعضهم سار معه وبعضهم رجع الى الطاعة . ثم توجه قراستقر الى جهة مهنا بن عيسى أمير العرب فعادت العساكر الى حلب ودخلتها يوم الأحد رابع عشر ذي الحجة .

(١) مهرجان ابي الفداء احسان المظفر : ١٦٣

(٢) المختصر ج ٤ : ٦٢-٦٤ السلوك ج ١ : ١٥٢ : ٩٩ - ١٠٠ / مهرجان ابي الفداء ١٨٤ - ١٨٦

البداية والنهاية ١٤ : ٦١ - ٦٣ . النجوم الزاهرة ج ٩ : ٢٤ - ٣٤

وبدخول سنة اثنتي عشرة وسبعمائة ١٣١٢م خرج عن طاعة السلطان اقوش الأفرم نائب السلطنة بالفتوحات وانضم اليه حموه ايلمر الزمر الزردكاش وانضم اليه بعض المماليك وحاول استئالة السواحل الا انه لم يحظ بموافقة احد مما اضطره للهرب الى البادية حيث اجتمع بقراسنقر .

كانت بعض العساكر السلطانية مع الأمير سيف الدين باكتمر في حصص فساق خلف الأفرم فلم يلحقه. وكانت العساكر السلطانية تحت إمرة ارغون الدودار لا تزال في حلب. وقد بلغها وصول قراسنقر والأفرم الى قريب سلمية فالتجّهت العساكر الى حصص وسلمية. وكان معهم أبو الفداء مع عساكر حماه. حيث مرت القوات من حماه في ثاني عشر المحرم. ونزلت العساكر بظاهر سلمية. وحاول قراسنقر والأفرم استئالة العساكر ليلاً فلم يوافقهم احد مما اضطر قراسنقر والأفرم للالتجاء نحو الرحبة. فأرسلت الأمراء أبا الفداء اسماعيل بن علي بمسكّر حماه وبعض من عسكر مصر ودمشق اثرهم. فوصلوا الرحبة. الا ان قراسنقر وصحبه غادروها الى جهة الروم فلم تتمكن العساكر من ملاحقتهم لعدم وجود دستور بدخول تلك الأراضي فبعد اقامتهم في الرحبة مدة عادوا الى حصص التي تجمعت القوات بها بعد العودة من سلمية. ولقد اذن أبو الفداء بالعودة مع عساكره الى حماه لقربها من حصص وعدم وجود الحاجة لها في حصص^(١)

سير المغول الى بلاد الشام : ٧١٢هـ / ١٣١٢م

اخذت اخبار المغول تصل الى البلاد الاسلامية بعبورهم الفرات وكان قد تسربت الانباء عن حشودهم ونواياهم لذلك اخذت العساكر الاسلامية تتجمع في حلب فجاءت القوات الدمشقية مع سيف الدين بهادر آص. وخرج أبو الفداء بعساكر حماه ودخل حلب يوم السبت سابع عشر رجب. وكان نائبها الأمير سيف الدين سودي ولما بلغت الاخبار بوصول المغول الى بلاد ميس وجفل اهل حلب وبلادها . رحلت العساكر الاسلامية الى حماه حيث وصلتها يوم السبت سابع عشر رمضان. وكانت قوات المغول قد نزلت الرحبة في آخر شعبان . ونشطت الكشافة لتقصي اخبار المغول . وبعد أن دام حصارهم للرّحبة نحو شهر وكان مع خربندا قائدهم قراسنقر والأفرم الذين أطمعوا خربندا بالرحبة لأن الأفرم هو الذي سعى لنائب الرّحبة بدر الدين بن أركني فطمع في ان يسلمه اياها. الا ان صموده وعساكر الرّحبة والبرد الشديد ونقص الأقوات جعلت خربندا يغادر الرّحبة ويعود من حيث أتى. وقد ترك الات الحصار التي ادخلها اهل الرّحبة .

بعد ذلك رحل سودي وعسكر حلب من حماه واستمر بهادر آص فترة مع عساكر دمشق في حماه الى ان ورد لهم الدستور فصاروا الى دمشق^(٢) .

(١) المختصر ج ٤ : ٦٦-٦٤ ، مهرجان أبي الفداء : ١٨٦ - ١٨٨ ، السلوك ج ٢ ق ١ : ١٠٧ - ١١٥

(٢) المختصر ج ٤ : ٦٩ - ٧٠ ، السلوك ج ٢ ق ١ : ١١٩ مهرجان أبي الفداء : ١٩٠ - ١٩١

تاريخ المماليك : ٥٥ البداية والنهاية ج ١٤ : ٦٦

فتوح ملطية :

كانت ملطية تجمع سكاناً مسلمين ونصارى وقد اختلطت امورهم وقويت شوكة العيارين فيهم فكانوا يغيرون على القوات الاسلامية التي تذهب لمحاربة الاعداء من بلاد الروم ويغيرون على عياري المسلمين في غزواتهم لذلك قرر السلطان مهاجمة ملطية. فارسل جيشاً كبيراً لاحتلالها وارسل الى صاحب حماء ان يرسل عسكر حماء وان يبقى هو بحماء ثم رأى أن يوجه صاحب حماء ايضاً مع عسكره . ولما مر تنكز بحماء اعرض عن صاحبها لم يكونه لم يتلقه من بعد ولم يأكل ما اعده له من طعام . فاتجه ابو الفداء الى حلب بعد تأخر يومين بسبب كثافة العسكر واتجهوا نحو ملطية. فلما وصلوها قسموا العسكر ميسنة وميسرة. وقد خرج جاكمها من بابها القبلي وطلب الامان. وقد خشي ابو الفداء من هجوم العسكر السلطاني على ملطية ونهبها اثناء مفاوضات الصلح اذ كان بابها الجنوبي مفتوحاً وهو باتجاهه واتجه عسكره فاحتاط على الباب الا ان العسكر هجموا على المدينة ونهبوها ولم يبقوا فيها واخذوا اهلها اسرى واحرقوا المدينة وهنموا ما استطاعوا من اسوارها ثم عادت القوات الى مرج دابق حيث بقيت مدة ريثما تم الاتفاق مع (اوشين بن ليفون) صاحب بلاد سيس الذي زاد القطيعة التي كانت تدفع للسلطان الى الف الف دينار. عندها عادت القوات الى حلب وعادت عساكر حماء الى حماء يوم الخميس التاسع ربيع الاول^(١)

الاغارة على بلاد سيس :

ارسل السلطان مراسيم بالاغارة على بلاد سيس لتوقف صاحبها عن دفع ما تمهد به كل عام على ان تكون الحملة من العساكر الشامية. فسارت دمشق في الفتي فارس ومن حماء امراء الطليخانات الذين فيها. وانضمت اليهم عساكر حلب. ودخلوا بلاد سيس فدمروا وقتلوا ونازلوا قلعة سيس ووصلوا الى بنراس في نهار السبت التاسع والعشرين من ربيع الآخر ثم عادوا الى حلب واقاموا بها مدة يسيرة حتى وصل الدستور بعودتهم فعبادت العساكر من حيث اتت^(٢)

فتوح اياس :

في سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة رفض صاحب سيس ارسال المبلغ السنوي فارسل له السلطان عساكر من مصر والشام والسواحل وقد شاركت غالبية عسكر حماء وتقدم العسكر نائب حلب وساروا الى

(١) المختصر ج ٤ : ٧٤ - ٧٧ السلوك ج ٢ ق ١ : ١٤٢ - ١٤٤ / البداية والنهاية ج ١٤ : ٧٣
(٢) المختصر ج ٤ : ٨٨ ، مهرجان امي الفداء : ٢٠٤ ، السلوك ج ٢ ق ١ : ٢٠٣

أهاس من بلاد سبب وحاصروها وملكوها بالنيف وعصت عليهم القلعة. فهاجموها برأ وأقاموا عليها
منجنيقاً فهربت الأرم من منها بعد أن أحرقوها. وقد ملك المسلمون القلعة نهار الأحد الحادي والعشرين من
ربيع الآخر. (١)

علاقة أبي الفداء مع السلطان في مصر :

حفظ أبو الفداء صنيع السلطان بإعادة الملك للبيت التقوي على حماه وتابع سياسته نحو السلطان
التي اتخذها أثناء عود السلطان له بتخليكه حماه من الحرص على حسن التعامل والاستجابة للسلطان في
كل طلباته وإظهار الولاء دائماً وفي كل مناسبة . وقد استفاد أبو الفداء من تجربة خروج الحكم التقوي
عن حماه بسبب الوفاة المفاجئة للملك المظفر الثالث محمود وعدم وجود ولي للعهد . لذلك بنى سياسته
على تهيئة ابنه محمد ليستلم عرش حماه من بعده وإن يمهّد لذلك بتقريب ابنه من السلطان وتعريفه به في
كل فرصة ومناسبة بانتظار اللحظة المناسبة التي يطلب فيها تعيين محمد ابنه خلفاً له على حماه على قاعدة
أهل البيت التقوي .

مسير أبي الفداء إلى مصر

خرج أبو الفداء من حماه متوجهاً إلى مصر يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الأول من سنة اثني عشرة
وسبعمائة وقد ساق أثناء الطريق على البريد ووصل قلعة الجبل (بالقاهرة) للخدمة السلطانية يوم الاثنين
العاشر من ربيع الآخر وقد تبعه ولده يوم الجمعة وقدموا للتقدمة للسلطان يوم الجمعة خامس عشر ربيع
الآخر .

صادف وصول أبي الفداء إلى مصر مع القبض على بيبرس الدوادار نائب السلطنة وعلى جماعة من
الأمراء : ولما حضر أبو الفداء لمجلس السلطان خلع عليه التشریف السلطاني المزركش وأمر بنزوله في
الكبش . فأقام به مدة وأثناء وجوده في القاهرة حضر أفيضان النيل وتعيين المقر السيفي أرغون الدوادار في
نيابة السلطنة .

وعندما أراد أبو الفداء العودة إلى حماه خلع السلطان على مرافقي أبي الفداء الخلع وأعطاه مركوب
بسرجه ولجانه ومبلغ ثلاثين ألف درهم وخمسين قطعة من القماش .

والأهم من كل ذلك رسم أن يكتب له التقليد بمملكة حماه والمعرة وبارين غمليكا وذلك تقديرأ
لاخلاصه وجهوده في خدمة السلطان وحماية السلطنة بعد أن كان نائباً عن السلطان فيها .

وذلك في مرسوم كتب في الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة اثني عشرة وسبعمائة ١٣١٢م
وينص المرسوم فيما ينص على تخليكه حماه لجميع المملكة الحسوية وبلادها وأعمالها وما هو منسوب إليها

(١) المختصر ج ١ : ٩١ ، البداية والنهاية ج ١٤ : ١٠٢

وذلك بأن «وصل ملكه بملك أسلافه وسيبقى في عقبه ان شاء الله» أي وراثياً بعده وذلك «على عادة الشهيد الملك المظفر تقي الدين محمود» .

وبعد ذلك رسم السلطان لأبي الفداء بالعودة الى حماه فخرج من القاهرة يوم الثلاثاء ثاني جمادى الأولى ووصل دمشق حيث أكرمه نائبها الجديد سيف الدين تنكز الناصري . ثم تابع أبو الفداء مسيره إلى حماه فوصلها . واجتمع الناس وقرئ التقليد يوم الاثنين الثاني والعشرين من جمادى الأولى^(١) .

كان وصول أبي الفداء الى حماه وقد خرج منها كافة الأمراء المماليك الذين كان يخشاهم والذين سيطروا على حماه اثناء غيابه عنها في مصر وقد شعر السلطان بثقل وجودهم على أبي الفداء رغم سؤاله عن ذلك وعدم لجأه أبي الفداء الا ان السلطان ارسل مرسوماً بتقلهم الى حلب مع ابقاء اقطاعاتهم التي في حماه لغاية التمريض عليهم عنها وقد ارسل المرسوم على البريد فوصل قبل أبي الفداء فخرج الأمراء المماليك عن آخرهم وانتقلوا بأهلهم وجندهم وكانوا نحو أربعة عشر أميراً بعضهم بطبخانة وبعضهم أمراء عشرات . ولم يبق في حماه سوى من اختار أبو الفداء مقامه عنده^(٢) .

خروج المعرة عن حماه :

خلال التقاء أبي الفداء مع السلطان في دمشق ٢٣ محرم سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م بحث معه امر تدخل الأمراء الذين كانوا في حماه وحولوا الى حلب عند استلام أبي الفداء لحماه والذين بقيت اقطاعاتهم في حماه فقد كان هؤلاء مصدر ازعاج وخوف لأبي الفداء بسبب عدم توفر اقطاعات تفني حاجاتهم . وبسبب توسع اقطاعاتهم بمراسيم جديدة في حلب وتداخل اقطاعاتهم بين حلب وحماه وانزعاجهم من الانتقال الى حلب مع أن اقطاعاتهم في حماه لذلك اتخذوا من التعنت والشكوى على أبي الفداء الى السلطان . وقد دأبوا على الطلب من السلطان والسعي في ذهاب حماه من أبي الفداء وحاولوا الايقاع بين أبي الفداء والسلطان .

لذلك وجد أبو الفداء أن احسن حل لانهاء هذه المشكلة تخصيصهم بالمعرة وضمها لحلب فهو بذلك يحل المشكلة . صحيح أن ملكه ينقص المعرة ! إلا أنه يكسب حماه ويضمن بقاءه فيها . وقد عارض السلطان في ذلك أول الأمر الا ان اصرار أبي الفداء جعله يقبل بهذا الحل لان السلطان رأى عدم انقاص ملك أبي الفداء فقال له : (يا عماد الدين ما أرضى لك بدون ماكان في يد عمك وابن عمك وجدك وكيف انقصك بحكم المعرة) . بعد ذلك كتب السلطان منشوراً بذلك باستقرار حماه وبارين بجميع حدودها وما هو منسوب اليها ويعطي أبا الفداء صلاحيات حددها بما يلي :

مهرجان أبي الفداء : ١٨٨ - ١٩٠

مهرجان أبي الفداء : ١٩٠

(١) المختصر ج ٤ : ٦٧ - ٦٩

(٢) المختصر ج ٤ : ٦٩ ، ٧١

«يتصرف في الجميع كيف شاء من تولية واقطاع اقطاعات الامراء والجند وغيرهم من المستخدمين من ارباب الوظائف وترتيب القضاة والخطباء وغيرهما ويكتب بذلك مناشير وتواقع من جهته ويجري ذلك على عادة الملك المظفر تقي الدين محمود صاحب حماه» .

ثم يحدد حقه في تجنيد الجيوش بما يلي :
«ويقيم على هاتين الجهتين خمسمائة فارس بالعدة الكاملة من غير نقص» .

ويسقط السلطان الحقوق المتوجة والاقطاعات المكتوبة للامراء ويحصرها في المعرة :
«ويعطى حكم ما عليها من المناشير والتواقع الشريفة والمساعدات والمحسوب وكل ما هو مرتب عليهما للامراء والجند والعرب والتركمان وغيرهم بحكم الانعام بها على المشار اليه على قاعدة الملك المظفر صاحب حماه وتعريض الجميع عن ذلك بالمعرة وافرادها عن حماه وبارين» . وقد صدر هذا المرسوم في التاسع عشر من محرم سنة ثلاث عشرة وسبعمائة .

وقبيل مغادرة السلطان دمشق الى مصر تصدق على ابي الفداء بخلمه ثانية وانعم عليه بسنبج بعصائب سلطانية يحمل على الرأس في المواكب وغيرها وهو ما يختص به السلطان ولم يسبق ان حمله غيره . ثم اعطاه الدستور فعاد ابو الفداء بعيد سفر السلطان الى مصر وقد وصل ابو الفداء حماه يوم الاثنين مستهل صفر .^(١)

المسير الى الحجاز حاجاً :

طلب ابو الفداء دستوراً من السلطان بالتوجه الى الحجاز حاجاً فرسم له دستوراً بذلك . تجهز ابو الفداء واتجه بالمجن الى الكرك وجهاز ولده والثقل مع الركب الشامي وقد ارسل السلطان له الف دينار عيناً برسم النفقة واعطاه مرسوماً باخراج السوقية من سائر البلاد الى الركب الحموي وان تسير جماله حيث شاء امام المحمل السلطاني او بعده .

خرج ابو الفداء من حماه يوم الجمعة رابع عشر شوال وسار بالخييل الى الكرك وركب المجن هناك ورجعت الخييل والبغال الى حماه وقد استصحب معه ستة رؤوس خييل واخذ معه عدة عماليك بالقس والشباب وسبق الركب الى المدينة حيث وصلها يوم الجمعة العشرين من ذي القعدة وقد قام بالزيارة خلوة وبقي فيها حتى لحقه الركب ثم سبقهم الى مكة فدخلها يوم السبت خامس ذي الحجة ثم خرج الى عرفات ومبنى واعتمر وعاد الى حماه عن طريق تبوك فوصل حماه حادي عشر محرم سنة اربع عشرة وسبعمائة .

واثناء وجوده في الحجاز اسند اليه السلطان مهمة مساعدة قوات ارسلها السلطان بالرجال والمشورة في سبيل القبض على (حميضة) الذي طرد اخاه حاكمها الشرعي وعين نفسه حاكماً عليها وعندما علم

(محيضة) بهذه الاخبار تواري عن حكمه حتى غادرها الحبيج وقوات السلطان حيث عاد وصرف اخاه
(ابا الغيث) فلبحه^(١)

المسير الى مصر وعودة المعرة الى مملكة حماه وخر وجها ثانية

في سنة ست عشرة وسبعمائة اراد ابو الفداء ان يوصل بنفسه تقدمته للسلطان فطلب دستوراً بذلك
فورفته الموافقة فسار من حماه بعد ان سبقه خيله فلحقهم على خيل البريد الى دمشق ثم تابع الى القاهرة
فوصلها عشية نهار الأحد ثامن عشر جمادى الأولى وانزل في الكيش ثم حضر بين يدي السلطان في اليوم
التالي وقدم الهدايا رقد من عليه السلطان بالكثير من الهدايا والخلع والرواتب اثناء وجوده في الكيش ثم
رسم له ترتيب الاقامات من مصر الى حماه وقدم له حصانين .

ثم اعاد اليه المعرة وقصبتها وكتب تقليداً بها وبعد مغادرته القاهرة تبعته هدايا أخرى من السلطان
وفي طريق العودة زار أبو الفداء حسب ترتيبات السلطان غزة والخليل والقدس ودمشق ثم وصل حماه
فدخلها ليلة الخميس خامس رجب وقد دخلها ليلاً ليخفف عن أهل حماه الذين زينوا حماه واحتفظوا
بالبسطة لقدمه .

ولم يكن عسكر حماه فيها لانه ارسلهم الى حلب تنفيذاً لمرسوم السلطان وساروا الى حلب يوم
خروجه من حماه ثم ذهبوا من حلب الى عين تاب وعادوا الى حماه في اول شعبان بعد قدوم صاحب حماه
بشهر تقريباً .

وفي سنة ٧١٦هـ ارسل ابو الفداء صحبة لاجين تقدمه لطيفة ومملوكاً يسمى يلدز الى السلطان الذي
قبلها وارسل هدايا بالمقابل الى ابي الفداء واعفاه ما على بضائع حماه مع كافة التجار في جميع البلاد ثم زاده
عن المعرة بجملته غلال قرى وضاعف على صدقاته وقد وصلت هذه المراسيم والصدقات مع لاجين الى
حماه في السابع والعشرين من شوال^(٢) الا ان المعرة لم تستقر بيد ابي الفداء فخرجت في السنة نفسها الى
محمد بن عيسى الذي طلبها لنفسه كإتياس لعودته للطاعة . وقد استجاب ابو الفداء وسلم المعرة الى
نواب محمد بن عيسى .

طلب ابو الفداء في عام ٧١٨هـ / ١٣١٨م الدستور بالحضور مع خيل التقدمة الى مصر وقد سبقته
الخيول فلحقها الى غزة ثم تابع السير معهم الى قلعة الجبل وانزل في الكيش ورتب له الرواتب والثقل
الزائدة عن كفايته وكفاية كل من هو معه من الاغنام والخبز والسكر وحوائج الطعام والشعير والتشريف
والحصان المرسج المحل بالذهب .

مهرجان ابي الفداء ١٩٤-١٩٥

(١) المختصر ج ٤ : ٥٣-٥٤

(٢) المختصر ج ٤ : ٧٨-٨٠ السلوك ج ٢ : ١٦٦ ، مهرجان ابي الفداء : ١٩٩-٢٠٢

وخلال اقامته اراد زيارة الاسكندرية فطلب دستوراً بذلك. فرتب له السفر الى الاسكندرية بالراكب والعودة بالبر وارسل مع من بصحبته عراقيين حتى وصل الى الاسكندرية. وهناك وصلته الصدقات ومائة قطعة قماش من عمل الاسكندرية المشهور. وبعد اقامة عدة ايام عاد الى القاهرة حيث قدم له السلطان زيادة على المرة عدة قرى واعطاء التشاريف له ولبن معه وامره بالعودة الى حماه وقد عاد اليها ووصلها نهار الخميس مستهل شعبان (١) .

الحج مع السلطان :

في سنة تسع عشرة وسبعمائة ١٣١٩م اراد السلطان ان يحج لبيت الله الحرام فارسل الى ابي الفداء ان يحضر الى القاهرة . فركب ابو الفداء خيل البريد وبصحبته اربعة من مماليكه وقد غادر حماه يوم الجمعة سادس عشر شوال ووصل الى قلعة الجبل بين يدي السلطان نهار السبت الرابع والعشرين من شوال . واقام في القاهرة بدار القاضي كريم الدين حتى توجه السلطان الى الحج . وذلك يوم السبت ثاني ذي القعدة حيث توجه الى الحجاز وفي الطريق توقف لصيد الكراكي وكان ابو الفداء معه ثم توجه الى طريق الحاج المصري الى السويس وابلة ورابع - حيث احرم فيها وتوجه الى مكة ثم سار الى منى ثم الى مسجد ابراهيم ثم وقف بعرفات وافاض وقدم الى منى وقد كمل مناسك الحج .

ثم سار عائداً الى مصر وانعم الكثير على الامراء الموجودين معه وهم يزيدون عن ستين اميراً وعلى الاجناد فكان اقل حصة جندي لا تقل عن ثلاثمائة درهم واقل حصة امراء المشرات ثلاثة آلاف درهم اما الامراء اصحاب الطبلخانات فوصل بعضهم الى عشرين الف درهم وكانت التشاريف اكثر من ان تحصر . وكان لكل من مرافقيه في كل يوم في الذهب والاياب ما يكفيه من عليف الخيل والماء والحلوى والسكر والبسماط (كمك) فكان يفرق كل يوم اربعة الاف عليفة شعير .

وكان ابو الفداء في كل مراحل الرحلة مرافقاً للسلطان ويحظى بوافر اعطياته وإهدائه الذي شغل بعض ما يصيبه من غزوان وكراكي . وبلغ من اكرامه ان قال لابي الفداء ان يعود معه الى القاهرة لينصب سلطاناً ويعدّها يلذهب لحماه الا ان ابا الفداء حاول الاعتذار حتى لا يكون في البلاد سلطاناً .

بعد الوصول الى القاهرة أنزل ابو الفداء في دار القاضي كريم الدين داخل باب زويلة . وتقدم مرسوم السلطان بارسال شعار السلطنة الى ابي الفداء وذهب برفقة الامراء والاعيان الى القلعة حيث قابل السلطان وقد اطلق عليه لقب الملك المؤيد ثم اعطاه دستوراً بالعودة الى حماه فتوجه على خيل البريد وقبيل وصوله الى حماه استقبلته جموعها والامراء والقضاة ودخل حماه بشعار السلطنة بعد ان قرىء تقليد السلطنة وكان ذلك في يوم السبت السادس والعشرين من المحرم سنة عشرين وسبعمائة / ١٣٢٠م (٢)

(١) المختصر ج ٤ : ٨٥-٨٣ ، مهرجان ابي الفداء : ٢٠١-٢٠٢

(٢) المختصر ج ٤ : ٨٥-٨٣ السلوك ج ٢ ق ١ : ١٩٥ - ٢٠٢ ، مهرجان ابي الفداء ٢٠٢ - ٢٠٤

وفي سنة ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م ارسل السلطان الى محمد بن ابي الفداء تشریفاً وأمر له بمبلغ وستين فارساً لخدمته طلبخانة فركب محمد الذي بلغ من العمر تسع سنوات بالتشريف بحماه يوم الاثنين الخامس من رجب (١) . وبذلك حصل ابو الفداء أولى ثمرات جهده في تقديم ابنه للسلطان تمهيداً لتخليكه حياً من بعده .

وجاء مرسوم من السلطان الى ابي الفداء سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م بإرسال عسكر حوي إلى الرحبة لحفظ زرعها من العرب وامرائهم فجرد اليها بدر الدين حسن أخاه وعمود بن اخيه اسد الدين عمر وملوكه اسبغا وقد قاموا بحفظ الزرع .

إلا أن أخاه بدر الدين حسن مرض عند عودته من هذه المهمة (في الرحبة) واشتد مرضه (حتى بلغمية) فتوفي نهار الثلاثاء مستهل ذي الحجة عن عمر يناهز السابع والخمسين من العمر وهو أكبر من ابي الفداء بثلاث سنوات وقد أصبح ابو الفداء ولي امر ابنه البالغ من العمر ثلاث سنوات وأقام لأهل اخيه نواباً يباشرون اموره .

ثم مرض عمود ابن اخيه اسد الدين عمر أيضاً وتوفي يوم الاحد ثالث عشر ذي الحجة عن عمر سنة وثلاثين عاماً .

كذلك وصلت لأبي الفداء هدية من السلطان عبارة عن حصانين احدهما بسرج ذهب له والآخر بسرج من فضة لابنه محمد . وهذا يؤكد أن السلطان محمد بن قلاوون بدأ في الاهتمام بابن ابي الفداء محمد الذي اخذ والده في تقديمه وإبرازه تمهيداً لتخليكه من بعده (٢).

السفر الى مصر :

ارسل السلطان مرسوماً الى ابي الفداء للحضور الى مصر لمرافقته في الصيد فخرج ابو الفداء ومعه ابنه محمد ونزلا في بليس في قرية تسمى عيثة وفيها مرض ابنه محمد مرضاً شديداً حتى شارف على الموت ورغم ذلك فقد تابع ابو الفداء سيره حتى وصل بير البيضاء ورغم اكرام السلطان الزائد لأبي الفداء إلا أنه كان مشغولاً بابنه وقد صار الركب السلطاني إلى سريا قوس .

احضر السلطان رئيس الأطباء وهو جمال الدين ابراهيم بن ابي الربيع المغربي) . واخذ في مساعدة ابي الفداء في معالجة ابنه محمد حتى تحسن قليلاً وتوجه الجميع الى القاهرة وبقي ابو الفداء في القاهرة الصيف بطوله وما انقطع السلطان عن السؤال عن ابن ابي الفداء واعذاره بسبب تغيبه عنه لمرض ابنه .

(١) المختصر ج ٤ : ٩٠ مهرجان ابي الفداء : ٢٠٦

(٢) المختصر ج ٤ : ٩٥ ، مهرجان ابي الفداء : ٢٠٨ - ٢٠٩

ثم خلع على ابي الفداء وابنه محمد الخلع الكثيرة وهدايا كثيرة وثلاثة الاف دينار مصري ورسم له
دستوراً بالعودة الى حماه . فتوجه ابو الفداء الى حماه وقبل دخوله حماه توفيت والدته يوم الخميس حادي
وعشرين ربيع الاول وهو قريب حصص فلم يرها ولم يحضر وفاتها ^(١)

زيارة القدس :

بعد رجوع ابي الفداء الى حماه بمدة يسيرة طلب دستوراً من السلطان لزيارة القدس . فرسم له
السلطان بذلك فتوجه من حماه يوم الثلاثاء سلخ جادى الاول الى بارين فبعلبك والى الكرك ثم انحدر الى
الساحل ونزل في بيروت ثم صيدا وصور فعكا ثم القدس والخليل ومنها عاد الى حماه حيث دخلها يوم
السبت خامس وعشرين جادى الآخرة .

وبعد وصوله حماه وصلته هدايا وخلع السلطان وخيل له وأخر لابنه محمد الذي اصبح له حصنة
دائمة من اعطيات وهدايا السلطان .

كما وارسل ابو الفداء التقدمة للسلطان من خيل وغيرها كما جرت العادة بذلك ^(٢)
بقي ابو الفداء في عيشه الهادى هذا حتى انه كتب في تاريخه عن اوائل سنة تسع وعشرين وسبعمائة
«ولم يبلغني في اوائلها ما يلقى أن يؤرخ» ^(٣)

وفاة ابي الفداء :

في الثامن والعشرين من محرم من سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة توفي الملك المؤيد اسماعيل بن علي
الملقب بابي الفداء عن عمر بلغ ستين عاماً وذلك بعد مرض ألم به .
وكان ابو الفداء قد تنبأ بأنه لن يبلغ الستين من العمر شأنه في ذلك شأن جميع افراد أسرته ^(٤) . وقد
دفن في مسجده الذي بناه سنة سبع وعشرين وسبعمائة وهو ما يعرف باسم مسجد الحيات والذي مازال
قائماً في حماه حتى الآن .
تولى الحكم من بعده ابنه محمد الذي جهد والده في ابرازه تمهيداً ليستلم حكم حماه من بعده
وكان محمد في العشرين من عمره .

(١) المختصر ج ٤ : ٩٨-٩٧ ، مهرجان ابي الفداء ٢٠٩ - ٢١٠

(٢) المختصر ج ٤ : ٩٨ ، مهرجان ابي الفداء ٢١٠ - ٢١١

(٣) المختصر ج ٤ : ١٠٣ - ١٠٤ ، مهرجان ابي الفداء : ٢١١ - ٢١٢

(٤) المختصر ج ٤ : ١٠٤ ، مهرجان ابي الفداء مقال حميدة : ١٤ ومذكرات ابي الفداء فيه : ٢١٢
السلوك ج ٢ ق ٢ : ٣٥٤ ، شفاء القلوب : ٤٥٨ ، البداية والنهاية ج ١٤ ، ١٥٨ ، النجوم الزاهرة ج ٩ : ٢٩٢ - ٢٩٤

أعمال ومنجزات أبي الفداء

تنبع عظمة أبي الفداء من شخصيته المترنة ومخططة الواضح . وهو صاحب همة عالية وطموح كبير مع اصرار وعناد وعدم قبول بالحلول الوسط الاعلى اساس مرحلي ضمن مخطط اصر على تنفيذه ونجح في التخطيط والاسلوب والتنفيذ .

فأبو الفداء عالم ومؤرخ عرف العلم وقدره ودرس التاريخ والف فيه اضافة الى ذلك عرف أهمية الجغرافيا وتوجيهها للتاريخ في عصره .

عرف إمكاناته وإمكانات مملكة حماه التي يعيش فيها وأصبح حاكماً لها وعرف الأدوار والاتجاهات السياسية المعقدة التي فرضتها ظروف العصر على حماه وما حولها وعلى المنطقة بأسرها .

درس سياسة من سبقه . وعرف طريق النجاح ودرب الفشل ، عرف اخطاء الماضي وأخذ منها دروس المستقبل وعلى هذا الاساس وضع مخططه ومن هدى الواقع درج في تنفيذ المخطط وكانت النتيجة المنطقية نجاحه المستمر وتحقيقه لما لم يستطع احد ان يحققه من البيت التقوي .

فرغم سقوط المماليك الأيوبية بأسرها وخروج مملكة حماه عن الحكم التقوي الأيوبي ، ورغم الاتجاه المنطقي للأحداث ومصيرة التاريخ ، الا انه استطاع معاكسة مسيرة الأحداث والرجوع الى الوراثة . وإعادة الحكم التقوي الأيوبي الى حماه ، (ان جاز لنا هذا التعبير) .

فطموحه واصراره على الحكم في حماه رغم وجود اخ اكبر منه له الحظ الأوفى في استلام الحكم من عمهما المتوفى فجأة دون وريث أو وصية أو تخطيط لمشكلة وراثة العرش . الا ان ابا الفداء اصر رغم المحاولات المستمرة لحل النزاع بينه وبين اخيه الأكبر على ان يكون الحكم له . ونرى ان الحكم قد عاد له ولو استطعنا تصور عودة الحكم الى اخيه بدلاً منه فان المنطق يفرض علينا الاعتقاد بعدم استمرارية عودة الحكم الى الأسرة الأيوبية وبقاء تلك الفترة الطويلة من حياة أبي الفداء . لان ظروف العصر توجب وجود حاكم قوي قادر سياسي عنك وهو امر يفتقده أخوه وكثير من الحكام والأمراء الذين عاصروه .

وأدرك ابر الفداء ان سياسة عمه بموالاة مصر ومن فيها (أياً كان الحاكم فيها) تنم عن ادراك عميق وسلم لمجرى الأحداث وسيرها الطبيعي . لذلك اتخذ من هذا الولاء سياسة ومنهجية اوصلته الى اشياء لم يصل اليها اي من سابقه ممن تولوا حكم حماه .

كذلك ادرك ابر الفداء ان الطريقة المثل لتنفيذ مخططه تكمن في الشرعية والمحافظة على الشرعية والبقاء في ظلها وعدم التسرع . وهذا ما نستشفه من اعماله وكتابات (في المختصر) . كذلك نجده طويلاً البال في انتظار وصول الحكم إليه وتأكده من ذلك .

وهو أيضاً يدافع عن الشرعية (خوفاً أو تقرير أمر واقع) فهو يعذر السلطان محمد بن قلاوون في تأخره بإنجاز وعوده باعطاء حماه له . كذلك يعلّبه في اخذ المعرة منه مرتين متتاليتين .

وبعد وصوله للحكم يتابع خطته السياسية في الولاء للحاكم بمصر فهو يدافع عن السلطان محمد بن قلاوون في محنته ويفرح في عودته للحكم بعد أن شارف على السقوط . ويتابع اتخاذ سياسة النفس الطويل والالتزام الجدي. فهو لا يقطع مناسبة لابداء ولاته ويندفع في كل المناسبات لتثبيت هذا الولاء وتأكيد في الرسائل والهدايا والالتزامات والزيارات .

وكانت حصيلته خطته هذه ان اعطى حماه نيابة ثم تملكها واخيراً سلطنة . وقد اخذ ابو الفداء عبرة من خروج حماه بعد وفاة عمه وادرك اهمية تعيين الخلف وتوثيق هذا التعيين للملك اتخذ سياسة تقديم ابنه ناصر الدين محمد في كل مناسبة للسلطان محمد بن قلاوون ومحاولة احلاله وتوثيق صلاته مع السلطان في مصر وقد اثمرت هذه السياسة. ففكر ان السلطان في مصر يرسل الهدايا لابنه ناصر الدين محمد وكانت النتيجة تقديم حماه بشكل طبيعي الى الابن بعد وفاة الاب وبقاء البيت الايوبي في حماه ، ولو ان هذا البقاء كان يتطلب شخصية قوية مثل ابي الفداء ولم تكن هذه الشخصية مثله بشكل جيد بابنه ناصر الدين محمد أو حفيده ، ونظراً لتغير الظروف ايضاً ، خرجت حماه عن البيت الايوبي التفوي رغم بقاءه في عكس التيار مدة تقارب نصف قرن .

٢ - مآثره العمرانية :

تمتاز فترة حكم ابي الفداء في حماه بالاستقرار النسبي والاستمرار الحضاري مع فسحة زمنية لحكمه امتدت نحو ربع قرن (٧١٠ - ٧٣٢) هـ (١٣١٠ - ١٣٣١ م) وقد انعكس هذا على المدينة وعمرانها بما يتناسب مع شخصيته وطموحاته وحبه للمخلود والبناء .

وقد ترك ابو الفداء آثاراً عمرانية بحماه تجعل نسبة حماه له (مدينة ابي الفداء) في علها . وهذه الآثار منها مندثرة نتلمس اوصافها من كتب التاريخ ومنها ما هو باق حتى اليوم .

أ) آثاره المندثرة : وهي القبة والمربع والحمام فوق ساقية نخيله وهي الساقية التي كانت موجودة على الضفة الشمالية لنهر العاصي . وهي امتداد لساقية ناعورة الدهشة التي تسقي بستان الدهشة بموقع باب النهر والتي تنتهي بقطعة ارض منسوبة للحمام تعرف باسم (الحمام) وتغطي معظم مساحتها اشجار الخوز وترتبتها مزيج من تراب ورماد وقصر مل دلالة واضحة على مكان الحمام .

أما المربع وهو منزل القوم في الربيع والمراد به هنا القصر الذي يسكن في فصل الربيع في منطقة تجمع النهر والازاهير والاطيار والنواعير وقد وصفها ابو الفداء بأنها جاءت من انزه الاماكن وأطلق على هذا القصر اسم (الدهشة) لما يصاب به الانسان حين يراه من دهشة لما كان يشاهده من جمال موقع واحكام بناء وحسن هندسة ويديع زخرفة .

وكان هذا القصر موضع الحديث والمباهاة في مصر وبلاد الشام لذلك وصفه الشعراء واتخذ عنه
الأمراء .

فقال صفي الدين الحلي في قصيدة رثاء الملك ابا الفداء :

إذا ذكرت حمى العاصي وملعبه والقصر والقبة العليا بمرقبه^(١)

وذكر القصر أيضاً تقي الدين بن حجة الحموي في قصيدة يمدح فيها قاضي القضاة تقي الدين ابا
بكر الخيشي الحموي فيقول :

يروق امتداد الجسر والقصر فوقه فيحلو طباق العيش بالمد والقصر

وقد أخذ اسماعيل بن محمد بن قلاوون عن هذا القصر وبنى قصراً مشابهاً له في مصر اتخذ نفس
الاسم وصفه المقرئ في خطه فقال :

والدهشة من دور القلعة بمصر : عمرها السلطان الملك الصالح عماد الدين اسماعيل بن محمد بن
قلاوون في سنة ٧٤٥هـ ، وذلك انه بلغه عن الملك عماد الدين ابي الفداء صاحب حماه انه عمر بحماه
دهشة لم يبن مثلها ، فقصد مضاماته وبعث ... المهندسين لكشف دهشة حماه ...^(٢)

أما القبة فقد تكون من المربع (القصر) او منفردة عنه وعلى الغالب كانت قريبة منه . وربما كانت
الحفريات التي تمت عام ١٩٥٨ في المرتفع المطل على موقع باب النهر والدهشة من الشمال بحذاء جامع
ابي الفداء من الشمال الغربي والتي اظهرت بقايا أسس بناء من حجر وأجر وعليها طلاء ودهانات لها
علاقة مع القبة^(٣) .

وقد اشار ابي الفداء الى بناء هذه المجموعة في حوادث سنة ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م في كتابه المختصر^(٤)

(ب) آثاره الباقية :

وهي جامع ابي الفداء أو جامع الحيات ثم الجناح الشرقي - الروشن - من الجامع النوري بحماه .

١ - جامع ابي الفداء أو جامع الحيات :

وقد سمي جامع ابي الفداء نسبة الى بانيه وسمي باسم جامع الحيات لتشابك ثمانية اضلاع في كل
من عضادتي شبابيك حرمه المطل على العاصي على شكل الأفاعي . وسمي كذلك باسم جامع الدهشة

(١) مهرجان ابي الفداء : قدري الكيلاني : ٢٦٠ - ٢٦١

(٢) الخطط المقرئية ج ٣ : ٣٤٤

(٣) مهرجان ابي الفداء : قدري كيلاني : ٢٦١

(٤) المختصر ج ٤ : ٩

لجمال بنائه وروعة موقعه اللذين كانا يدهشان الناظر المتأمل إليه . وقد وجدت في سجلات المحكمة الشرعية بحماه ما يشير الى وجود اوقاف لهذا الجامع في قرية براق (١٥ كم جنوبي حماه) ^(١) . ولا ندرى هل هذه الأوقاف تعود لعهد ابي الفداء ام استجدت بعده .

بدأ ابو الفداء في بناء هذا الجامع حسب نص ورد على احد دعائمه في شهور سنة سبع وعشرين وسبع مائة / ١٣٢٦م وقد اختار ابو الفداء موقع الجامع فوق التربة المظفرية التي دفن فيها جده ومؤسس البيت التقوي الأيوبي بحماه الملك المظفر الأول تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب النورفي سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م .

وقد أراد ابو الفداء على ما يبدو أن يكون في هذا الجامع مقبره الأخير ومدفنأ له بدليل اقامته فوق قبر جده الأعلى مؤسس مملكة اسرته . وهذا ما كان فعلاً بعد وفاته . يتألف الجامع من الحرم واروقة ثلاثة حول باحة تتصب فيها قبة ضريح ابي الفداء . وابعاد الحرم المستطيل (٢٧ × ١٠م) فيه اربعة مداخل واعمده وبنائوه مزين بالرخام والفسيفساء وفيه كتابات كثيرة من آيات ونصوص من بانيه وعبدديه . أما الاروقة الثلاثة فهي محدثة في الجانب الشمالي مدخل الجامع القديم .

وفي هذا البناء ضريح ابي الفداء وهو من الرخام . وللجامع مثذنة مشنة على قاعدة مربعة من حجر كلسي ملتصقة بقبة الضريح .

٢ - الروشن في الجامع النوري - الجناح الشرقي :

وهو يقوم على بقايا دير قديم يسمى (دير قزما) ضمن بقعة غناء تطل على العاصي ونواحيه بين قصر العظم وقصر الطيارة . والبناء يتألف من مستطيل ابعاده ١٥,٥ × ١٠م بشكل بلاطتين متلاصقتين تتوضع عليهما القباب في النصف الأول أربع قباب متباعدة في الشكل والمندسة وفي النصف الثاني المطل على العاصي ثلاث قباب .

وقد أنشأ ابو الفداء هذا الروشن ليكون معهداً علمياً ودينياً وبقيت الدراسة فيه لعهد قريب . وله اوقات تكفيه ^(٢) (ذكرت اخذت النقوش في الروشن انها في كل سنة خمسة عشر الف درهم) وللروشن حوض ماء سبيل ^(٣) .

وكنا قد ذكرنا قيام ابي الفداء بالخروج لتنظيف القناة الواصلة ما بين سلمية وحماه بمسكره وامراه .

(١) سجلات المحكمة الشرعية بحماه لعام ١٠١٥هـ

(٢) عن سجلات المحكمة الشرعية بحماه لعام ١٠٢١هـ

(٣) مهرجان ابي الفداء : قدرى الكيلاني ٢٦٤ - ٢٦٦

٣ - مآثره العلمية :

اصبحت حماه في عهده محجاً للعلماء والأدباء فهي تعود للملك عالم وعجب للعلم ووارث للعلم وعجبه . فحماه في ظل الحكم التقوي كما سنرى تفصيل ذلك في بحث الحياة الثقافية كانت تشكل مركزاً علمياً مهماً في بلاد الشام . فمعجم البلدان والمختصر في اخبار البشر من وضع ملكها والفقيه ابن مالك وضعت فيها وقيل انه لم يجتمع في بلاط حاكم من الحكام من العلماء والأدباء والشعراء بعد سيف الدولة كمثل ما اجتمع في بلاط ابي الفداء (١) . وما يذكر عن اسهاماته في ميدان الثقافة مسارعتة لارسال الكتب والمدايا الى الخانقاه التي انشاها السلطان محمد بن قلاوون على طريق الشام بالقرب من العريش والتي انزل فيها السلطان جماعة من الصوفية (٢) . وقد كان ابرو الفداء يولي العلماء والأدباء ومز لنسبهم وكتبهم ومصيرها بعدهم اهمية خاصة في كتابه المختصر عما يعكس اهتماماته (٣) .



(١) مهرجان ابي الفداء : احسان العظم : ١٧٧ - ١٨٥

(٢) المختصر ج ٤ : ٩٢-٩٣

(٣) انظر على سبيل المثال نقله هذه الاخبار في المختصر ج ٤ : ١٠٠ - ١٠١

الفصل السادس

الملك الأفضل ناصر الدين محمد

(٧٣٢ - ٧٤٢هـ)

(١٣٣١ - ١٣٤١م)

ونهاية مملكة حماة الأيوبية

(١) الملك الأفضل ناصر الدين محمد :

كان أبو الفداء يعد ابنه ناصر الدين محمد لاستلام الحكم بعده في حماة وقد بدأ يبرز ابنه للمحلبة السياسية ويحاول تدريجه واعداده من جهة ويحاول تقديمه للسلطان واكثر احتكاكه به من جهة ثانية .
لذلك كان الأمر مهيئاً لناصر الدين محمد بن أبي الفداء لاستلام زمام الحكم في مملكة أبيه مؤيداً من السلطان الحاكم في مصر وبلاد الشام . بعد وفاة أبيه أبي الفداء سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣١م وسني بالسلطان الملك الأفضل ناصر الدين . وذلك على قاعدة أبيه وكان عمره عشرين سنة .
وفي ربيع الآخر من نفس العام ركب الملك الأفضل بشعار السلطنة بالقاهرة وبين يديه الفاشية ونشرت العصائب السلطانية والخليفة على رأسه . وبين يديه الحجاب وجماعة من الامراء وفرسه بالرقبة وبالشباب وصعد القلعة على هذا الشكل .

وتبقى حوادث حماة وملكها يسيرة عادية وذلك لاستقرار حكم السلطان محمد بن قلاوون ولرتابة الاحداث . ولضعف مكانة حماة في الاحداث بعد وفاة أبي الفداء وعدم استطاعة ولده ان يحمل عنه في وزنه وتأثيره على الاحداث . وهناك سبب آخر هو فقد المؤرخ الذي كان يمدنا بأخبار حماة الخامسة وهو أبو الفداء فان ذيل تاريخه لابن الوردي يتحول عن التاريخ (بمعناه العلمي) الى تدوين نشأته اسبابه شملت الرقيات معظم الصفحات . ولعدم ذكر اخبار حماة وملكها في الكتب المعاصرة لموسمها والخراب صاحبها عن دائرة الضوء .

ففي ذي القعدة من سنة أربع وثلاثين وسبعمائة استطاع صاحب حماء الملك الأفضل التوسط بين أمير العرب مهنا بن عيسى والسلطان محمد بن قلاوون وإن ينهي الخلاف والشقاق الذي وقع بينهما والذي دام سنين طويلة وجعل على الطرفين الكثير من الحروب والويلات والمطاردات .

وقد توجه مهنا بن عيسى أمير العرب مع الملك الأفضل صاحب حماء إلى مصر فاقبل السلطان على مهنا وخلع عليه وعلى أصحابه مائة وستين خلعة ورسم له بحال كثير من الذهب والفضة والقماش وأقطعته عدة قرى وعاد كل منهما إلى أهله ^(١) .

ولعل أهم حدث جرى في حماء في زمنه احتراق مائتين وخمسين حانوتاً فيها. وذهبت الأموال وكان يده الحريق عند الفجر إلى طلوع الشمس ^(٢) .

وذكر أن شخصاً رأى ملائكة يسوقون النار فجعل ينادي امسكوا يا عباد الله لا ترسلوا فقالوا بهذا أمرنا. ثم أن الرجل توفي لساعته ولا يعرف حقيقة النار وسببها وما ذكر من غيبات لا تثبت شيئاً . إلا أن الملك الأفضل اهتم في عمارة ما حرق من حوانيت حماء .

وحاول ملك حماء اتباع سياسة أبيه في التقرب من السلطان في مصر فقام بزيارته واحتفل به كثيراً ^(٣) .

اشترك عسكر حماء دون اشراك صاحبها في حملة شتتها القوات الإسلامية على بلاد سمر (الأرمين) .

ففي شهر رمضان من سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ١٣٣٦ م وصلت إلى حلب القوات المصرية بقيادة الحاج ارقطاي ومعهم عسكر دمشق وكان مقدمهم قطبغا الفخري وعسكر طرابلس ومقدمه بهادر عبدالله . وعسكر حماء وكان مقدمهم الأمير صارم الدين أزيك . وقد استلم القيادة العامة (ملك الأمراء بحلب) ^(٤) علاء الدين الطنبغا .

وصلت القوات إلى بلاد سمر بقيادة علاء الدين في ثاني شوال ونزل على ميناء إيباس وحاصرها ثلاثة أيام ثم قدم رسول الأرمين من دمشق ومعه كتاب نائب الشام بالكف عنهم على أن يسلموا البلاد والقلاع إلى شرقي نهر جحان . فتسلموا منهم ذلك وكانت الأراضي المسلمة كثيرة وكبيرة مثل المصيفنة وكويرا والمارونية وسرفندكار وآيباس وباناس ونجيمة والنفير وغيرها .

وقد هدم المسلمون برج إيباس الذي في البحر وعينوا على المناطق المفتوحة المذكورة نواباً وعادوا في شهر ذي الحجة ^(٥) .

-
- (١) المختصر ج ٤ : ١١٣ السلوك ج ٢ في ٢ : ٢٧٤-٢٧٣ .
(٢) المختصر ج ٤ : ١١٦-١١٥ .
(٣) السلوك ج ٢ في ٢ : ٤٠٣ .
(٤) ملك الأمراء لقب كان يشغله نواب السلطنة المملوكية بالشام .
(٥) المختصر ج ٤ : ١١٩ ، السلوك ج ٢ في ٢ : ٤١٨ و ٤٢٨ - ٤٣٠ .

وأثناء هذه الحملة توفي الأمير صارم الدين أزيك المتصوري الحموي مقدم عساكر حماه في منطقة قرية من ايباس وحمل الى حماه فدفن بترابته وكان ممن ساهم في تحمل اعباء الحكم في مملكة حماه ويذكر له انشاء خان للسبيل بحمرة النعمان شرقيها وعمل عنده مسجداً وسبيل ماء (١١) .

واسترضاءاً لأهل حماه قام صاحبها بالتمعين لقضاء الختفية جمال الدين عبدالله بن القاضي نجم الدين عمر بن العديم بعد عزل القاضي تقي الدين بن الحكيم . وقد أثر صاحب حماه الا ينقطع القضاء من هذا البيت بحماه لما حصل لأهل حماه من مسرة وتقدير لأفضية هذه الأسرة . وخلع عليه صاحب حماه (١٢) .

رحلة الصيد المشؤومة :

في شعبان من سنة تسع وثلاثين وسبعمائة ١٣٣٨م خرج صاحب حماه الملك الافضل برفقة نائب الشام تنكر للصيد في المملكة الحلبية وقد رافقهم حريم وحظايا وحشم بخدم. ولحق الفلاحين والرعية من ذلك اضرار كثيرة . وقد جرت مباريات رماية بالبندق وكان من نتيجتها اعادة بدر الدين محمد بن علي المعروف بابن الحمصي وامي البندق المشهور الى منزله من الرماية بعد ان كان قد اسقط على عادتهم واسقطوا من كان اسقطه (١٣) . وكانت هذه الرحلة من اسباب عزل صاحب حماه عنها ونفيه للشام بسبب الاستياء الشعبي الذي سببته رحلة الصيد هذه . لذلك نجد ان الأمير تنكر نائب الشام يعبر عن استيائه اثناء سفره من دمشق يريد بلاد سبب لكشف البلاد التي وهب اياها السلطان محمد بن قلاوون اثر الفتح الأخير لبلاد سبب وقد عبر حماه ، ينادي بأهلها الا ينفذ احد لملك الامراء (تنكر) بقضية (شكوى) على صاحب حماه . ومن كان له حاجة فعلية بصاحب حماه مباشرة ، وذلك تفادياً لانفجار شعبي . وقد خلع على صاحب حماه (١٤) خلعة على العادة المتبعة في عصره مراعاة لأداب السلوك فقط .

فقدان السند الأخير وحكم النفي :

في سنة احدى واربعين وسبعمائة / ١٣٤٠م اول ليلة الخميس حادي عشر من ذي الحجة توفي السلطان الملك الناصر محمد بن الملك المتصور قلاوون الصالحى وله ستون سنة . وقد عهد لولده السلطان الملك المتصور ابي بكر (١٥) وبوفاته فقد صاحب حماه آخر سند فعلي له في مصر والشام . لذلك

(١) المختصر ج ٤ : ١١٩

(٢) المختصر ج ٤ : ١٢٣

(٣) المختصر ج ٤ : ١٣٠

(٤) السلوك ج ٢ : ٤٦٧

(٥) المختصر ج ٤ : ١٣٤ ، السلوك ج ٢ : ٥٢٣ وما بعدها والمقريري يحدد عمر السلطان بسبع وثمانين سنة واحد عشر

شهوراً . البداية والنهاية ج ١٤ : ١٩٠ النجوم الزاهرة ج ١٠ : ٣ وما بعدها .

قام توصلون بعزل الملك الأفضل محمد بن السلطان الملك المؤيد صاحب حماه ونقله الى دمشق وجعله أميراً من جملة امرائها بعد ان حكم حماه عشرين سنة (١). وذلك لكثرة الشكاوى ضده ولتغير سيرته وتغير ما كان فيه من الزهد (٢). وكنا ذكرنا محاولة تنكز تغادي الشكاوى التي توقع وصولها إليه اثناء مروره من حماه على صاحبها وقد أنعم توصلون عليه بتقدمة الف في دمشق.

وبذلك انتهت مملكة حماه الأيوبية وانتهى حكم البيت التقوي وانزلت مرتبة حماه من مملكة الى نيابة وقد اسندت نيابتها الى مملوك أبي الفداء سيف الدين طقزقر (٣).

وبعد ان أقام الأفضل صاحب حماه المعزول بدمشق أميراً من امرائها مدة يسيرة توفي في ليلة الثلاثاء حادي عشر ربيع الآخر عن ثلاثين سنة (٤). وقد نقل جثمانه الى تربته بحماه وخرج نائبها للقاء نائبه وحزن عليه وحلف انه ما تولى حماه الا رجاء ان يردها الى الأفضل مكافأة لاحسان أبيه (٥). ويعزرو الحنبلي في كتابه شفاء القلوب خروج حماه عن الملك الأفضل الى طقزقر هذا لانه كان يسأل السلطان الملك المنصور حماه (٦). لتكون له.

وقد دفن الملك الأفضل الى جوار أبيه في جامع أبي الفداء المسمى جامع الحيات بمحلة الجسر.

(٢) أسباب خروج حماه عن الحكم التقوي ونهاية مملكتها الأيوبية :

استطاع ملوك حماه البقاء على استقلالهم وملكتهم بسبب سياستهم الواعية التي اخذت جهة موالة من في مصر بعد ان ثبت ان القوة السياسية في ذلك العصر هي لمصر ومن بها.

ورغم انقضاء الممالك الأيوبية وتحول الوجهة السياسية عموماً عن الممالك وانفراد السلطان المملوكي بمصر بالسلطنة والملك وبقاء المناطق التابعة له بإدارة نوابه. فان حماه نتيجة جهود وسياسة وحكمة ملوكها بقيت معاكسة لهذا التيار. فما ان خف تأثير الملك الأفضل محمد على السلطان بمصر حتى كانت نهاية مملكة حماه.

فما هي الظروف التي كانت سبب نهاية مملكة حماه الأيوبية اضافة للسبب الناتج عن سياسته حماه لحكم المماليك بانفرادهم بالسلطان.

فقد رأينا أبي الفداء يحاول بكل طاقاته وضمن اطار الشرعية ان يعيد حماه للبيت التقوي بعد

(١) في النجوم الزاهرة عشرين سنة وهو خطأ ربما من النسخ. انظر ج ١٠ : ٧٦

(٢) المختصر ج ٤ : ١٣٦، النجوم الزاهرة ج ١٠ : ٧٥-٧٦

(٣) المختصر ج ٤ : ١٣٦

(٤) النجوم الزاهرة ج ١٠ : ٧٥-٧٦

(٥) المختصر ج ٤ : ١٣٦

(٦) شفاء القلوب : ٤٦٤-٤٦٥ وهو يميز وتاريخ عزل الملك الأفضل سنة ثلاث وأربعين وسبع مائة وهو خطأ

خروجها منه وما ان نجح في ذلك حتى نراه يحاول اظهار ابنه الملك الافضل محمد على ساحة الضوء ليستشئ له مستقبلاً استلام الحكم من بعده وقد نجحت خطة ابي الفداء واستلم الملك الافضل محمد الحكم بعد ابيه نتيجة مساعي والده والصداقة المثينة التي ربطته مع السلطان وبالتالي تأييد السلطان له ولايته من بعده .

مات السلطان محمد بن قلاوون ضمن ظروف فرضى ناتجة عن صراع المماليك في القاهرة بعيد انتهاء فتنة وظلم (النشور) واستلام الابن السلطان الملك المنصور ابي بكر الذي لم تكن لتجسعه مع الملك الافضل اية صلة أو صداقة ، لذلك فان الشكاوي التي كانت ترد الى نائب السلطنة بالشام وهو المسؤول عن ملوك وأمراء الشام والتي وصلت الى مصر وكان الناظر فيها كما رأينا توصون الذي قوي مركزه بمصر كثيراً بعد انتهاء فتنة (النشور) وظلمه وهذه الشكاوي التي تأيدت وقويت نتيجة تغير سوء معاملة الملك الافضل في حماه لشعبه وابتعاد الرعية عنه . فكانت من أهم أسباب عزله . يضاف الى ذلك طمع المماليك المتنفذين بحكم حماه . كل هذه الأسباب مضافة الى سوء سياسة الملك الافضل وعدم استطاعته تقوية او اصر الصلة بمن في مصر من سلاطين وأمراء ومماليك جعل خلعه عن حماه يتم بسهولة كبيرة ودون أي تعويض على جاري عادة سلاطين وملوك وأمراء العصر الأيوبي والملوكي .

وبالعكس نرى أن خلعه قد مر سواء عليه (وهو الضعيف في قوته وشخصيته) او على اهل حماه الذين لم يؤيدوه او يناصروه ولم يظهر أي صوت يتنادي برجوعه سواء من العامة او الامراء او المماليك او العسكر فقد خلع الملك الافضل ولم يكن هناك احد يريد له لا في مصر ولا في الشام ولا في حماه وحتى في قصره وحاشيته. ورغم أن للملك الافضل ابن يرثه أو على الأقل يمكن أن يحمل عمله الا ان الأسباب التي ذكرناها مجتمعة كانت تحول دون مجرد بحث فكرة استخلافه .

بقيت حماه الأيوبية محتفظة باستقلالها وتبعيةها الأيوبية مدة اثنين وسبعين عاماً زيادة عن باقي الممالك الأيوبية اذ لم يدم البيت الأيوبي في سورية ومصر إلا الى سنة ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م بينما استمر في حماه اعتباراً من ٥٧٣هـ / ١١٧٧م - ٧٤٢هـ / ١٣٤١م عدا فترة الانقطاع التي حدثت ما بين (٦٩٨ - ٧١٠هـ) (١٢٩٨ - ١٣١٠م) ^(١)

(٣) علاقات حماه السياسية :

سبق القول عن موقع حماه وأهميتها الاستراتيجية وانها كانت نقطة متقدمة خلال فترات الحروب الصليبية وحداً وسطاً خلال نزاع الشمال والجنوب من شمال بلاد الشام . ونقطة هامة للبدو واطماعهم . ونقطة رصد هامة تجاه تحركات الحشيشية في مصياف . وقد اثر موقع حماه والمهام المطلوبة منها في رفع شأنها واستلامها مركز السيطرة في الصراع بينها وبين

(١) مهرجان ابي الفداء : احسان المظلم : ١٧١

حصص المجاورة لها . لذلك نجدها قد ارتقت وتقدمت عن سائر المناطق المحيطة بها ونجد أن مركزها أصبح من أقوى المراكز في بلاد الشام أثناء حكم أبي الفداء بل أصبح أبو الفداء المتقدم على سائر أمراء الشام وله الكلمة الأولى فيما بينهم . ولقب وحيداً من دون الأمراء عموماً أو ملوك حماه بالسلفان .

ففي علاقة حماه مع حصص نجد أن حماه أخذت سياسة تعتمد على الصداقة وحسن الجوار بعد أن انتهت الاضطرابات والصراع بين قوى المدينتين التي تعود إلى صراعات قبلية سابقة . ولم يعكر صفو هذه الصداقة بين البلدين سوى في فترة قصيرة خلال حكم الملك المجاهد شيركوه ملك حصص الأيوبي .

أما مصياف فقد كانت علاقتها معها مضطربة ومتبدلة حسب الأهواء والسياسة العامة ونشاط أهل مصياف ولكن كانت تمنح العلاقات فيما بينهما إلى السلم والوداعة فيما إن يتعكر صفو العلاقات حتى ما تلبث أن تعود للسكون والصفاء الذي بدأ من فترة حكم والي حماه أثناء عهد صلاح الدين شهاب الدين الحارمي الذي استطاع التفاهم مع شيخ الجبل وتكفل بمصياف والحشيشية ولم يعد يعكر صفاء العلاقة بينهما سوى حوادث طفيفة كما رأينا .

أما علاقة حماه مع الصليبيين فإنها لم تكن ودية في كل الحالات فكانت حماه هي النقطة المتقدمة في حلقة الصراع بين المسلمين والصليبيين وقد حاول الصليبيون مراراً احتلال حماه ولكنهم فشلوا ولو أنهم نجحوا أحياناً في الوصول إلى مشارف حماه بل إلى أبوابها إلا أنهم فشلوا في احتلالها وكانت حماه تحذر دائماً مفاجأتهم كما كانوا هم أيضاً يحذرون مفاجآت حماه والمسلمين من ورائها .

أما علاقة حماه بحلب فقد كانت تتبع من سياسة دائمة هي سياسة الاحتفاظ باستقلالية حماه فقد كانت حماه تحاول الابتعاد عن سيطرة حلب عليها وبذلك تستجير بدمشق علىحكام حلب المتواجدين فيها .

أما إذا كان الخطر من دمشق فإنها تستنجد بحلب . فأساس السياسة بقاء حماه مستقلة . وهذا ينطبق على سياسة حماه تجاه دمشق تلك السياسة التي تنبع من ضرورة الحفاظ على استقلالية حماه وبنائها في حكم البيت التقي . وإن كانت حماه قد استقرت نوعاً ما أثناء حكم صلاح الدين الأيوبي إلا أن صراعات أولاده وآل بيته جرت على حماه الكثير من الوبلات والتقلبات السياسية إلا أن تقلباتها السياسية كانت لا تخرج عن سياستها المطلقة في الاحتفاظ باستقلالية حماه في ظل البيت التقي .

وفي أواخر الحكم الأيوبي وأوائل الحكم المملوكي ظهر في الأفق نتيجة الصراع بين مصر وبلاد الشام وتبين أن القوة تكمن في مصر وإن المستقبل السياسي يجب أن يرتبط معها لذلك نجد أن سياسة حماه أخذت على عاتقها المهادنة والخضوع للحاكم في مصر أي كان الحاكم في مصر لذلك نجد شعار ملوكها أصبح ومع من يملك الديار المصرية كائناً من كان . وقد نجمت سياسة حماه هذه فرغم تبدل حكم الأيوبيين بحكم المماليك فإن شيئاً ما لم يتغير في حماه وبقيت سياستها هذه ناجحة رغم سقوط كافة الممالك الأيوبية وانتهاء عهد الممالك الأيوبية واستقلالية أي مملكة ضمن إطار حكم المماليك في مصر ونوابهم في الشام .

أما علاقة حماء مع البدو وسياستها تجاههم فإنها حافظت على ود وصداقة وحسن تعامل ضمن إطار حفاظها على استقلاليتها ومنعهم من التغلغل فيها أو الاغارة عليها أو مفاجأتها . إلا أنها وبحكم علاقاتها التجارية معهم كانت تحظى عندهم بوضع خاص وكانت حماء توليهم عناية خاصة لذلك نرى أنها حافظت على سياسة الاحتفاظ (بشعرة معاوية) في علاقاتها معهم ونجد أن الملك الأفضل هو الوحيد الذي استطاع حسم الخلافات بين البدو وعلى رأسهم أميرهم مهنا بن عيسى مع السلطان محمد بن قلاوون بعد صراع وفتور دام سنوات عدة (١).



الفصل السابع

الحياة الادارية

١ - الحدود :

لم تتمتع حدود الممالك الايوبية بالثبات والديمومة على الاطلاق بل كانت عرضة للتبديل والتغيير بسبب الصراعات القائمة والمستمرة بين ورة السلطان صلاح الدين الايوبي وورثة سائر الملوك الايوبيين عموماً . وبسبب عادة تمريض الملك المعزول عن اقطاعه باقطاع آخر تلك العادة التي بقيت مرعية في كل مراحل الحكم الايوبي في مصر وبلاد الشام . لذلك تعرضت حدود مملكة حماة الايوبية لتبدلات كبيرة اثناء حكم البيت التقي فيهما .

وكان اول تحديد لها تم حين ولي السلطان صلاح الدين مدينة حماة لخاله شهاب الدين محمود . فكانت مدينة حماة والقرى التابعة لها تشكل ولاية شهاب الدين محمود . وبعد وفاته ولي صلاح الدين حماة لابن اخيه تقي الدين عمر اضافة الى مصر التي كانت تحت ولايته وذلك عام ٧٥٤هـ .

وبعد عزل تقي الدين عمر عن مصر ابقى صلاح الدين له حماة وبعض المواقع التي حددتها ابر النداء بقوله «زاده على حماة منبج والمعره وكفر طاب وميا فارقين وجبل جنور بجنيح اعمالهما»^(١) اضافة الى حماة. ثم اضاف إليها اقطاعات اخرى وقام تقي الدين أيضاً بالتوسع في بعض المواقع الجزرية فكان تحت يده عند وفاته كل من «حران والرها وسمساط والموزر، وميا فارقين. ومن الشام حماة والمعره وسلسية ومنبج وقلعة نجم وجبله والاذقية وبلاطس وبكسراثيل»^(٢) واثار وفاة تقي الدين عمر واستيلاء ابنه الملك المنصور على الحكم اقر

(١) الروضتين ج ١ : ٢٥٠

(٢) المختصر ج ٣ : ٧٠

(٣) المختصر ج ٣ : ٧٤

السلطان صلاح الدين للملك المنصور : «حماة وسلمية والمعرة ومنبج وقلعة نجم واسترجع البلاد الشرقية وما معها .»^(١) وذلك بعد ان توسط للصلح بينهما الملك العادل وبقيت حدود حماة على وضعها حتى زمن الملك الناصر قليج ارسلان الذي استولى على العرش متجاوزاً ولي العهد اخاه الملك المظفر ومستفيداً من صراع ورتة السلطان صلاح الدين : الملك العادل والملك الاشرف .

وجرى تعديل لحدود حماة اثر اتفاق الملك العادل والملك الاشرف على اخذ سلمية من الملك الناصر واعطائها للملك المظفر .

ثم جرى تعديل لهذا الاتفاق باتفاق لاحق جرى بموجبه اعطاء الملك المظفر : حماة والمعرة وبارين بعد استردادهم من الملك الناصر قليج ارسلان .

وبعد حصار حماة واستسلام الملك الناصر الذي رفض الاتفاق السابق الذكر عوض عن مملكة حماة بمنحه (بارين) ترضية له .

وبعد فترة اعيدت بارين لحماة ثانية .

ثم اعيدت سلمية لحماة زمن الملك المنصور الثاني محمد .

واثر هجوم عسكر حلب على مملكة حماة زمن الملك المظفر بقيادة الملك المعظم توران شاه في اواخر سنة ٦٣٥هـ / ١٢٣٧م خسرت حماة المعرة .

وبقيت حدود حماة دون تعديل حتى هجوم المغول بقيادة هولاكو . فبعد معركة عين جالوت وانتسحاب المغول اعاد المظفر قطز الملك المنصور على حماة وبارين واعاد اليه المعرة .^(٢)

واستقرت حدود مملكة حماة على هذا الشكل حتى زمن ابي الفداء اذ جرى تعديل عليها بان ضمت المعرة الى حلب اقتطاعاً للامراء الموجودين فيها كما سبق الحديث وقد جاء تحديد حدود مملكة حماة في مرسوم تأكيد تعيين ابي الفداء على حماة بعد فصل المعرة عنها يلي : «رسم بالامر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الناصري ان يستقر بيده (يد ابي الفداء) حماة وبارين بجميع حدودها وما هو منسوب اليها من بلاد وضياع وقرايا وجهات واموال ومعاملات وغير ذلك من كل ما ينسب الى هذين الاقليمين ويدخل في حكمهما»^(٣) .

وبقيت حدود مملكة حماة هكذا الى ان سقط الحكم الايوبي فيها . وعليه يمكن اعتماد رواية الفيلسوفي التي بين فيها حدود حماة واقسامها الادارية. يقول «وحدها من القبلة مدينة الرستن وما ساحتها

(١) المختصر ج ٢ : ٨٠

(٢) المختصر ج ٣ : ٢٠٦ - ٢٠٧

(٣) المختصر ج ٤ : ٧١ - ٧٢

أخذاً بين سلمية وقبة (ابن) ملاعب الى حيث مجرى النهر والآثار القديمة ، وحدها من الشرق البر أخذاً
على سلمية الى ما استقل عن قبة ابن ملاعب ، وحدها من الشمال آخر حد المرة من العرايا (البادية) .
وحدها من الغرب مضافات مصياف وقلع الدعوة ولها ثلاثة أعمال : الاول (عسل بلدها)
وهو ظاهرها وما حولها .

والثاني (عمل بارين)

والثالث . . . (عمل المرة)^(١)

وبالرجوع للمصادر والمراجع امكتني حصر بعض المناطق التابعة لحياة فكانت كما يلي : دير
نقيرة / شحشو ، بشرين سلمية / منبج / رمنية / عقربا (عقيربات) ، حوران / (حر بنش) بارين
(بشرين) جذر ، المرة

٢ - الادارة :

عاشت حماة في ظل البيت التقوي كمملكة من الممالك الايوبية التي استت في زمن صلاح الدين
واولاده من بعده . / لذلك كان الملك على رأس الجهاز الاداري فيها . واستمرت الملكية في كل مراحل
الفترة التقوية باستثناء فترة الانقطاع ما بين عامي ٦٩٨هـ / ١٢٩٨م - ٧١٠هـ / ١٣١٠م حيث حولت
الى ولاية ، واعيدت الى ابي الفداء بصفته وال عليها ثم أصبح ملكاً وكان في آخر فترة حكمه قد نسب
بالسلطان . وأصبح مقدماً على سائر ولاية بلاد الشام اما ابنه فقد حكم حماة بسنة ملك لها حتى تم عزله عام
٧٤٢هـ / ١٣٤١م وبذلك عادت حماة ولاية مملوكية وسقط الحكم التقوي فيها . وقام السلطان بالمصادقة
على تعيين الملك في حماة . والمصادقة هذه التي كانت تتم بمرسوم التولية كانت ضرورية لشرعية التعيين
فمع ان نظام تعيين الخلف في حكم المملكة يستند على ولاية العهد . وان ولي العهد يتم تسميته من قبل
الملك الذي يختار ابنه الذكر الاكبر (على الغالب) ويأخذ لولي العهد هذا البيعة من اهل حماة ويستحلفهم
اليمين على صدقهم واخلاصهم لهذه البيعة . عند ذلك يطلب من السلطان تأييد هذه البيعة ، وقد
جرت العادة ان يقر السلطان ولاية العهد هذه دون معارضة وكثيراً ما كان الجواب بتضمن عبارة والراي ما
تراه مناسباً . وبعد وفاة الملك يُبلغ السلطان هذه الوفاة وبدوره يرسل تأكيداً على بيعة ولي العهد .
واعتباراً من العصر المملوكي أصبح السلطان في مصر يرسل مرسوم المصادقة على تولية ولي العهد
للملك ، متضمناً صلاحيات الملك الجديد وحدود مملكته .

فقد ورد مرسوم تعيين ابي الفداء (على سبيل المثال) متضمناً الاشارة الى حدود حماة التي سيحكمها
ابو الفداء والى طبيعة حكم ابي الفداء لحماة بصفته ملكاً لها الى نهاية عمره ، فبعد مقدمة طويلة من
خصائص الانشاء في العصر المملوكي نقرأ في المرسوم :

(١) ص ٤ : ١٤١ - ١٤٢ / دمشق بين عصر الممالك والعثمانيين : ٢٢ .

«ان يستقر في يد المقام العالي العبادي المشار اليه جميع المملكة الحموية وبلادها واعمالها وما هو منسوب اليها ومباشرها التي يعرضها قلمه وقسمه ومنابرها التي يذكر فيها اسم الله تعالى واسمه ، وكثيرها وقليلها وحقيقتها وجليلها » على عادة الشهيد الملك المظفر تقي الدين عمود الى حين وفاته ومنه وقلدناه ذلك تقليداً » ونجد بهذا النص ان المرسوم حدد حدود الدولة وطريقة الحكم وهي ملكية حسب عادة مؤسس مملكة حماة الأيوبية الملك المظفر تقي الدين عمر . ثم حدد المرسوم ان التعيين لحين وفاة المعين .

ونجد تفصيلات اكثر في مرسوم تأكيد تعيين ابي الفداء على حماة بعد فصل المرة عنها كما يلي :

«رسم بالامر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الناصري ان يستقر بيده (ابو الفداء) حماة وبارين بجميع حدودها وما هو منسوب اليها من بلاد وضياح وقرايا وجهات واموال ومعاملات وغير ذلك من كل ما ينسب الى هذين الاقليمين ويدخل في حكمهما . يتصرف في الجميع كيف شاء من تولية واقطاع اقطاعات الامراء والجند وغيرهم . من المستخدمين من ارباب الوظائف وترتيب القضاة والخطباء وغيرهما ويكتب بذلك مناشير وتواقيع من جهته ويجري ذلك على عادة الملك المظفر تقي الدين عمر صاحب حماة ويقوم على هاتين الجهتين خمسمائة فارس بالعدة الكاملة من غير نقص ويطلق حكم ما عليهما من المناشير والتواقيع الشريفة والمساحات . والمحسوب وكل ما هو مرتب عليهما للامراء والجند والعرب والتركمان وغيرهم بحكم الانعام بهما على المشار اليه على قاعدة الملك المظفر صاحب حماة وتمويض الجميع عن ذلك بالمرة » وافرادها عن حماة وبارين ، فليستقر جميع ما ذكر بيده العالية استقرار الدرر في اسلاكها والدراري في افلاكها ، يتصرف في احوالها بين العالين بنهيه وامره ، ويجري احوالها بين المستوجبين بانعامه وبره . ولا يبغي فيها امر بغير منشوره الكريم ، ولا يجري معلوم الا بمرسومه الجاري على سنن سلفه القديم ليفعل في ذلك بجميع ما اراد كيف اراد ، ويتصرف على ما يختار فيما تحت حكمه الكريم وبحكمه من مصالح العباد والبلاد » ومع ان هذا المرسوم حدد تفصيلاً صلاحيات الملك في حماة الادارية والمالية والعسكرية :

فقد جرت العادة ان يرسل ملك حماة في طلب الحل والربط للامور الكبيرة الى السلطان في مصر مثل اعطاء امرة او وظيفة كبيرة التي لا تتم الا بعد مشاورة صاحب مصر الذي يجيبه عادة بتعبير وما تراه مناسباً او ان الرأي مآتراه . ورغم ذلك فصاحب مصر السلطان ظل هو المتصرف بالمملكة اعتباراً من الملك وحتى اصغر الامور .

(١) راجع الملحق وراجع ايضاً المختصر ج ٤ : ٦٧-٦٨ . تاريخ المليك : ١٢٥-١٢٦ مصر والشام : ١٣٤-١٣٥ و ٢٨٠-٢٨١

(٢) وذلك بسبب اعطاء المرة للامراء المقيمين في حلب تمويضاً عن اقطاعاتهم في حماة ولمنع تدخلهم بها كما رأينا .

(٣) راجع الملحق الختلق بالمرسوم وراجع المختصر ج ٤ : ٧١-٨٢ . مهرجان ابي الفداء : ١٧١

ويجسد القلقشندي في صبح الاعشى حقوق صاحب حمة كما يلي :

وان صاحبها كان يستقل فيها باعطاء الامرة والاقطاعات وتولية القضاة والوزراء وكتاب السر ومائر الوظائف بها وتكتب المناشير والتواقيع من جهته ولكنه لا يعرض امراً كبيراً في مثل اعطاء إمرة أو وظيفة كبيرة حتى يشاور صاحب مصر ، وهو لا يجيبه إلا بأن الرأي ما تراه ومن هذا ومثله ، وربما كتب له مرسوم شريف بالتصرف في مملكته .

قال في «مسالك الابصار» ومع ذلك فصاحب مصر متصرف في ولاية صاحبها وعزله « من شاء ولأه ومن شاء وعزله »^(١) . وقد كان التدخل في شؤن حمة وشؤن واختصاصات ملكها سمة مميزة ، ففي عهد الايوبيين كان صلاح الدين يحدد الاطار العام دون التفاصيل ، لذلك رأيت ان يتذمر من طمع نفى الدين عمر عند قيامه بتوسيع مملكته في الاراضي الجزرية وبعد صلاح الدين اصبح التدخل للطرف الاقوى من اولاد وخلفاء صلاح الدين ورجال الدولة الايوبية . اما في عهد المماليك فاصبح السلطان في مصر هو المتدخل ، إلا انه اصبح هناك تدخل آخر يعود للامير الاقوى في بلاد الشام فتارة صاحب طرابلس^(٢) ، واغلب الاحيان كان صاحب دمشق رغم ان ابا الفداء اصبح في عهده هو المتقدم على امراء الشام . بينما نجد في عهد ابنه ان صاحب دمشق رفض استلام الشكاوى ضد صاحب حمة مما يؤكد سلطته عليه لان صاحب الشام هو نائب السلطان في بلاد الشام ونجد ان الامير قوصون يقوم بعزل صاحب حمة الملك الافضل محمد منهاً بذلك حكم الايوبيين التقوين فيها .

وقد كان الملك في حمة ينتظر سنوياً (التشريف) وهو خلعة تصله من السلطان فيلبسها في مراسم مرعية ويخرج بها على اهل حمة وهذا يعني تأكيد السلطان لسلطته على حمة . وتأكيد استمرار الملك في حمة .

كذلك جرت العادة ان يحلف السلطان على تعيين ملك حمة (كغيره من الامراء والولاء) وذلك تأكيد على حسن نواياه وصدق عزمه على هذا التعيين .

علماً بأن تحركات ملك حمة (كغيره من الولاة والامراء والحكام) . كانت لا تتم الا بأخذ المرسوم وهو الموافقة المسبقة من السلطان فلا بد من (المرسوم) واذا طالت اقامة الملك يمكن ان يعطي السلطان مرسوماً بعودة ملك حمة اليها كما حدث مع ابي الفداء بعد زيارة طويلة لمصر .

ويمكن للسلطان ان يطلب في أي وقت ملك حمة إليه أو يرسله في مهمات . وقد حدث ان طلب من ملوك حمة (المنصور والمظفر وابي الفداء) القدوم الى مصر لحضور حفلة صيد أولللحج . ويمكن ان يكون الطلب سريعاً فيذهب ملك حمة على البريد ويجدد مرسوم طلبه من يأتي معه ومن يرافقه (امراء ،

(١) صبح الاعشى ج ٤ : ٢٣٧ ، مهرجان ابي الفداء : ١٦٨

(٢) انظر في ذلك صبح الاعشى ج ٤ : ٢٣٨

عسكر « عماليك وسواهم » . ويجدد المرسوم طريق الملك ومناطق مبيته . وهناك يحدد جراته من طعام وعلف للدواب ومصرف له ولرافقته .

وعند وصوله للسلطان كان يتم تحديد مكان اقامته (في قلعة الجبل او في بيت احد القضاة او سوى ذلك) . وفي الزيارة تقتضي المراسم المرعية ان يقدم الملك هدية قد تسبقه أو تقدم قبل وصوله بين يدي السلطان . ويرد السلطان عليها بالخلع والهدايا ، وللملك خلال زيارته بدل نقدي وخلع له ولزوجه واطعمة وسائر المتطلبات .

كان هناك زيارة سنوية يقدم فيها الملك هدايا (خيل التقدمة) التي اصبحت اعتباراً من خلفاء الملك المظفر عادة مرعية مع مبلغ نقدي هو على ما يبدو ما يستحق للسلطان عن ملكة حاة مع هدايا اخرى . وجرت العادة ان يرد السلطان بتقديم مبلغ نقدي قدره ثلاثون الف درهم زادها السلطان محمد ابن قلاوون الى خمسين عند اصابة حاة بقحط مع اعطاء ابي الفداء كمية من القمح كما رأينا) . في عام ٧٢٢هـ/١٣٢٢م ويقدم خمسين قطعة قماش خلعاً للملك والحاشية ويقدم فرسين بكامل اهنهما . كذلك كانت العادة ان يقدم ملك حاة لرسول السلطان الذي يحضر مرسوم تعيينه أو تأييد تعيينه هدايا وخلعاً ومبلغاً نقدياً (رأينا ان ابا الفداء قدم مائة الف درهم لمن احضر اليه مرسوم التعيين) .

وقضت عوائد العصر ان يذهب الملك لاستقبال الامراء من الرستن . والسلطان من دمشق والوفود من ظاهر حاة ويحري انزالهم في القلعة أو بيت الملك المظفر الذي تحول الى قصر للضيافة مع خلع وهدايا واحياناً مبالغ نقدية تقدم للوفود . ووصف ابو الفداء ذلك عند سفره لمصر لزيارة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وعند وصوله لقلعة الجبل ومقابله للسلطان بقوله : «وشملتني صدقاته بالتسريع في الكيش وتوزيع الرواتب الكثيرة بعد ما رتب لي في جميع المنازل من حاة الى الديار المصرية الرواتب الزائدة عن كفايتي وكفاية كل من هو في صحبتي من الاغنام والخبز والسكر وحوائج الطعام والشعير والتبن وتشريفاً في حال قدومي من الاطلس بطرز الزركش والكلوة على العادة واركبني حصاناً بسرج على بالذهب» (١)

كان سكن الملك في القلعة وليس للقلعة نائب كما هو جار في عادة ملوك وامراء (العصر المملوكي) اذ كان يحري تعيين نائب القلعة بشكل مستقل من قبل السلطان ليكون هناك توازن (وصراع) بين الامير أو الملك ونائب قلعة الذي كان عادة يعتقل الامير أو الوالي اذا صدر امر من السلطان بذلك . وكان يسكن مع الملك في القلعة اهله (وقد ولد في قلعة حاة كثير من ملوكها وامرائها) ويسكن ايضاً في القلعة كبار رجالات الدولة - وعماليك الملك (٢) .

(١) المختصر ج ٤ : ٨٣

(٢) تاريخ المماليك : ١٢٧

كان للقلعة جامعها وسجنها ومستوصفها وأطباؤها الذين كانوا عادة اعظم اطباء المملكة . كما كان في القلعة مكتبة وحرس القلعة ومستودعات الغذاء والميرة وصهاريج الماء وغير ذلك . كما كان للملك املاك وقصور خارج القلعة داخل حماة وداخل المملكة الحموية وخارجها فقد كان لاهل ابي الفداء منزل يمشق كذلك للملك اقطاعاته ووارداته كما سنين في النظام المالي .

وقد كان الملك (تابع نواب حماة عادة ملوكها بعد سقوط الملكية الثقوية فيها) يخصص يومي الخميس والاثنين من كل اسبوع للجلوس للقضايا العامة ، وللعمامة وللشؤون الداخلية من مملكته . وهو ما يسمى بمصطلح العصر الايوبي بالموكب . وقد وصف القلقشندي الموكب في حماة فقال :

« وترتيب الموكب بها أن النائب بها يركب من دار النيابة في يومي الخميس والاثنين وصحبته العسكر من الامراء واجناد الحلقة ، ويخرج إلى خارج المدينة من قبلها ويسير في الموكب إلى ضيعة تسمى بسيرين^(١) على القرب من حماة . ثم يعود في موكبه حتى يقف بسوق الخيل بمكان خارج المدينة يعرف بالموقف وينادي بينهم على الخيول . وربما نودي على بعض العقارات . ثم تصيح الجاويشة . وينصرف عن ذلك المكان ويدخل المدينة ، ويأتي دار النيابة ، ويدخل أول المعسكر من داخل باب يعرف بباب العسرة (أو العزة) ثم يترجل الناس على الترتيب على قدر منازلهم حتى لا يبقى راكب سوى النائب بمفرده ، ولا يزال راكباً حتى يترجل بشباك بدار النيابة معد للحكم فيجلس فيه ويجلس عنده داخل الشباك القضاة الأربعة : الشافعي والحنفي عن يمينه ، والمالكي عن يساره والحنبلي يليه ، ويجلس الامراء على قدر منازلهم . وكاتب السر وناظر الجيش امام النائب خارج الشباك ، ويقف هناك الحاجبان والمهندار ونقيب النقباء ، وترفع القصص (الشكاوى) فيقرأها كاتب السر عليه ويرسم فيها ما يراه ، ثم يقوم من مجلسه ذلك وينصرف القضاة ويدخل إلى قبة معدة لجلوسه ومعه كاتب السر وناظر الجيش والامراء فيفصل بقية اموره بما يتعلق بالجيش وغيره ، ثم يعد السباط بعد ذلك فيأكلون وينصرفون . »^(٢)

وبين هذا النص لنا طريقة تصرف الملك أو النائب في حماة للقضايا العامة ويحدد عدد الوظائف واهميتها فبحسب اهميتها يكون قرب مجلس صاحبها أو بعده عن مجلس الملك أو النائب .

وبين النص ان قعود الملك عند الشباك للنظر في قضايا العامة والقضاء وقد يكون علنياً . بينما قعوده في القبة لتصرف الامور الأكثر اهمية وخطورة . وسرية بما يتعلق بامور الجيش والادارة والحكم والحضور فيها أكثر خصوصية وربما اقل علنية ايضاً .

(١) سيرين قرية قرب حماة باتجاه الجنوب وتقع على بعد ١٣ كم منها وقد وردت في النسخة المطبوعة لصحح الاعشن باسم بقرين وهو خطأ واضح . وجود لفظ هذا الاسم في حماة (انظر : معالم واعلام قاموس المتجدد قسم الاعلام . جدول المسافات للقطر العربي السوري ومعجم القرى السورية

(٢) صحح الاعشن ج ٤ ٢٣٨ - ٢٣٩ ، وكان ترتيب الموكب هذا مراعى في سائر مناطق الشام ومصر باختلافات على حسب الموقع أو ردها القلقشندي في كتابه صحح الاعشن .

ولم يكن للملك نائب بمعنى النيابة وليس لولاياته التابعة له نيابات كما يفهم من نص القلقشندي
والملك هو الذي يعين ولاية في المناطق التابعة له (المعرة وبارين) ففي عهود المملكة الايوبية الاولى
كان يختارهم من الاكراد وفي العهود المتأخرة اصبح اختيارهم من الممالك التابعة للملك صاحب حمة .

ويظهر في هذا النص النظام الاداري واضحاً . فحمة بحكم الملك المباشر ويقوم بتعيين وال على
بارين والمعرة ومع ان الملك لم يكن يعين نائباً عنه في فترة حكمه الا اننا نرى من تتبع اخبار مملكة حمة ان
المهمات الكبرى كانت توكل لاقرباء الملوك الايوبيين ويؤخذ بالاقرباء الاولين فادناهم فادناهم .

فترى على سبيل المثال ان الملك المظفر الثاني كان قد ولي بارين اخاه قليج ارسان ثم عاد فانزعها
منه . ونرى انه اثناء مرضه قد قام بملوكه (وامتاز داره) سيف الدين طغرل بتدبير ملكه بسبب ان ابنه
كان له من العمر عشر سنين وبعد وفاته بقي طغرل يصرف الملك مع الشيخ الانصاري والطواشي
مرشد . تشرف عليهم والدته الملك غازية خاتون حتى بلوغ الابن سن الرشد .

بينما نرى ان الملك المظفر الثالث محمود تعاون مع عمه الملك الافضل علي حتى كاد يكون شريكه في
الملك . اما ابو الفداء فقد ارسل اخاه بدر الدين حسن على رأس قيادة جيش وفيه ابن اخيه محمود وملوكه
اسبغوا الى الرحبة بأمر السلطان لطرده البدو من هناك (وهم الامير مهنا وعربه) .

بينما نجد ابا الفداء يبرز ابنه ويسند له بعض المهام تمهيداً لتسليمه العرش بعد وفاته .^(١)

اما باقي الوظائف الادارية في حمة (عدا العسكرية التي ستفصلها فيما بعد) فهي كما يصفها
القلقشندي : **دوبيا** من الوظائف الدينية من ارباب الاقلام اربعة قضاة من المذاهب الاربعة (حنفي
شافعي حنبلي مالكي) وولايتهم من الابواب السلطانية (مصر) بتوقيع شريفة (مراسيم) وقاضي عسكر
حنفي وليس بها قضاة عسكر من المذاهب الثلاثة الأخرى ، وبها وكيل بيت المال (اكبر موظف مالي في
حمة) ، وولايته من الابواب السلطانية (مصر) بتوقيع شريف (مرسوم) ووكالة شرعية (لانه يحصل حصة
السلطان في مصر من نواتج ومحصولات وضرائب حمة) ومحتسب بولاية من النائب بتوقيع كريم .^(٢) (وكما
هو معلوم فان وظيفة المحتسب هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وضبط الموازين والمكاييل) .

(١) ص ١٣٩ ج ١ وانظر ايضاً عن النيابة في مصر : مصر والشام : ١٣٤ - ٢٣٥ و ٢٨١ - ٢٨٢
(٢) المختصر ج ١ : ٩٥ ، انظر قضية وراثة العرش عند الممالك في تاريخ الممالك : ١٢٤ - ١٢٥ وانظر مصر والشام ١
١٣٦ - ١٣٧ و ٢٨١ - ٢٨٤

لاحظ ان المرسوم السلطاني الذي يصدر عن السلطان في مصر يكون (بتوقيع شريف) بينما مرسوم الملك والنائب
فيصدر (بتوقيع كريم) . وهذا تنظيم اداري يبين فيه ترتيب قوة المراسيم فمرسوم السلطان أقوى من مرسوم الملك
والنائب .

وبعد ان ينهي القلقشندي الوظائف الدينية يذكر الوظائف الديوانية (الادارية) فيقول : «وبها من وظائف الديوانية من ارباب الاقلام (أي كتاب) كاتب سر (وهو اعل كاتب اداري في المملكة) ويعبر عنه ديوان الانشاء (في مصر ديوان السلطان) بصاحب ديوان المكاتبات بحماة المخروسة (وهو لقبه الرسمي في التحارير والمراسيم) ، ولايته من الابواب السلطانية بتوقيع شريف وله اتباع (أي في التسلسل الوظيفي) من كتاب الدست (وهو الذي يجلس مع كاتب السر بدار العدل امام الملك أو النائب ويوقع لفصل - الشكاوي -) وكتاب الدرج (وهو الذي يقوم بمكاتبة الولايات وغيرها في الغالب وربما شاركه في ذلك كتاب الدست ويعبر عنه في الفترة المتأخرة بالموقع) . ولايتهم عن النائب بتوقيع كريمة ، وبها ناظر المملكة القائم مقام الوزير (وهي الرتبة الثانية بعد الملك أو النائب) وولايته من الابواب السلطانية بتوقيع شريف ، وله اتباع (في السلك الوظيفي) من كتاب وشهود ، ولايتهم عن النائب بتوقيع كريمة . الى غير ذلك من وظائف صغار بوليها النائب بتوقيع كريمة» .^(١)

وقد ذكر ابن واصل عن وجود وظيفة متولي البر في القلعة وذكر ان احد متوليها كان شهاب الدين البلاعي .^(٢)

٣ - الجيش :

عاشت مملكة حماة الايوبية ضمن فترتين الاولى ايوبية والثانية مملوكية . ومع ان النظام العسكري لم يختلف كثيراً خلال الفترتين من عمر مملكة حماة التي كانت الفترة المملوكية فيها قصيرة بالنسبة للتطور العسكري المملوكي فان هناك سمة مميزة هي سمة الجهاد والاستعداد القتالي الدائم فالجهاد ضد قوتين كبيرتين هددتا العالم الاسلامي الاولى الصليبية والثانية المغول يضاف اليها مناوشات الارمن والخوازرية . وان هذا التهديد المباشر الذي جعل الاعتماد على القوة العسكرية ضرورة ملحة اضيف لها ضرورة اخرى هي النزاعات الداخلية بين الملوك والامراء والنواب الايوبيين كذلك الحال بالنسبة للمماليك وكان التهديد المستمر للمماليك والامارات الصغيرة والتطاحن لابتلاعها والسيطرة عليها سمة العصر. وهناك ظروف خاصة لحماة تضاف الى ما ذكرناه ناتجة عن علاقتها مع الحشيشية من جهة وعلاقتها مع البدو من جهة اخرى وكلا العلاقتين محفوف بالاعطال وتوجب الاستعداد الدائم والكامل لمواجهة اي خطر مفاجيء .

(١) يفقد القلقشندي بتعبير النائب : الملك النائب لأن ملك حماة وصاحبها هو نائب عن السلطان بها مثله مثل النائب اما لقب بالملك فهو للتفضيل الاداري والسلطوي عن النائب الغادي الا ان كليهما نواب للسلطان في حماة .

(٢) صبح الاعشى ج ٤ : ٢٣٨ ، مهرجان امي الفداء : ١٦٨ - ١٦٩ .

(٣) مفرج الكروب ج ٣ : ١٦٣ . دولة المماليك : ص ١٢٧ - ١٣٨ . كذلك عند محمد أحمد دهمان في كتابه دمشق في

عهد المماليك : ١٩ - ٣٤ .
وانظر ايضاً مصر والشام : ١٣٦ - ١٣٧ و ٢٨١ - ٢٨٤

وهناك تميز بين تنظيمات الجيش في العصر الايوبي عنه في العصر المملوكي :

الجيش في العصر الايوبي .

تعود تنظيمات الجيش في العصر الايوبي لعصر صلاح الدين الايوبي الذي اتخذ تنظيماته عن نور الدين :

فقد كان جيش صلاح الدين يتألف من الجيش المصري ومن العساكر الصلاحية والاسدية ويضاف الى الجيش المصري جيش بلاد الشام والجزيرة . ثم الجيوش الاحتياطية التي تزيد وتنقص حسب الحاجة وكانت تجند من التركمان والاكراد والعرب (العربان) .^(١)

وقد اعتمد التنظيم العسكري خلال العصر الايوبي ومن بعده المملوكي نظام الاقطاع العسكري . وقد تطور هذا النظام ، وتميز بين المرحلة الايوبية عن المرحلة المملوكية .

يعني الاقطاع في هذا المضمار توزيع دخل قطعة من الارض كالجرا او معاش . والاقطاع هنا اقطاع استغلال من نوع اقطاع الخراج وهو انما يكون عوضاً وضماناً لما ينبغي ان يدفعه بيت المال للرعية والعساكر في مقابل اعطياتهم المقدرة وكان الجند المقطعين يأخذون ايجار اقطاعهم مقابل ارزاق وقد نشأت الاقطاعات الخيرية منذ عهد بني بويه وطبقه السلاجقة ، والايوبيين ومن بعدهم المماليك واستمر هذا النظام في العهد العثماني وحتى منتصف القرن التاسع عشر .^(٢)

وقد اعتمد صلاح الدين نظام الاقطاعات ، فكان لكل من كبار الامراء وصغارهم اقطاع . وكانت تصرف للماليكهم جامكية او عطاء معين او تجعل لهم حصص من احدى الاقطاعات . ونفقات اي مؤن وعليق . وكان الجند ممن لم تثبت اسماؤهم في دواوين العطاء يعرفون باسم البطالين^(٣) وليس للمقطع ان يتصرف باقطاعه كاملاً الا بلذن خاص فهناك اقطاع لخاصة الامير واقطاع لامارته . وكان المقطع مسؤولاً عن فلاح الارض وسقيتها على الوجه الاجمل ، وعن حفظ الجسور وعن جمع خراج الارض مالاً او عيناً عن كل محصول وكان المقطع يشرف على الغلة بنفسه خلال الصيف حيث يتفرق الجند على اقطاعاتهم لتحصيل الغلة .^(٤)

وقد كان للاقطاع واجبات حرية منها حماية الامن في اقطاعيته اما الخدمة الهامة الاساسية التي كان يؤديها المقطع الايوبي ، فهي قيامه بتأدية خدمات حرية وتقديم عدد من الجند الى الجيش السلطاني زمن

(١) حسنين ربيع : ٣٠ . مقال جب : ٩٧ - ١١١ .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية الترجمة العربية : مادة اقطاع .

(٣) دراسات في حضارة الاسلام مقال جب عن جيوش صلاح الدين : ٩٨ - ٩٩ Ashur : الفصل السادس

(٤) مقال جب : ٩٩ Ashur : 236-237

الحرب كامل العدة، اذ تعهد كل مقطع بان يكون معه عند خروجه لحرب عدد معين من الفرسان^(١) فانعم السلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب (على سبيل المثال) على الظاهر شادي باقطاع في مصر مداه (٢٠٠ فارس)^(٢) كما اعطى اخاه الامجد اختيم اقطاعاً آخر برسم ١٥٠ فارساً^(٣).

وبالمقابل فان واجبات المقطع : تأمين وتجهيز الفرسان المكلف بتجهيزهم مع اسلحتهم بشكل

دائم

وكان السلطان الايوبي يحرم المقطع من اقطاعه عند اخلاله بهذا الشرط (فقطط صلاح الدين اخبار (حرم المقطع من اقطاعه) جماعة من الاكراد لتسيبهم بهزيمة الجيش الصلاحي في وقعة الرملة^(٤) وفي سنة ٥٨٧ هـ - ١١٩١ م عند حصار عكا قطع صلاح الدين اقطاعات جماعة من امراء الاجناد الحاربيين^(٥).

وكان الاقطاع عرضة للزيادة والنقصان بحسب احسان المقطع واستعداداته ونشاطه في الاعمال القتالية او تهاونه بها .

لذلك اقطع السلطان الكامل بن العادل للملك المظفر صاحب حماة لقاء خدماته الحربية في معركة المنصورة اقطاعاً كبيراً في مصر^(٦).

وكانت هذه الخدمات الحربية تزيد بزيادة الاقطاع المنسوح . فيزيد عدد الجند المكلف بتجهيزهم . وكانت سياسة الايوبيين الاحتياط من تمركز القوة الحربية للاقطاعات لذلك لجؤوا الى جعل الاقطاع مبشراً حتى لا يكون قطعة واحدة قابلة للاستقلال وزيادة النفوذ^(٧) فكان لتقي الدين عمر اقطاعات في مصر والبلاد الجزرية والساحل الشامي اضافة الى حماة والمعة وبارين . ولم يعتمد الاقطاع الايوبي نظام الإرث الا بمناشير (توقيعات) ويمكن ان يتقل الاقطاع من شخص لآخر ضمن شروط وصفها ابن عثماني^(٨) وسواه .

(١) حسنين ربيع : ٣٤ - ٣٥

(٢) مخرج المكروب ورقة ٣٢٢ ظ حسنين ربيع : ٣٢

(٣) المكروب ورقة ٣٢٩ ظ حسنين ربيع : ٣٢ . مصر والشام ١٢٧ : Ashbur : 236-235

(٤) السلوك ج ١ : ٦٤ - ٦٥ ، حسنين ربيع : ٣٥

(٥) للفتح الفسي : ٣٥١ - ٣٥٢ / حسنين ربيع : ٣٥

(٦) Ashbur : 235-236 حسنين ربيع : ٣١

(٧) حسنين ربيع : ٣٦

(٨) ابن عثماني : ٣٤٤ و ٣٩٦ - ٣٩٧

وقد قام صلاح الدين باعادة توزيع الاقطاعات عدة مرات وقام خلفاؤه ايضاً بذلك .
 وكان توزيع الاقطاعات وضبطها وترتيبها يتم بديوان الجيش حيث يقوم الكتاب باثبات اسماء
 ارباب الاقطاعات على اختلاف طبقاتهم وجميع افراد الجند في جريدة سميت باسم «الجريدة الجيشية»^(١)
 وكان المقطع يقوم بتحصيل ما يغله الاقطاع من الاموال الخراجية وما يتبعها من اموال الزكاة والجوالي
 والعلائي ورسوم اخرى مقررة عن الاراضي للاتفاق منها على امور تتعلق بالاقطاع .^(٢)
 وكان لكل صنف من العساكر قيمة عطاء على اساس المبلغ (العبرة) المقدّر لكل اقطاع وقد حسبها
 ابن عمّاتى بالدينار (الجيشي وهو دينار اعتباري) وهو دينار فرضي فكان يختلف حسب طبقات الجند فهو دينار
 ذهبي كامل للترك والاكرد والتركمان في عهد صلاح الدين ، وللعربان الكنتانية من الجيش المصري
 يساوي نصف دينار اما الغزاة فدينارهم الجيشي ربع دينار اما العربان فدينارهم ثمن دينار^(٣)

نظام الاقطاع العسكري في الدولة المملوكية :

اخذت فكرة توريث الاقطاعات تنتشر في المرحلة المملوكية واصبحت هي الاساس الذي يقوم عليه
 نظام الاقطاع .
 وكانت مناشير الامراء تصدر عن السلطان ، اما الاجناد فمناشيرهم من امرائهم وكان منشور
 الامير يعين فيه لصاحبه ثلث الاقطاع ولاجناده الثلثان فلا يمكن للامير او مباشره مشاركة الاجناد فيما
 يخصهم الا برضاهم . وكان الامير لا يخرج احداً من اجناده حتى يتبين للنائب الاسباب الموجبة لاجراجه
 من الاقطاع فان رأى مرجحاً استبدله بأخر يعينه الامير^(٤) .
 وكان اقطاع المتين في مصر مائتي الف دينار جيشيه ولا تقل عن ثمانين الف .
 اما امراء الطبلخاناه ففي ثلاثين الف دينار الى ثلاثة وعشرين الف دينار
 اما العشراوات فاعلاها سبعة آلاف دينار
 واما اقطاعات اعيان اجناد الحلقة فاعلاها الف وخمسمائة دينار
 اما الاجناد فاقطاعهم لا يقل عن مائتين وخمسين ديناراً
 اما في الشام وحماة ايضاً فقد جرت العادة ان يكون اقطاعهم ثلثي اقطاع امثالهم في مصر .

(١) حسنين ربيع : ٣٠ - ٣٢

(٢) حسنين ربيع : ٢٢

(٣) ابن عمّاتى : ٣٦٩ / مقال جب : ٩٩ / حسنين ربيع : ٦٤ / 237: Ashur

(٤) الحلقة المميز ج ٢ : ٢١٦

وكان للامراء على السلطان كل سنة ملابس وعلى امراء المتين خيول مرسجة ملجبة ومن عداهم خيول عربي على تمييز بينهم وكانت خيول السلطان تفرق مرتين في السنة وهو ما جرى في حاة وسبقت الاشارة اليه .

واقطاعات الامراء والجند اما ان تكون بلاداً وقرى يستغلها مقطعها كيف شاء ومنها ما هو نقد على جهات يتناولها منها. وبقي الحال هكذا حتى الروك الناصري حيث صارت الاقطاعات كلها اراض وقرى^(١).

وقد بدأت ظاهرة بيع الاقطاعات واستبدالها ومقايشتها بالظهور وذلك بعد العصر الذي ندرسه وبقيت حقوق والتزامات المقطع كما كانت عليه في العصر الايوبي .

يقسم الجيش المملوكي الى الجيش المملوكي في مصر وهو المسمى بالجيش السلطاني وجيوش بلاد الشام والجزيرة وسكان البادية وهم من العرب والتركمان وجركس وروم واكراد وغالبيتهم من المماليك المتباعين^(٢).

وتنظيم الجيش ضمن التسلسل الوظيفي كما يلي :

الطبقة الاولى : امراء الالكوف من له مائة فارس وتقدمة الف فارس ومن هؤلاء يكون امراء الجيش وقادته . وربما زاد انعام السلطان على بعضهم بإضافة عشرة فوارس او عشرين .

وهؤلاء يكون لهم عساكر ممالك خاصة بهم وعددهم يتراوح بين مائة الى مائة وعشرين فارساً وفي المعارك تكون له قيادة (مقدم) الف فارس^(٣).

ولا يوجد في حاة أمير ألف كما اورد القلقشندي لأن عدد عساكرها خمسمائة فارس^(٤).

الثانية : امراء الطبلخاناه : ومعظمهم ممن تكون له إمرة أربعين فارساً وربما انعم عليه بزيادة الى سبعين ولكن لا يقل العدد عن أربعين^(٥).

والمراد بالطبلخاناه ما نسميه في عصرنا (موسيقى) وأمير الطبلخاناه هو الذي يرقى الى درجة يستحق

(١) الخطط المقرمزية ج ٢ : ٢١٦ : Ashur : 236-237

(٢) الخطط المقرمزية ج ٢ : ٢١٧

(٣) الخطط المقرمزية ج ٢ : ٢١٥

(٤) صبح الاعشى ج ٤ : ٢٣٨

(٥) الخطط المقرمزية ج ٢ : ٢١٥

بها ان تضرب الموسيقى على بابيه ... ويعد في الدرجة الثانية من الامراء^(١). وقد كان ابو القداء امير
طبلخاناه

الثالثة : امراء العشرات : وربما كان لهم عشرون فارساً^(٢) وكان اول منصب عسكري لابي القداء
تسميته امير عشرة خلال معركة عكا

الرابعة : جند الحلقة^(٣) وهم جند الامراء

اما تنظيم وحدات الجيش فقد كانت ضمن الطوائف التالية :

١ - الاولى طائفة الممالك السلطانية وصفهم القلقشندي بانهم اعظم الاجناد شأناً وادفعهم قدراً واشدهم
قرباً وافرهم اقطاعاً ومنهم تؤمر الامراء رتبة بعد رتبة .

٢ - الفرقة الثانية : بمالك الامراء أي الذين اشتراهم الامراء التابعون للسلطان ويشتركون في الحرب مع
السلطان ولكل امير عدد من الممالك حسب درجته ورتبته . وجيش حماة هو من هذه الفرق .

٣ - الفرقة الثالثة : أجناد الحلقة : وهم ممالك السلاطين والامراء السابقون واولادهم وقد اصبحوا
بمثابة جيش نظامي ثابت لا يتغير بتغير السلطان. ويشرف على كل الف منهم وقت الحرب امير مائة مقدم
الف . اي مقدم له الحق في شراء مائة مملوك لنفسه ويقود وقت الحرب الف جندي من أجناد الحلقة^(٤) .
ويوجد في حماة بعض أجناد الحلقة كما سلفت الاشارة .

وقد يضاف الى هذا الجيش عند الحاجة عدد غير محدد من العسكريين الاحتياطيين إثناً يحدد وفق
الحاجة وذلك من التركمان والاكراد والعرب (البدو) وهم جند غير نظاميين يعملون بالاجور . اما الجيش
فكان ينقسم الى اطلاق كل طلب يضم ما بين ٧٠ - ٢٠٠ وعلى رأس كل طلب امير وكانت الاسلحة
توضع في الزردخانه ولا توزع وتلبس الا قبل القتال مباشرة . واستخدام الجيش المجانيق والعرادات
واستخدام الحجارين والنفارين والحراسانية الذين يحاربون في الدبابات والجاندرية (المشرفون على النار)
والزرايين والنفاطين . كذلك استخدام الجيش في تبادل الرسائل الطيور وشجعها (حتى ان في قلعة
دمشق برج للحمام) واستخدام الجيش الراصدين والجواسيس . وكانت عناصر الجيش تتكون من
الفرسان والرجالة والرامي والنابل^(٥) .

اما السلاح الفردي فكان السيف يشد على الوسط . وكان الدبوس يوضع على الساق وكانت

(١) ولاية دمشق في عهد المماليك : ٢٤

(٢) الخطط المقيزية ج ٢ : ٢١٥

(٣) الخطط المقيزية ج ٢ : ٢١٥

(٤) دولة المماليك : ٢٠٣ . الحروب الصليبية للتيجي : ١٤٧

(٥) الروضتين ج ٢ : ٧٦ . تاريخ مصر الياقوت : امينة بيطار : ٢٥٢ . مصر والشام : ١٤٠ - ١٤١

الرمح تستعمل أيضاً عند بدء المعركة وتحمل باليد^(١).
وكان على الجندي أن يستحضر معه ما يلزمه من مؤن ويحدد القائد المدة المتوقعة حتى يأخذ الجنود مؤنهم على قدرها لذلك تقام الاسواق قبل التحرك بعد أن يعطى الجنود رواتب الاقامات الاقطاعية لشراء حاجياتهم منها^(٢).

وكان جيش حماة يقاتل مع السلطان ضمن نظام التشكيل الخماسي وكان مركزه في الميمنة اعتباراً من عهد تقي الدين عمر وأصبح مركزه الدائم في الفترة الايوبية والمملوكية اذ أصبح من القائل الحسن بقاء جيش حماة في الميمنة نظراً للانتصارات التي كانت تتحقق في كل معركة يشترك فيها جيش حماة .
وقد جاء تحديد عدد عساكر مملكة حماة في مرسوم تعيين ابي الفداء على حماة وبارين بعد انتزاع المعركة منه كما يلي :

«ويقيم على هاتين الجهتين (حماة وبارين) خمسمائة فارس بالمدة الكاملة من غير نقص» فقد حدد المرسوم عدد الجنود (الفرسان) الذين له حق بتعبئتهم وعليه واجب تأمينهم بخمسمائة فارس اذ كان الرجالة (المشاة) يستحضرون تطويماً عند الحاجة^(٣) لان ظروف المعارك التي كانت تتطلب سرعة الحركة فرضت الاستغناء عن الرجالة
ويبدو أن عدد الممالك العسكرية للامراء لم يكن كبيراً في حماة فقد أورد ابو الفداء نصاً تحدث فيه عن تكريم السلطان محمد قلاوون على ابن ابي الفداء بهدايا ومن جملتها :

«وأمر له بأمرية وستين فارساً لخدمته وطلبخاناه»^(٤).

وقد حدد القلقشندي ملاك ووظائف الجيش في مملكة حماة في عهده كما يلي :
«اما جيوشها فمن الترك ومن في معناهم وبها عدة من امراء الطلبخاناء والعشرات والخمسات ومقدمي الحلقة واجنادها ، وليس مقدم ألف»
فهو يصف لنا ان الجيش من الترك أي من الممالك الاثراك لانه لم يكن يسمح للسكان العرب المحليين بدخول الجيش كذلك لا يسمح للاكراد الا عند الضرورة (خلال فترة الحكم المملوكي وهو ما عناه بتعبير «ومن في معناهم» .

(١) السلوك ج ١ ق ٣ : ٨٨٢-٨٩٥ . المختصر ج ١ : ٤٢-٤٣ .

(٢) مقال جب : ١٠٤ . تاريخ العصر الايوبي : ٢٥٠ .

الروستين ج ١ : ٢٧١ . مصر والشام : ١٤١-١٤٢ .

(٣) المختصر ج ٤ : ٧٢١ .

(٤) المختصر ج ١ : ٨٩ .

وفي حماة عدة من امراء الطبلخانة وعدة كل واحد منهم اربعين فارساً . وعدد من امراء العشرات
قلمير العشرة هو قائد عشرة من الاجناد الفرسان وامراء الخمسة يعينون عادة من اولاد الامراء وهم اكابر
الجند . اما مقدمي الالف فلا يوجد في حماة لأن عدد جندهما مع بارين كما رأينا خمسمائة فارس فقط .

يضاف اليهم مقدمي الحلقة واجنادها كما شرحنا سابقاً عن الحلقة واجنادها وعادة كان عدد جنود
امير الحلقة اربعين جندياً^(١) . ولم اجد نصاً يذكر وجود جنود (بطلين) في حماة .

مراتب الجيش ووظائفه : وقد اورد القلقشندي في صبح الاعشى نصاً يمكننا اعتياده حول مراتب جيش
حماة ووظائفه ونبها (حماة) من ارباب السيوف الحجوية ، وبها حاجبان : الكبير منهما طبلخانه (مرتبته)
والثاني عشرة . والمهندارية ، وبها اثنان وهما جنديان ، وشد مراكز البريد وبه جندي (أي يتبع الجند
في ادارته) وامير آخورية البريد ، ومتوليها جندي (مهمته السهر على حظائر افراس البريد) . وولاية
المدينة . وواليها جندي .

ونقابة العساكر . وبها اثنان هما جنديان أحدهما اكبر من الآخر .

وجميع ارباب الوظائف يوليهم النائب بها بتواقيع كريمة ، وليس بها قلعة لها نائبه كما بينا سابقاً لأن
النائب ذو صفة عسكرية .^(٢)

اما قائد الجيش فكان ملك حماة الذي كان يتحرك مع عسكره حسب الدستور المرسوم له . وكان
صاحب السلطة العليا على جيش حماة السلطان الذي لا يتم امر كبير كان أو صغير دون اذنه فله ان يسير
جيش حماة بدستور ولا يعود الا بدستور . وله ان يسير الجيش مع ملك حماة (كما رأينا) أو دونه . وقد يعين من
موالقائه أو أن يعينه صاحب حماة . فقد رأينا أبا الفداء يعين قاضياً أخاه أو ابنه أو عمه في قيادة الجيش
لمهمات خاصة كمهمة الاشتراك في الهجوم على بلاد الزوم أو حماية غلال الرحبة .

ويكون تصرف الجيش حسب الدستور فان كان فيه فتح حصن فتحه او كانت حملة تأديبية فقط قام
بها . ولا يحق له القتل والسبي والاسر الا بالدستور مع ان هذه القاعدة لم تكن مرعية دائماً بسبب طمع
الجند في سبي ونهب المعسكرات المعادية والمدن المفتوحة .^(٣)

وعموماً فقد كان دخل الجند في العصر الايوبي اقل مما كان عليه في العصر البويهي والسلجوقي وإن
ايرادات الجيش كانت جيدة وبزيادة مضطردة فقد كان الجزء الاعظم من دخل الدولة كان يحول لرواتب
الجند^(٤) .

(١) الحروب الصليبية للتنبيني : ١٤٧

(٢) صبح الاعشى ج ٤ : ٢٢٨

(٣) صبح الاعشى ج ٤ : ٢٢٨

(٤) 237 : wshw

مراكز الادارة في مملكة حماة الايوبية :

كانت حماة صورة مصغرة عن السلطنة فضمت اكثر الدواوين : من ديوان الزكاة وديوان الاقطاع وديوان البر وديوان الانشاء وديوان المكاتبات وديوان الولاية حيث فيه كاتب الدست وكتاب الدرج .
وبها وكيل بيت مال والمحتسب . وفيها ولاية الجند وأمير اخور (متولي أمر خيل الملك وابله .)
وفيها دار عدل حيث يتواجد فيها كما سبق الذكر اربعة قضاة عن المذاهب الاربعة الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي . اما قاضي العسكر فهو حنفي لان العساكر اكثرها اترك ماليك أو اكراد وهم من المذهب الحنفي .

وفيها رجال افتاء دار العدل والمحاكم ،
وفي حماة كما رأينا دار للضيافة . واهم مراكز الادارة في حماة قلعتها حيث أقام الملك وحاشيته وفيها السجن ومكتبة وجامع ومستوصف وعساكر شحنة القلعة ^(١) .
اما ديوان الجيش فهو الذي يشرف على جيش حماة ويقوم بتوزيع الاقطاعات وترتيب الجوامك الخاصة بالماليك ومن المعروف انه تم مسح جديد لاراضي الشام سنة ١٣١٣م وذلك للمرة الثانية وقد شمل حماة . وسمي (بالرؤك الناصري) زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون ^(٢) .
كذلك يذكر الفلقشندي ان في حماة مركزاً للبريد (شد مركز البريد وبه جندي) وهو المسؤول عن البريد ثم هناك (أمير اخورية البريد ومتوليها جندي) وهو المسؤول عن خيل البريد وحاجاتهم ^(٣) .



-
- (١) صبح الاعشى ج ٤ : ٢٣٧-٢٣٨ ، ومهرجان ابي الفداء : ١٦٨-١٦٩
(٢) تاريخ الماليك : ٢٢٩
(٣) صبح الاعشى ج ٤ : ٢٣٧-٢٣٨ وقد سبق وفصلنا في الوظائف نقلاً عن صبح الاعشى . وانظر ايضاً ولاية دمشق في عصر الماليك لمحمد احمد دهمان : ٢٣-٣٦ وانظر حتى ج ٢ : ٢٧٤-٢٧٥

الفصل الثامن

الحياة الاجتماعية

١ - السمة العامة للحياة الاجتماعية :

اتسمت الفترة الأيوبية بسمة عامة اتصفت بالاقتصاد والحذر والاستعداد الدائم للقتال بسبب ظروف الحروب الصليبية التي كانت في أوجها. وتلتها فترة ظهر فيها خطر المغول إضافة للاخطار الداخلية .

كما ويضاف عوامل أخرى مهمة لهذه الفترة هي الانتماء الديني الذي نشأ اثر التغلب على المذهب الفاطمي واحلال المذهب السني. لذلك أخذت المدارس بالانتشار وكثر المصلون والمتعلمون. وقد ساعد على هذا الانتماء ظروف الحرب التي جعلت حب الجهاد والسعي له من أهم مظاهر العصر . فنشأت الرباطات التي هي مركز ديني وعسكري يأتبه المتدينون متعبدين ومنقطعين للصلاة والعبادة وللدفاع ومقارعة الصليبيين حتى انه نشأت بعض الرباطات للنساء .

وربما اخذ هذا من سياسة ملوك ايوب وعمل رأسهم صلاح الدين الذي وصف سياسته واهتماماته ابن شداد ضمن اطار حب الخير والصلاح والتدين والجهاد^(١)

ورغم ذلك فان الحياة لم تكن مجدية كل الجذب بل كان هنالك احتفالات ورحلات وحركة دائية . وقد امتازت الفترة الأيوبية باحياء الاعياد الدينية والاحتفالات بها بهدف احياء روح السنة وروح الجهاد والنضال فكان يُراعى الاحتفال بعيد الهجرة النبوية والمولد وعاشوراء وكانت مواسم الحج والعمرة تترافق باحتفالات كبرى وكان لحماية قافلة حج خاصة بها ولها أمير حاج خاص وكان في بعض الأحيان يذهب ملك حماة وصاحبها على رأس قافلة الحج كما فعل ابو الفداء عند ذهابه للحج اول مرة

-
- (١) تاريخ العصر الأيوبي : ٢٢٨ - ٢٣١ مصر والشام ١٣٢ - ١٣٣ ، النوادر السلطانية : ٢١
(٢) دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين : ١٥١ ، وانظر ايضاً بحث المجتمع في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية للدكتور محمد عبد الفتاح عاشور المنشور في كتاب اعمال المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام لعام ١٩٧٤ | ٢١٩ - ٢٤١ . وانظر حتى ج ٢ : ٢٥٧ - ٢٥٨

وقد احدث صلاح الدين في حمص وحماة خميس المشايخ او الدعسة .

ورغم ذلك فان الفترة المملوكية في مملكة حماة الايوبية قصيرة كما قلنا وهي استمرار لفترة الايوبيين في بقاء الكفاح ضد الصليبيين والمغول والصراعات الداخلية مع ان الامور اخذت تنفجر نوعاً ما . بعد ان انحسرت موجة الصليبيين الا ان موجة المغول حلت محلها واخذت بالاشتداد .

٢ - التشكيل المرفقي في حماة :

كان سكان حماة اعتباراً من بدء الفتح الاسلامي لبلاد الشام يعودون لقبيلة قيس من المضرية ولم يسكنها او يجاورها أي قبيلة يمنية لذلك انعقدت فيها المشاحنات والصراعات التي كانت تجري في المدن الاخرى .

وبقي الناصر العربي هو صاحب الاغلبية في حماة مع انه فقد مركزه السياسي بعد ان حل الاكراد في الزعامة السياسية والعسكرية في حماة .

وسكن حماة أيضاً طائفة من المماليك الاتراك الذين استخدمهم ملوك حماة وامراؤها . يضاف الى ذلك وجود طائفة من الافرنج البنادقة التي كانت على صلات تجارية طيبة مع المسلمين رغم وجود الحروب الصليبية . بقيت هذه الطائفة من التجار بعيدة عن الصراع الصليبي وبقيت في مراكزها واعمالها ونجد في حماة زقاقاً خاصاً يسمى زقاق الافرنج .^(١)

٣ - الطبقات في المجتمع :

طبقاً للطبيعة العلاقات القائمة والتشكيل الطبقي والفروقات الحياتية والسياسية لفترة ظهور مملكة حماة الايوبية فقد تشكلت عدة طبقات في المجتمع متمايزة فيما بينها في كل شيء .

١ - طبقة الحكام : وقد كانوا اولاً من الايوبيين وعلى رأسهم الملك الايوبي وهم من اصل كردي كما قلنا وكان الملك في حماة يعتمد على اهله الاقربين ثم على جماعته . وكان يتم من الاكراد تشكل القسم الاكبر من الجيش ولا يسمح للسكان المحليين من الانضمام اليه . وفي فترة المماليك اخذ الملك الايوبي يعتمد على المماليك وخصوصاً بمالكيه وذلك حسب طبيعة وعادة العصر .

٢ - طبقة اصحاب الاقطاعات : وهم من الأمراء والملوك والاجناد واصحاب الامتياز وهم سادة وتعاملهم مع السلطة يستند لفرد كل واحد منهم على حدة وقدرته ، اما مع الشعب الحموي العادي فهم بمثابة طبقة عليا واسياد وقد عانى الشعب منهم الكثير من عتيم وجورهم وتسلطهم . ورأينا ان ابا الفداء قبل انتزاع المعرة ليتخلص من الامراء المقيمين بحلب خوفاً من تسلطهم او من ان يوقعوا بينه وبين

(١) مهرجان ابي الفداء مقال احسان العظم ١٧٠ - ١٧١ .

السلطان محمد بن قلاوون رغم علو شأنه ومنزلته عند السلطان .^(١)
٣ - طبقة رجال العلم والدين والصوفية :

وقد كان لهذه الطبقة مكانتها وكان لبعض رجالها أقطاعات كبيرة . وكان جمع أكبر عدد من رجال الدين والعلم والصوفية في بلاط الملك يعني عظمة الملك وعلو منزلته لذلك قيل عن بلاط المنصور أنه كان في خلعتة مشاً متعمم وهو الزي الخاص بهذه الطبقة .^(٢)
وكان لبعض رجالات هذه الطبقة منزلة خاصة لدى الملوك فكان أعلى درجات تكريمهم في أن يفرش للمعالم للنوم مع الملك في غرفته .^(٣)

٤ - طبقة التجار : وقد تشكلت هذه الطبقة طبقاً لظروف موقع حماة فهي محطة البدو الأولى والأهم ، ونجارة حماة . معهم ازلية أبدية . وحماة موقع مهم للتجارة مع الحشيشية الذين فقدوا الاتصال بالجميع عدا حماة .

وكان للتجار الفرنج من البنادقة علاقات هامة مع حماة^(٤) حتى كان لهم في حماة حي خاص بهم ولعبوا دوراً مهماً خلال فترة الحروب الصليبية . كذلك نشأت تجارة الرقيق اثر الحروب وعمليات الاسر الكبيرة . ويضاف الى ذلك موقع حماة القريب من طرابلس ومن الساحل . وموقعها على طريق دمشق حلب .

■ - طبقة اصحاب الحرف والصناعات والعمام

وهم اقل مرتبة من التجار وأعلى مرتبة من الفلاحين وتضم هذه الطبقة سائر اصحاب الحرف والصناعات وكان لهذه الطبقة تنظيمات نقابية متوارثة تحمي حقوق اصحابها وتنظم العلاقات فيما بينها وتنظم شروط واجراءات الانتساب الى كل حرفة وصناعة

وكان على رأس كل حرفة شيخ للحرفة وله نواب والمتمدرّب استاذ يقوم بتعليمه وتدريبه ، وقد كانت هنالك تكتلات نقابية (أصناف) .

وكان اصحاب الحرف والصناعات المتشابهة يتجمعون في اسواقهم ومناطق سكائهم .^(٥)

٦ - طبقة الفلاحين : وهم يشكلون الطبقة الكبرى اذ تعتمد حماة في وجودها واستمرارها على العاصي

(١) انظر النظام الاقطاعي عند حتي ج ٢ : ٢٦٢ - ٢٦٣

(٢) المختصر ج ٣ : ١٢٥ - ١٢٦

(٣) السلوك ج ١ ص ١ : ٢٥٨

(٤) العلاقة بين البندقية والشرق التدفق الاسلامي في العصر الابطوني — : ٢٥٧

(٥) النقابات في الاسلام : برنارد لويس ترجمة عبد العزيز الدوري مجلة الرسالة اعداد السنة الثامنة .

وعلى الزراعة، وكان الفلاحون الذين يشكلون السواد الأعظم في المجتمع الحموي لملكة حماة الأيوبية . وكانت هذه الطبقة مسحوقة بطبيعة الأمر وذلك لكثرة التكاليف المفروضة عليها . ولوجود نظام الإقطاع الذي انتشر وتوسع وكاد يقضي على كل شيء .

ولم تذكر المصادر عن توتر في العلاقات بين المدينة والريف أو عن وجود اضطرابات في تلك العلاقات أو مع السلطة الحاكمة .

أما معلوماتنا عن الحياة الاجتماعية العادية فهي نادرة جداً وترد في المؤلفات التاريخية بشكل هامشي ويكاد يصلق ما يقال أن المؤرخين إنما كتبوا تاريخ الملوك فقط إذ أن المعلومات الاجتماعية العادية وردت بما يخص الملوك أيضاً والسبب يتعلق بهم .

فقد عرفنا أن حماة كانت مضطرة لحلف بيمين الولاء للملك الأيوبي ثم لابنه الذي سبى العرش . وأن في اغتصاب سلطة الابن من قبل أخيه أو عمه يعني بقاء الولاء في اليمين أو اعتبار اليمين لاغياً لأنه تم إكراهاً وذلك بعد افتاء من قبل قاض . ورأينا أن المنصور قام بتحليف أهل حماة لولده الملك المظفر تقي الدين محمود ولكن قلعج أرسلان اغتصب الملك . وعاد الملك المظفر تقي الدين محمود بقوة السلطان استناداً لتحليف أهل حماة اليمين له .^(١)

أما مشاركة الشعب في السياسة فقد كانت محدودة ولا تظهر في كتب المؤرخين إلا حيناً تتخذ مظهراً من مظاهر العنف أو الثروة .

ففي عام ٥٧٧هـ / ١١٨١م ثار أهل حماة ورفضوا راية عز الدين صاحب حلب فقاومهم تقي الدين عمر .

بينما نجد أهل حماة يستقبلون بحماس صلاح الدين الأيوبي عند مروره منها في نفس العام بعد سقوط حلب بيده .

ونرى الملك الظاهر يبرمى يعاقب صاحب حماة الملك المنصور بسبب انشغاله عن مصالح المسلمين باللهو .^(٢)

ثم نجد أن أهل حماة قد اشتكوا على عثمان نائب قراسنقر بعد عودته قراسنقر إليها بسبب نهب لأموالهم وهتك الحرم وقد منع قراسنقر نائب حماة أهل حماة من الوصول إليه بعد أن قام عثمان برشوته بإعطائه أموال حماة ليحميه . إلا أننا نجد فيها بعد أن أبا الفداء تتبعه حتى أمسك به وضرب عنقه في سوق خيل حماة .^(٣) كذلك نجد حماة تلبس السواد حداً على وفاة ملكة خاتون .^(٤) كما ونجد أن حماة

(١) المختصر ج ٣ : ١٢٥١ - ١٢٦

(٢) المختصر ج ٣ : ٢١٩

(٣) المختصر ج ٤ : ٤٤

(٤) مفرج الكروب ج ٤ : ٧٧ - ٧٨

تفاعل جيداً مع ابي الفداء وتبادلته حباً وبحب وتحتفل به في كل مناسبة .
ويذكر ابو الفداء انه بعد زيارته لمصر سنة خمس عشرة وسبعمائة وعاد لحماة حيث دخلها ليلاً
وقصد من ذلك عدم الثقيل على الناس الذين كانوا قد زينوا حماة واحتفلوا بالبسط لقدمه الا انه تخفياً
عنهم دخلها بقتة ليلاً .^(١)

ونرى الامير تنكز نائب الشام المتوجه الى بلاد سبيس يمر على حماة فينادي فيها المتادون بالا يقف احد
ملك الامراء تنكز بقصة (شكوى) ومن كانت له حاجة فعليه بصاحب حماة .^(٢)
الا ان ظلم اهل حماة الذي اشتد من قبل الملك الافضل محمد بن السلطان الملك المؤيد ابي الفداء
لم يذهب دون عقاب فقد بلغ حكام القاهرة فقام الامير توصون بعزل الملك الافضل محمد عن حماة ونقله
الى دمشق ليكون اميراً من جملة الامراء وبذلك انهي حكم الايوبيين من البيت التقوى على حماة واسقط
بذلك مملكة حماة الايوبية^(٣) . ولم تكن الصورة عاتمة دائماً بين الشعب والملك الايوبي فقد كان الملك
والامراء في كل مناسبة يقيمون الاحتفالات للشعب ويقدموا السباط (الطعام) للفقراء والصوفية وقد
غالى بعضهم في تقديم السباط^(٤) .

كذلك تميزت الفترة بنشاط اجتماعي من نوع آخر وهو كثرة الاوقاف الموقوفة على المنشآت الدينية
والتعليمية والمنشآت الاجتماعية . كذلك كثرت المؤسسات الاجتماعية مثل السقايات (موضع السقي) أي
السييل وقد رأينا انشاء سييل في المرة من قبل نائب ابي الفداء .

كذلك كثرة الخدمات العامة التي كانت تستقطب النشاط الاجتماعي .
ونشاط اصحاب الرباطات والمتصوفة كان يمثل مظهراً اجتماعياً مهماً سواء في احتفالاتهم الخاصة أو
دروسهم أو مراسم صلاتهم بنظام يتوجهون به للمسجد ويعودون الى الرباط والخانقاه .
ولعبت المرأة دوراً هاماً في الحياة الخاصة والعامة فكانت شبيخة ومتصوفة وكانت بعض الرباطات
خاصة بالنساء حتى ان بعضها كان لها مهمة اجتماعية في ابواب المطلقات واللاتي ليس لمن اهل وماوي^(٥) .
وقد تجمعت الطبقة الحاكمة في حي خاص بها شكل هذا الحي فيما بعد حارة الكيلانية الذي يعرف
حتى الآن بهذا الاسم وبان الايوبيين قد سكنوا به انشأوا قصورهم .
واخيراً فكم كان عدد سكان حماة ؟ ورد تعداد لعدد سكان حماة في مطلع الفترة الايوبية فقد زارها بنيامين

-
- (١) المختصر ج ٤ : ٧٩ .
(٢) السلوك ج ٢ ق ٢ : ١٦٧ وكان لقب ملك الامراء يعطى لنائب الشام لكونه المتقدم على سائر امراء الشام .
(٣) المختصر ج ٤ : ١٣٤ ، السلوك ج ٢ ق ٢ : ٥٢٣ .
(٤) مصر والشام : ١٣٣ .
(٥) تاريخ العصر الايوبي : ٢٢٨ - ٢٣٦ ، كتاب الاعتبار لاسامة بن منقذ : ١٧٥ - ١٧٦ .

التطيل ما بين اعوام (٥٦٩-٥٦١) هـ (١١٦١-١١٦٩) م وهي المدة التي استغرقتها رحلته من الاندلس الى الشرق الأقصى والعودة الى الاندلس . وقال في تعداد سكان حاة ان الزلزال العظيم سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م (وكان قريب العهد من زيارة بنيامين) قد اهلك من اهلها خمسة عشر ألفاً ولم يبق منهم الا سبعون^(١)

ومع ان المبالغة في عدد من بقي من حاة ظاهرة الا ان هذا الزلزال ازال من الوجود مدناً كاملة بكل من فيها كما رأينا في شيزر .
عما يعني ان عدد سكان حاة في تلك الفترة كان يقارب الخمسة عشر ألفاً .

٤ - الزبي :

يقول القلقشندي : «واعلم ان الدولة الايوبية لما طرأت على الدولة الفاطمية وخلفتها في الديار المصرية خالفتهم في كثير من ترتيب المملكة او غيرت غالب معالمها وجرت على ما كانت عليه الدولة الاتاكية عماد الدين زنكي بالموصل ، ثم ولده الملك العادل نور الدين محمود بالشام وصاحبه ، وكان من شأنهم . فمنهم يلبسون الكلونات الصفر على رؤوسهم مكشوفة بغير عيائن وذوائب شعورهم مرخاة تحتها سواء في ذلك الممالك والامراء وغيرهم وكان سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي حين ملك الموصل بعد أبيه أحدث حمل السنجق على رأسه ، فقبه الملوك على ذلك والزعم الاجناد ان يشدو السيوف في اوساطهم . ويجعلوا الدبابيس تحت مركبهم عند الركوب كما حكاه عماد الدين صاحب حاه» .

فلما ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله الديار المصرية جرى على هذا المنهج أو ما قاربه . وجاءت الدولة التركية (يقصد الممالك) ، وقد تنقحت المملكة وترتبت ، فأخذت في الزيادة في تحسين الترتيب وتنصيب الملك وقيام ابنته . ونقلت عن كل مملكة احسن ما فيها ، فسلكت سبيله . ونسجت على منواله حتى تهلبت وترتبت ، وفاقت سائر الممالك ، وفخر ملكها على سائر الملوك .

ولم يزل السلطان والجند يلبسون الكلونة الصفراء بغير عيامة الى ان ولي السلطان والملك الاشرف خليل بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون السلطنة ، فأحدث الشاش عليها فجاءت في نهاية الحسن ، وصاروا يلبسونها فوق الذوائب الشعر المرخاة على ما كان عليه الامر اولاً الى ان نجح السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في سلطته الثالثة ، فخلق رأسه وخلق الناس رؤوسهم واستداموا خلق رؤوسهم وتركت ذوائب الشعر الى الآن^(٢) .

وكان للملوك داراً للطراز لتجهيز الالبسة وخياطتها وتأمين الاشكال والامشاط لكل مناسبة وزمان ومكان .

(١) رحلة بنيامين التطيلي ١٢٠ : ١٢١
(٢) صبح الاعشى : ج ٤ : ٥ - ٦ وانظر ايضاً في المختصر ج ٤ : ٢٢٠ ركوب المظفر بشعار السلطنة

وكان ■ موظفوها وناظرها وعيالها ومشرفوها وشاهد^(١)
ولم اعثر على نص يصف ثياب الشعب الحموي .

٥ - الاحتفالات والاعياد بحماة :

كانت الاحتفالات والاعياد مواسم اجتماعية ناشطة فيتم الاحتفال باقامة الزينات والافراح والخروج باحل الثياب . وتعطل الاعمال . ومن الاحتفالات ما يكون رسمياً سواء خاصاً بمملكة حماة وبملكها فهناك احتفال مر ذكره معناً كثيراً هو لبس التشرينات السلطانية . كذلك هناك احتفالات استقبال الوفود الواردة الى حماة من سلطان أو ملك أو نائب أو رسول . وتجري الاستقبالات من خارج حماة حسب رتبة المحتفى به . فاستقبال السلطان من دمشق ، والنائب والملك من الرستن وما دون ذلك من ضواحي حماة . ويتم الاحتفال بمرسوم يصدر عن السلطة وباوامر بالتزيين والاحتفال . لذلك هناك احتفالات سلطانية وهي ما يتعلق بالسلطان من اعياد واحتفالات خاصة به كزواج له أو لابنه أو (بنته) أو لاولاده . أو احتفال لظهور أو تنصيب أو مرض أو وفاة .

ومنها ما يتعلق بالشؤون العامة مثل فتوحات أو نصر عسكري . وهناك احتفالات عامة منها الديني ومنها المحلي : مثل عيد رأس السنة الهجرية وعاشوراء وعيد المولد النبوي الشريف ودوران المحمل وذهاب وعودة الحاج وليالي الاحياء إذ يقدون الشموع والقناديل بالجوامع حيث يتم الاجتماع للذكر والقرامة مثل ليلة اول رجب وليلة المعراج وليلة نصف شعبان وخميس المشايخ وهو الخميس الذي يوافق الخميس الكبير . كذلك هناك العيد الصغير (عيد الفطر) والعيد الكبير (عيد الاضحى) ^(٢) . وقد نقل شيخ الربوة عن احتفالات كبرى تجري بحماة في هذه الفترة منها عيد الفصح ومدته في حماة ستة ايام يعطل فيه اهل حماة ويلبسون احل الثياب ويأكلون اطيب الطعام ويرد الناس الى حماة لمشاهدة الاحتفال من سائر البلاد المجاورة حيث يطمعون الى العاصي يغنون ويرقصون وينامون بالخيام . كذلك يحتفل بعيد اول صوم النصارى . ويوم نزول الشمس برج الحمل . وخميس الاربعين (خميس الصعود) . وعيد الخميس (الصغرة) . وعيد الميلاد وعيد الختان والغطاس وعيد دخول الهيكل (خميس العهد) . وعيد النور وعيد التجلي وعيد الصليب . ^(٣) وهذا فيه دلالة على مكانة المسيحيين في حماة وطبيعة العلاقات بينهم وبين المسلمين تلك الطبيعة التي اتصفت بالود والمشاركة في الافراح والاحزان رغم ظروف الحروب الصليبية القاسية ويضاف الى ذلك الاحتفالات العادية الشخصية من حفلات الحفامات والحج والظهور وغيرها . وقد عرف عن حماة وجود دار الفرح فيها في عملة باب الجسر وهي من العصر الايوبي ومن البيوتات الايوبية . وكانت وقفاً للافراح . فمن اراد ان يتزوج مثلاً يأخذ مفتاحها من متوليها ثلاثة ايام

(١) قوانين الدواوين : ٣٣٠

(٢) تاريخ المهالك : ١٤٥ - ١٦٠ . مصر والشام : ١٣٣ - ١٣٤

(٣) نخبة السمر : ٢٨٠ - ٢٨٢ . وانظر الملحق التعلق بالاحتفالات والاعياد بحماة

يفعل ما يشاء وكان فيها خمس وثلاثون بيتاً (أي غرفة) وقد زالت معالمها الآن بعد أن هدمت وبيعت حجارتهما للحجارين^(١) .

٦ - رحلات الصيد : من النشاطات الاجتماعية المهمة « رأينا حضور أبي القداء لبعضها سواء مع عمه في صيده النسر بالبندق ومع السلطان محمد بن قلاوون في مصر . وقد كانت حفلات ورحلات الصيد أحياناً تؤدي إلى أعباء كبيرة على الفلاحين سكان المناطق التي تحدث فيها رحلات وحفلات الصيد. رأينا أن من أسباب سقوط مملكة حماة الأيوبية الثقل الذي سببه صاحبها والارهاق الذي حدث للفلاحين في المنطقة من رحلة صيده مع الأمراء والنواب ، وكان لبعض الأشخاص تفوق كبير في رمي البندق وهذه اللعبة أصولها ومسابقاتها كما سبق القول .



(١) الاختيار : ٢٤٥ - ٢٩٠ / العمران عدد حماة (٢٩ - ٣٠ : ٧٧)

الفصل التاسع

الحياة الاقتصادية

كانت الحياة الاقتصادية في عصر الأيوبيين والمماليك في مملكة حماة تخضع (نظرياً على الأقل) لتنظيم دقيق كان أساس دواوين الأيوبيين والمماليك . ونجد في كتاب قوانين الدواوين للإسماعيل بن مماتي بما يخص العصر الأيوبي من هذا التنظيم ونجد لدى التويري في المجلد الثامن من كتابه نهاية الأرب في فنون العرب تنظيمات ودواوين العصر المملوكي .

وفي نظرة إلى واردات دولة حماة نأخذ فكرة عن سلامة اقتصادها فهذا الملك الناصر تعهد للملك المعظم عيسى بدفع مبلغ قدره أربعمائة ألف درهم مقابل سماحه له بالذهاب إلى حماة لاستلام العرش بعد أن حجزه مدة في دمشق. وعندما رفض الملك الناصر الدفع سار الملك المعظم عيسى إلى حماة في شهر ذي الحجة من عام ٦١٩هـ^(١) مما يعني أن دخل حماة كان كبيراً وأن اقتصادها مزدهراً في تلك الفترة . وقد تبين أن أبا الفداء وهب الأمير سيف الدين قجس الذي دخل معه حماة بعد عودتها للبيت الأيوبي مبلغ أربعين ألف درهم عدا الهدايا والخيول والأعطيات والخلع^(٢) .

وجرت العادة أن يهب سنوياً للأمير إيبك خلعاً وحصاناً وخمسة آلاف درهم وذلك عند احتضاره إلى حماة خلع السلطان محمد .^(٣)

وتلتزم حماة أيضاً بإقامة كل زوارها الرسميين وخصوصاً السلطان الذي تكلف إقامته الكثير . ونجد أن على مملكة حماة دفع مبالغ سنوية للسلطان تسمى (قودة) فقد ورد في المختصر أنه في عام ٧٢٤هـ حصل جفاف وعمل شديد في بلاد الشام لذلك أرسل السلطان محمد بن قلاوون إلى أبي الفداء مرسوماً بأعفائه من إرسال (القودة) وذلك لمساعدة حماة في محنتها . إلا أن أبا الفداء اكتفى كما يقول بإرسال عدة بسيرة من الخيل التي كان قد حصلها للسلطان ولقاء ذلك تصدق السلطان عليه بتشريف كامل

(١) المختصر ج ٣ : ١٣١

(٢) المختصر ج ٤ : ٥٩ - ٦٠

(٣) المختصر ج ٤ : ٧٤ - ٧٧

حسب العادة وستين قطعة اسكندري (قياش) وخمسين الف درهم . بينما كانت العادة قبل الازمة هذه أن يحصل ملك حماة على خمسين قطعة قياش وثلاثين الف درهم سنوياً فقط .

كان النظام المميز لاقتصاد مملكة حماة مثلها مثل مصر وبلاد الشام يغلب عليه الاقطاع فالقطاع اساس الملكية وقد وصل لدرجة ان ابا القداء تحمل عن المعرة بكاملها لتسد اقطاعات الامراء الذين استطاع التخلص منهم وابعادهم الى حلب خوفاً من حركاتهم ودسهم عليه لدى السلطان .

وكان الاقطاع يمنح للامراء والجيش على مختلف فئاته كل بحسب درجته كما رأينا وكان للعلماء والاطباء وسائر المقربين اقطاعات أيضاً .

وكانت للدولة موارد كثيرة جاءت تفصيلاتها في كثير من الكتب التي دونت في تلك الفترة وكان هناك تمييز بين مال السلطان وحقوقه والتزاماته عن الملوك وحقوقهم والتزاماتهم . وكانت السلطة المركزية تقوم بتقديم المساعدة عند الضرورة كما رأينا في مساعدة مملكة حماة في سنة الجفاف ٧٢٤هـ واعفائها من (القوة السنوية) .

اما موارد حماة فانها تحصل : من خراج الارض فهناك على الاقطاع ضرائب منها ما هو نقدي ومنها ما هو مكيل (عيني) حسب الامر السلطاني وتحصل مرة في السنة ، وهناك الجوالي (ما يؤخذ من اهل اللمة بالسنة) . ثم من الموارث الحشرية (من يموت ولا وارث له فيعود للدولة كامل ارثه ويسمى الموارث الحشرية) .

١ - ومن اموال الدولة ما يسمى الهلاي وهو عبارة عما يتحصل اجوره مشاهرة كأجر الاملاك المسقفة من الدور والخوانيت والحمائم والأفران وأرحية الطواحين الدائرة بالحواصل والراكبة على المياه المستمرة الجريان لا الطواحين التي تدور بالمياه السنوية في بعض نواحي الشام فانها تجري بحري الخراجي . ومن الهلاي اعداد الاغنام والمواشي . واجارات الاملاك العامة مع حذف ايام الشهور الناقصة ضمن شروط للتسجيل والجباية بينها ابن مماتي في قوانين الدواوين ، والنويري في نهاية الارب^(١) .

٢ - اما الخراجي وهو ما يستحق سنوياً فهو مما قدر على الاراضي المرصدة للزراعة والنخل والبساتين الطواحين الموسمية والكروم والطواحين السنوية (التي يبياه السيول) وما يستأدى من خدم الفلاحين والمسمى في بد الشام : رسم الاعياد والخميس ، وهو اغنام ودجاج وكشك وبيض . ويحصل من النواحي الاقطاعية غالباً^(٢) ومن ابواب الخراجي بالشام ما يتحصل في خدمة رؤساء الضياع في مقابلة ما لهم من المطلق والوكلاء والنقباء والصيارفة والكيالين والضونية (من يحملون المصايح ويمشون بها ليلاً للانارة) في مقابلة ما يستأدونه من الرسم .

ويبدو أن هناك اختلاف في النظم والاصول والنسب بين الشام ومصر اذ يقول النويري :

(١) نهاية الارب ج ٨ : ٢٢٨ .

(٢) نفس المصدر : ٢٤٥ .

والخراجي تختلف احكامه وقواعده بمصر والشام^(١).

٣ - اما الخراج الراتب :

فهو لا يكون الا بالنقد عينا او فضة وهو خراج السواقي والبساتين والنخيل وذلك ان اربابه يقاتعون الديوان على مساحة معينة بمبلغ عن كل فدان في كل سنة يقومون به في اوقات معلومة رويت الارض او شرفت. ويؤخذ في ذلك ان في حماة نواعير تدور بالماء ويزرعون عليها تلك الاراضي ما احبوه واختاروه من اصناف المزروعات والاعراس ولا يطالبون عليها الا بالخراج المقرر وهذا الخراج يؤخذ عن هو عليه سواء زرع ام لا وسواء كان حياً او مات وعندها يحصل من ورثته^(٢).

وقانون الخراجي بالشام مبني على نزول الغيث ووقوع الامطار في اوانها واوقات الحاجة اليها ولهم في ذلك تفصيل. فاول مطر يسمى الوسمي حيث يتم الزرع. والثاني الاحوي ثم يصبح غشاء. واخيراً يسمى المطر الفاظم. وغالباً ما يكون في نيسان وبيراعي ايضاً ما يسمى بزراعة الحب عفيراً (اي يباعث المطر قبل اوانه فيزرع الحب قبل اوانه) وله احكامه^(٣).

وهناك تفريق بين خراج الارض التي تسقي بالمياه السارحة (بالراحة) ورسومها اعل من تلك التي تسقي بالامطار.

ومباشر الخراج ببلاد الشام عموماً يبدأ بالزام رؤساء البلاد بمباشرة زراعة الاراضي وحفظ التربة ولهم بذلك مصطلحات (احمر واخضر) ويميز بين زرع الشتوي والصيفي ولكل نوع رسم واوان لقبض الرسم. وعادة تكون بالنسبة للغلال على اليدر وبعد التذرية فتكون مناصفة في اراضي السقي ومثالثة ومربعة وهو في غالب البلاد. ثم خامسة ومسادسة في المزارع والنواحي الخالية من السكان ومسابعة ومثامنة للنواحي المجاورة للبحر او المجاورة لاراضي العدو^(٤).

ويتابع التويري في تفصيل الضرائب على كل نوع من الزرع والمصنوعات الزراعية (مثل دبس

التمر)

ثم يبين ضرائب المراعي والمصائد (على صيد العاصي بحماة) واقصاب السكر وكان للسوقيين طرق خاصة في التقدير وطرق خاصة في مسك الحسابات وتدقيقها. وهناك طرق للطعن بالتقدير والاشتكاك الى المحتسب لا مجال للتفصيل هنا فيها^(٥).

(١) نفس المصدر ٢٤٦

(٢) نهاية الارب ج ٨ : ٢٥٤

(٣) نهاية الارب ج ٨ : ٢٥٦

(٤) نهاية الارب ج ٨ : ٢٥٨ - ٢٥٩

(٥) ابن ماضي : قوانين الدواوين ٣٠٧ - ٣٠٨ التويري . نهاية الارب ج ٨ : ٢٥٨ - ٢٥٩ عبد حنين ربيع

النظم المالية في مصر زمن الايوبيين .

يضاف الى ذلك الاموال الواردة من المعارك وغنائم الحرب واستبدال الاسرى والغرامات القضائية والحجوزات التي تفرض على بعض الاغنياء والامراء او الملوك ، وكل ذلك في تفصيلات نجدها في الكتب المتخصصة التي ذكرناها وفي كتب التواريخ التي جاءت على ذكر بعضها .

اما الزكاة فقد كانت في اول الامر لمن تحب عليه وله الخيار في تفريقها او إعطائها للديوان ليفرقها . الا انه فيما بعد اصبح الواجب اعطائها للديوان واصبحت من مالية الولايات .

وقد كانت السلطة تقوم بالاجراءات اللازمة لحفظ المنتجات وحفظ حقوقها وحقوق اصحاب الغلال . من ذلك نجد ان ابا الفداء يأخذ العساكر لتنظيف القناة الاتية من السمية بعد ان امتلأت بالحجارة والطين وكادت تتلف .

كذلك نجد السلطان يرسل مرسوماً لابي الفداء لارسال عساكر حماة الى الرحبة لحفظ الغلال من هجمات البدو وجماعة منها وبالفعل قامت القوات الحموية بحفظ الامن وصيانة الغلال حتى تم توزيعها بالكامل وعادت القوات الى حماة بعد الانتهاء .

وكانت الواردات التي ذكرناها تشكل مبالغ كبيرة تصرف في خدمة المصالح العامة والابنية العامة والطرقات وتحسين المدن والقلاع وفي العساكر ، ومهماتهم ومهمات الامراء والموظفين وفي الاستقبالات والرسوم المقدرة للسلطان ومصرفات ملك حماة ومصرفات قصره .

وقد اورد المقرئ ما يؤيد ذلك فقال ان السلطان ولى اقسنقر لاشادة العماير في مصر والذي احضر العتالين من سائر البلاد الشامية وافرد للعماير ديواناً خاصاً ، كان مسروقه اليومي من اثني عشر الف درهم الى ثمانية آلاف . كذلك انتقل حب العمايرة للملوك والناس «وكاننا نودي في الناس الا يبقى أحد حتى يعمرو» ويعقب على عبارته هذه «وذلك أن الناس على دين ملكهم»^(١)

وفي الختام فقد اورد ابن مماتي ملخصاً عن واردات الدولة في زمانه ونفقاتها وذلك حسب تعابير عصره ومع ان النص لم يرد بخصوص حماة، الا ان المضرائب المفروضة كانت متشابهة في كل انحاء الدولة الايوبية في عصره مما يمكننا استخلاص فكرة عن مطارح الضريبة في حماة فقال : «المعاملات التي استمرت (واردات بيت المال) والجهات التي استقرت (مطارح الضريبة) : الزكاة ، الجوالي المواريث ، الثغور المحروسة ، المشجر ، الشب ، النظرون (أو الاطرون) الحبس الجيوشي ، الجاموس ، ابقار الخيول الاغنام ، الغرور ، البساتين ، الاحكار ، الرباع ، المراكب ، ما يستأدي من الذمة ، في ديوان الابواب ، خليج الاسكندرية ، البيوت ، ساحل السنط ، الحراج ، القرظ ، مقرر الجسور ، موظف الاتبان ، صندوق النفقات (أي مصارف ميزانية الدولة) : الاهراء ، المناخ ، خزائن السلاح ، البيوت ، ساحل السنط ، الحراج القرظ ، مقرر الجسور ، موظف الاتبان ، الاساطيل ، عمائر الاسوار ، صناعة

للمباير • الطراز • دار الضرب دار العيار • العشر ، التفاوت ، العيانات • القواصل • عجز
العدة • عجز الاموال .^(١)

فقد اراد في تعبير المعاملات حصر مجمل الضرائب التي ترد ميزانية الدولة وبيان مطارح الضريبة ،
ثم يبين بعد ذلك مصاريف الميزانية على ابواب الميزانية وعلى دواوين الدولة التي كثيراً ما يكون لكل ديوان
وارد أو أن يكون الديوان بحد ذاته محصلاً للضرائب أو محصلاً لنوع معين من هذه الضرائب .
واخيراً لا بد من ذكر مورد آخر وقد أخذت أهميته تتزايد مع الايام وهو ما يسمى بالمتجر والمقصود به
استغلال الحاكم أو السلطان لماله (علماً أنه لم يكن هناك تمييز بين مالية الحاكم أو السلطان أو الملك
وبين مالية الدولة أو النيابة أو المملكة ، ، سواء في شراء المحاصيل الزراعية والحبوب وخزنها ثم بيعها
عند ارتفاع اسعارها وهو امر تحول النحكام عنه فيما بعد الى تجارة الاخشاب والحديد والصابون والرخام
والعسل وغيرها . وقد أخذ هذا النمط من التجارة أهمية كبرى وكان أحياناً يسبب مظالم كبيرة للناس
والرعية . وكان لهذه التجارة ديواناً باسم «ديوان المتجر» .^(٢)

النظام النقدي :

لم يكن لحماية خلال حكم البيت القوي فيها نظام نقدي خاص بها بل كانت تتبع نظام السلطان
الايوبي في مصر ثم السلطان المملوكي في فترة المماليك .
وقد قال القلقشندي «أما معاملاتها (نقدها) فعل ما تقدم في غيرها من الممالك الشامية من المعاملة
بالدينار والدراهم» .^(٣)

وكانت دور الصك (دار الضرب) في القاهرة والاسكندرية ويضرب الدرهم والدينار لقاء رسم
اورده ابن مماتي في بحثه عن دور الضرب^(٤) وبيان طريقة الضرب ايضاً وكان اول ضرب للنقود جاء من
قبل صلاح الدين زمن سيده نور الدين ثم ضرب باسمه شخصياً وكلاهما مع اسم الخليفة العباسي .
وثناء الحروب الفليبية واجهت السلطة مشكلة هروب الذهب • فاتخذ صلاح الدين اجراءات
لرفع قيمة العملة فأمر سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م بسك دراهم تكون نسبة الفضة ٥٠٪ والباقي نحاس فأصبح
الدينار يساوي تسع دراهم (الدينار من الذهب) واستمر استخدام هذه العملة في عام
٦٣٧هـ / ١٢٣٩م .

(١) قوانين الدواوين : ٣٠٧ - ٣٠٨ . النظم المالية : ٥٨ وما بعدها . مصر والشام : ١٣٧ - ١٤٠ . تاريخ سوريا ولبنان

وفلسطين ج ٢ لفيليب حتى : ٢٧٧

(٢) تاريخ الممالك : ١٩٨

(٣) صبح الاعشى ج ٤ : ٢٣٦

(٤) قوانين الدواوين : ٣٣١ - ٣٣٣ لم يعثر في حماة او بلاد الشام عموماً على نقد من ضرب حماة او يختص بها .

وسك السلطان الكامل ديناراً نقياً نسبة الذهب فيه ١٠٠٪ وصك درهماً نسبة الفضة فيه ٦٦٪ كما
 اصدر فلوساً نحاسية وكانت قيمتها متغيرة ففي سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م كان الدينار يساوي ٤٥ فلساً
 ووصلت قيمته بنفس السنة الى ٨٠ ثم ٩٠ ثم ١٢٠ فلساً . . .
 للملك اضطر الملك الكامل لاصدار مرسوم يحظر فيه التعامل بالفلوس النحاسية . وأكد ذلك
 خليفته الملك العادل الثاني سنة ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م .^(١)
 وقد جاء في كتاب النفوذ العربية وعلم النميات للاب انتانس ماري الكرملي ان الملك المنصور
 الايوبي بحماة قد اصدر ديناراً وان الممالك البحرية قد ضربوا فيها ديناراً دون ان يحدد السنة .^(٢)

الزراعة :

كانت حماة تعتمد على الزراعة في اقتصادها ، فهي اولاً واخيراً بلد زراعي وهي تعتمد على السهول
 التي تضمها اراضيها . وزراعتها : اما سقي تعتمد على العاصي او موسمية تعتمد على الامطار .
 ونظراً لانخفاض حوض العاصي عن الاراضي المحيطة به ، فقد اعتمدت حماة على النواعير وذكر
 ابو الفداء ايضاً نواعير بارين لسقاية الاراضي الزراعية .
 وكانت الزراعة والمواسم والغلال من اهم الحواصل في المملكة ، ولما ديوان خاص وكانت الرسوم
 تفرض عليها بتفصيلات اوردها .
 ورغم ان توزيع الاراضي الزراعية يعتمد اسلوب الاقطاعات . الا ان هذا الاسلوب نظراً لوجود
 ضوابط لمنع التعدي على الفلاح وعلى غلاله ادت الى حفظ حقوقه الى درجة ما ، إلا انه لم يخل الامر من
 مرور فترات يحصل فيها الكثير من التعدي .^(٣)
 وقد امتدت السلطة سواء السلطان في مصر أو الملك في حماة بالزراعة واحوالها ورأينا ان ابا الفداء
 يلعب مع عسكره لتنظيف قناة السلمية . ويرسل جنداً بأمر من السلطان لحماية غلال الرخبة .
 وكانت الاخطار التي تهدد الزراعة اضافة للاخطار الناجمة عن الطبيعة من نقص الامطار او السقي
 او الحر الشديد أو سواها . هنالك خطر الغزو الذي كان يسرق المنتجات أو يحرقها أو يدمرها . وكانت
 الحروب احياناً تمنع أو تقلص المساحات المزروعة .^(٤)
 وقد وردت بعض الجائحات التي ضربت المناطق الزراعية ولو ان اثرها على مصر كان اشد ،^(٥)

(١) تاريخ العصر الايوبي : ٢٢٧ - ٢٢٨ . مصر والشام ١٤٠ والمقريزي ج ١ ق ٢ : ٤٥٦ . ٢٣٥ - ٢٣٦

(٢) النفوذ العربية وعلم النميات للاب انتانس ماري الكرملي : ١٣٣ . ٦١ . ١٤٥

(٣) تاريخ العصر الايوبي : ٢١٨

(٤) نفس المصدر : ٢١٦ وانظر ايضاً : مصر والشام : ١٢٥ - ١٢٨ . تاريخ الممالك : ١٨٢ - ١٨٤

(٥) انظر التفاصيل في كتاب الاقامة والاعتبار لمبد اللطيف البغدادي تحقيق : احمد غسان سبانو

واشتهرت بلاد الشام بتقليم وتطعيم الاشجار والمزروعات وهم الذين نقلوها الى مصر حسيبا جاء عند المقرئ زيد .

واهم ما اشتهرت به حماة في الزراعة ما ورد في اوصاف مزرعاتها عند ابن بطوطة اذ يقول «ويحماة الفواكه . الكثيرة ومنها المشمش اللوزي»^(١) . والقمح والشعير والبقول والحمص والعدس والثوم والبصل والكروم . وكذلك اعتنت حماة بالماعز والغنم بحسب صلاحيتها القوية مع البادية .

الصناعة :

مع ان حماة لم تشتهر بالصناعة كاشتهارها بالزراعة الا ان هناك مصنوعات تقليدية اشتهرت فيها مع ان من القديم ويمكننا ان نفترض قياساً فنورد بعض الصناعات في حماة : التي تعتمد على الزراعة او على منتجات البادية من الغنم والماعز والجمال :

١ - المصنوعات التي اساسها زراعي : مثل الفواكه المجففة كالتين (المبول المجفف ببخار الماء او الزبيب) والحرير الطبيعي - وصناعات القش والعيدان .

٢ - المصنوعات التي اساسها حيواني : مثل الاجبان والقشدة والالبان وغيرها . ويتبع ذلك الدباغة وصناعة الجلود . (خف ، شاروخ ، صرماية ، صندل) .

ويتبع ذلك صناعات الصوف وغزله وصناعات غزل شعر الماعز ويتبع هذه الصناعات :

صناعة المنسوجات وقد اشتهرت حماة بمنسوجات القنباز (الحموي) والقلاية وصناعة الشراشف والاعطية^(٢) .

ثم هناك الصناعات والمهن المتعلقة بالبناء مثل شغل الخشب وحفره وفي حماة اعظم منبر في الاسلام في جامع ابي الفداء كما ذكرت في وصف جامع ابي الفداء . كذلك تزيين ارضيات القصور والجوامع .

(١) ابن بطوطة الرحلة : ٦٦ .
(٢) الصناعات التقليدية في حماة ، الممران عدد حماة ٢٩ - ٣٠ : ١٣٦ - ١٣٧ .

التجارة :

ازدهرت التجارة في حما نتيجة ظروف مرقعها وظروف الفترة التي عاشتها مملكة حما الايوبية .
فحما مركز تجارة دائم مع البادية . وفي الحروب الصليبية كانت مركز تجارة مع الصليبيين ايضاً في فترات
السلام . اضافة الى ذلك وقوع حما في منتصف الطريق ما بين الشمال (حلب) والجنوب (دمشق) طريق
تجارة البحر الاحمر مع الشمال وقربها من الساحل (مرقا طرابلس) ، اذ كانت تجارة مرقا طرابلس تمر عبر
حما مع ان حصص اقرب اليه . وكان مرقا طرابلس اكثر حركة من بيروت لارتفاع رسوم مرقا بيروت . وقد
عرفت حما التجارة العالمية وكان فيها اسواق نشطة وفيها جالية من البنادقة لهم حبيهم (وما زال في حما
زقاق الافرنج يحمل اسمهم) وخاناتهم وفنادقهم الخاصة وعرفت حما الصرافة وتبديل العملات
والحوالات العالمية وسعر الصرف والبورصة .

وقد اورد ابن بطوطة نصاً مهماً يعطينا صورة عن الحياة الاقتصادية والتجارية في حما وفي النص
يتحدث ابن بطوطة عن تاجر يسمى علي بن منصور وهو من كربلاء صحبة من مدينة السرا الى
خوارزم فحكى عن نفسه هذه القصة :

« وكان قد حكى لي عن نفسه انه اخذ مرة من بعض تجار دمشق ستة آلاف درهم قراضاً . فلقبه
ذلك التاجر بمدينة حما من أرض الشام فطالبه بالمال ، وكان قد باع ما اشترى به من المتاع بالدين
فاستحيا من صاحب المال . ودخل الى بيته وربط عمامته بسقف البيت . واراد ان يخنق نفسه . وكان في
اجله تأخير ، فتذكر صاحباً له من الصيارفة ، فقصده وذكر له القضية ، فسلفه مالا دفعه للتاجر ، ويذكر
ابن بطوطة ان هذا التاجر كان ينوي السفر معه الى الهند ثم ان جماعة من اهل بلده وصلوا الى خوارزم
برسم السفر الى الصين فاخذ في السفر معهم .^(١) فهو يبين لما ان هناك بيع نقدي او بيع مؤجل وهناك
حركة تجارة واسعة مع الشرق الاقصى وهناك صيارفة . وان للتجار منازل خاصة بهم . ويبين الثقة بين
التجار والصيارفة واحترام التاجر لعهده . ووصف ابن جبير دخوله مع التجار عبر الاراضي التي
احتلها الصليبيون ونزوله في عكا في خان معد لنزول القوافل الاسلامية^(٢) .

وقد صدرت عن السلاطين مراسيم كثيرة تحت على حسن معاملة التجار الاجانب (الفرنج)
والاحسان اليهم^(٣) .

(١) ابن بطوطة الرحلة : ٣٦٤ - ٣٦٥

(٢) رحلة ابن جبير : ٢٤٦ وما بعدها

(٣) تاريخ المهالك : ١٨٩ - ١٩٣ . تاريخ مصر الايوبية : ٢٢١ - ٢٢٧ وانظر ايضاً بحث التجارة العالمية عند حنا

ج ٢٥٦ : ٢٥٧

ولم تنفع المراسيم البابوية في منع التجار الايطاليين (بنادقة ومن بيزا وجنوه) من التجارة مع الشرق (مصر والشام) . اذ كان شعار البنادقة (نحن اولاً بنادقة وبعد ذلك مسيحيون^(١)) .

وكان للتجار قوافل تجارية بحرية وبرية وكانت بضائع الفرنج (البنادقة) تصل عن طريق بيروت ونظراً لفرض رسوم باهظة من بعض النواب كانت تنقل الى طرابلس ومنها تتجه نحو حماة^(٢) .

وقد كثرت خانات وفنادق الاجانب والتجار وجاء وصفها في الكتب التي بحثت في هذه الفترة^(٣) . ومن اهم اسواق حماة التي تعود الى هذه الفترة يأتي في المقام الاول سوق المتصورية الذي اقامه ملك حماة المنصور محمد والمسمى الآن بسوق الطويل ورتب فيها الباعة كل حسب حرفته . وفيه قوس منصر اذ المنصور قد ابطل المكوس والبدع من خراج السمن والعسل والقطن والمصفر ولعن من يبدل ذلك وهذا النص يفيدنا ايضاً في معرفة بعض البضائع التجارية في ذلك الوقت .

وفي سجلات المحكمة الشرعية بحماة اسما لكثير من الاسواق منها سوق البندورة وسوق الحطب في عملة الجعابره وسوق الدق ، وسوق ابن قريع قرب جامع السحور ، وسوق العدل وسوق التولي قرب جامع السلطان وسوق حيد قرب الجامع الاعلى ، وسوق الحدادين قرب جامع الافضل وسوق الاقواسية وسوق الاساكفة وسوق القطن وسوق الطحين الى اخره^(٤) .

وفي هذه الاسواق تميز بين اسواق للتجارة الداخلية وهي نوعان عامة واسواق للحياة اليومية . ثم هناك اسواق للتجارة الخارجية .

اضافة الى ذلك هنالك اسواق متخصصة مثل سوق الخيل للريف وحاجياته من كل نوع واخر للبدو وحاجياتهم من كل نوع . وقد وصف القلقشندي الاسواق في صبح الاعشى سنيته منفصلاً في الملحق المتعلق به .

وكانت للاسواق مراقبة دقيقة من قبل المحتسب ، وللمحتسب والحسبة شروط وقوانين دقيقة مفصلة في كتب الحسبة. اهمها نهاية الرتبة في طلب الحسبة. كما واورد القلقشندي في صبح الاعشى وصفاً وتبياناً للاوزان والصنوج المستعملة في حماة والتي لها مراقبة خاصة لها غتسب وديوان واسمه ديوان

(١) مصر والشام ١٣٠١ - ١٣١٠ ، العلاقة بين البندقية والشرق الادنى الاسلامي : ٩٣ وما بعدها ، العلاقات الاقتصادية

بين الشرق والغرب : ١٥٤ وما بعدها

(٢) المشرق العدد ٣٤ : ١٩٦١ ، دمشق بين العصر المملوكي والعثماني : ٢٨٢ - ٢٨٣

(٣) انظر مصر والشام : ١٣٠ - ١٣٢ ، العلاقات بين البندقية والشرق : ٢٥٢ وما بعدها ، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب : ١٥٤ وما بعدها وفي حماة زقاق الافرنج الذي لا زال يحمل اسمهم وهو يعود في تاسيسه الى فترة حماة

الابوية .

(٤) عملة الصمران عدد حماة ٢٩ - ٣٠ : ١٠٦ - ١٠٧

المبار^(١) وقد بين ابن عماتي شروط المحتسب وشروط العمل وطريقته في هذا الديوان . وفي مقاييس
واوزان حماة يقول القلقشندي :

«وصنعتها كصنعة دمشق وحلب وطرابلس ؛ تنقص عن الصنعة المصرية كل مائة مثقال مثقال
وربع وكل مائة درهم درهم ورربع . ورطلها سبعمائة وعشرون درهماً بصنعتها » ومكيلاتها معتبرة
بالمكوك كما في حلب وبلادها ، ومكوكها مقدر كل مكوكين ورربع مكوك غرارة بالدمشقي . وقياس
قياسها بالذراع . وقياس أرضها بذراع العمل المعروف^(٢)»

أما أهم صادراتها : المنتجات الزراعية . ومنتجات الثروة الحيوانية والمواد المصنعة من كليهما
والأقمشة والخياب والجلود . فقد وردت في نقش بالسوق المنصوري ذكر بعض المنتجات منها السن
والعسل والقطن والعصفر

وأهم وارداتها : تلك المستوردات عموماً سواء من جهة الغرب عن طريق البنادقة والفرنجة .
وأهمها الخشب والحديد والمعادن الأخرى والأسلحة والقطران . وهناك تجارة هامة تأتي عن طريق
الغرب هي الرقيق . أما من جهة الشرق فيصلها من الهند والصين عن طريق البحر الأحمر وأهمها البخور
والمسك والحرير وسواها .

وليس اصديق تعبيراً حول العلاقات التجارية بين المسلمين والفرنجة أثناء الحروب الصليبية من قول
عبي الدين عبد الظاهر التتوي عام ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م صاحب الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر إذ
يقول :

«وكان العسكر قد توجه للغارة على بلادهم من جهة بعلبك (على البلاد المحتلة من قبل الفرنجة)
فسألوا في رجوعه . واتفق غلاء الاسعار بالشام ، وإن كثرة الجلب أن يكون من بلاد الفرنج ، فتقرر
الصلح على ما كان الامر عليه في آخر الايام الناصرية ، وإطلاق الأسارى من حين انفصال الايام المذكورة
الى وقت الهدنة » وتوجهت الرسل معهم لأخذ العهود عليهم . وكذلك تقرر الهدنة لصاحب يافا .
ومتملك بيروت على حكم الايام الناصرية الى آخرها . وأمنت السبل وكثر الجلب . . .^(٣)

إذ ارتفعت الاسعار لمجرد تحريك القنات على الفرنجة وغلت الاسعار . لأن كثرة الجلب
(الاستيراد) من بلاد الفرنج فكان من اسباب قبول الهدنة ذلك. وبعد تقرير الهدنة أمنت السبل وكثر الجلب
وبالتالي عادت الاسعار الى حالها .

(١) قوانين الدواوين : ٢٢٢ - ٢٢٤

(٢) صبح الاعشى ج ٤ : ٢٢٦ - ٢٢٧ ولا زالت بعض الاوزان في حماة تختلف عنها في دمشق فالوقية عندهم ٢٥٠ ح
والكيلو اربع وافي .

(٣) الروض الزاهر : ١١٨

وقد تحدث ابن جبير في رحلته عن مسيرة قوافل التجار المسلمين الى الفرنجة وعن بعض الخانات الخاصة بهم في بلاد الفرنجة وعن نسب الضرائب المقررة عليهم وانواعها وجهاتها .^(٢)

(٢) راجع رحلة ابن جبير : ٢٤٦ وما بعدها

الفصل العاشر

الحياة الثقافية

الثقافة والعلم أساس التقدم والازدهار . وقد ادرك هذا المبدأ ساسة العصور الاسلامية في فترة حكم الايوبيين والمماليك . وادرك الناس والساسة اهمية العلم في تقدم الامم وفي توجيه سياستها لذلك نجد في بعض البلاطات صراعاً بين السلاطين والامراء ونوابهم والمتسلطين عليهم في سبيل نشر الثقافة . وشهادة من معاصر لتلك الفترة تصور الوضع في احسن صورة نأخذها من ابن طباطبا المولود نحو ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م من كتابه الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية : «والعلم يزين الملوك اكثر مما يزين السوق ، واذا كان الملك عالماً صار العالم ملكاً . واصلح ما نظر فيه الملوك ما اشتمل على الاداب السلطانية والسير التاريخية المطوية على طرائف الاخبار . وعجائب الآثار ، على ان الوزراء كانوا قديماً يكرمون ان الملوك يقفون على شيء من السير والتواريخ خوفاً ان يتفطن الملوك الى اشياء لا يجب للوزراء ان يتفطن لها الملوك .»^(١)

اشتهر الايوبيون بحبهم للعلم والعلماء وكان صلاح الدين يحضر مجالس العلم ويناقش العلماء فيها ويشاركهم في ابحاثهم . وجاء بعده الملك العزيز عثمان الذي كان عالماً فاضلاً محصلاً ، سمع الحديث من الحافظ السلفي وتفقه في الدين والنحو .

كان السلطان الكامل يحب اهل العلم ويؤثر مجالستهم بحسب سماع حلقات الحديث النبوي الشريف وينظر العلماء في علم الحديث وفي الفقه والنحو وكان يمتحن العلماء بمسائل وكان يبيت عنده بالقلعة جماعة من اهل العلم فينصب لهم اسرة ينامون عليها بجانب سريره ليسامروه .^(٢) وقد اشتهر من بني ايوب اعلام في الثقافة والعلوم منهم بهرام شاه بن فرخشاه صاحب بعلبك المتوفى سنة ٥٢٦هـ / ١٢٣١م وكان شاعراً أنيباً . والملك الناصر بن الملك المعظم عيسى المتوفى ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م وكان مشغولاً بتحصيل الكتب النفيسة ويميز الادباء . والملك المؤيد الايوبي صاحب اليمن المتوفى سنة ٧٢١هـ / ١٣٢١م وكان من اهل العلم حتى قيل واشتملت خزانته على مائة الف مجلد . والملك المعظم عيسى بن الملك العادل

(١) الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية : ٧٨

(٢) السلوك ج ١ ق ١ : ٢٥٨

صاحب دمشق المتوفى سنة ٦٢٤هـ / ١٢٢٧م وكان راغباً في الادب وأهله حتى شرط لكل من يحفظ المتصل للزخري مائة دينار وخلعة . (١) وعلى نفس القاعدة :

اشتهر البيت النقوي في حمة بالعلم والعلماء والادباء وذلك في سائر المراحل التي مرت بها حمة في ظل البيت النقوي :

فمؤسس مملكة حمة الايوبية عمر بن شاهنشاه بن ايوب بن شاذي كان شاعراً عبقراً جمع له تاج الدين الكندي مائتي بيت مختارة نقل عنه العماد الاصفهاني الكاتب في خريدة القصر وجريدة المعصر . وقد وصفه الكندي بقوله كان «يساجل العظماء ويجالس العلماء ، وينافس الالباء ، وينافس الادباء . ولكثرة امتزاجه بهم ، نظم الشعر طبعاً .» (٢)

كذلك كان خليفته الملك المنصور محمد عالماً عبقراً للعلم ومعتنياً بعلمه وبلده والنظر في مصالحه وبنى جسراً بظاهر حمة خارج باب حصص صنف عدة كتب منها في التاريخ مضمار الخفائق في عشرين مجلد . وخدمه عدة من اكابر الشعراء المشهورين منهم الامير شمس الدين قلع والامراء من بني برطاس .

وولي قضاءه الشهر زوري صاحب مذهب الاشراق في التصوف الاسلامي . وولي قضاءه ايضاً القاضي الامام المشهور ابن ابي عصرون . وكان في خدمته مائتا متعمم من الفقهاء والنحاة واهل اللغة والمشتغلين بالعلوم الحكيمة والمهندسين المنجمين والشعراء والكتاب والامائل .

ووجع في خزانته من كتب العلوم ما لا مزيد عليه واعتنى بها جداً وكان يكثّر مطالعة الكتب ومراجعتها واستحضار العلماء والبحث معهم .

وبنى بظاهر حمة من شملها مدرسة عند قبر والده تقي الدين رحمه الله ووقف عليها وقفاً جليلاً . وكان الملك المظفر الثاني الذي توفي سنة اثنتين واربعين وستائة شجاعاً فطناً وكان يحب اهل النضائل والعلوم . واستخدم الشيخ علم الدين قيصر المعروف بتعاسيف وكان مهندساً فاضلاً في العلوم فبنى للمظفر ابراجاً بحمة . وطاحوناً على العاصي وعمل له كرة من الخشب مدهونة رسم فيها الكواكب المرصدة . قال ابن واصل وساعدت الشيخ علم الدين على عملها . وكان المظفر يحضر ونحن نرسمها . ويسألنا عن مواضع دقيقة فيها . (٣)

اما السلطان الملك ابر الفداء فقد كان قمة في العلم والادب وله الكثير من النشاطات الفكرية وتأثيره على الحركة العلمية في حمة واضح المعالم .

(١) مصر والشام ١١٧١ - ١١٨٠

(٢) خريدة القصر : شعراء الشام : ٨١ وما بعدها

(٣) مفرج الكروب ج ٤ : ٧٨ - ٨٠ المختصر ج ٣ : ١٢٥ . شفاء القلوب : ٣٢٧ - ٣٢٨

(٤) المختصر ج ٣ : ١٧٣ . شفاء القلوب ٤٠٦

وكان العصر الايوبي استمراراً للعصر الزنكي وبالتالي كان العصر المملوكي استمراراً للعصر الايوبي فالدفعة الثقافية التي دفع بها صلاح الدين الايوبي دولته وخلفاءه من بعده وتلك النقلة التي نقلها اليها بعد حكم الفاطميين كان لها اثرها الهام البارز في الحياة العقلية في ذلك العصر وقد استمر هذا الاثر واطرد في العصر المملوكي لتوافق الاهواء والاهداف في كلا العصرين (١) وقد كانت الظروف التي عاشها العصر الايوبي والمملوكي هي التي املت على الحركة العلمية اتجاهاتها وسماتها .

فالقنات والحرب كانا اساس الحياة في ظروف فرضتها المعارك ضد الصليبيين والمغول وكلاهما شكلا اخطر الهجمات على الامة العربية والاسلامية . فكانت اغراض العلوم والفنون والادب موجهة للجهاد لذلك نرى تقدماً واسعاً في العلوم الهندسية التي لها علاقة بالجهاد من بناء الحصون والقلاع والاسوار ومن استخدام للعدد والاسلحة ومنها النفط والزراعة . ونجد حركة دائبة في التأليف التاريخي لاعطاء الجهاد والحرب بعداً تاريخياً . كذلك نجد نشاطاً في الجغرافيا وكتبها بما فيه خدمة الجهاد . ونشاطاً في كتب الزيارات والنضائل التي هدفت كما يقول كراتشكوفسكي لحث الناس على سكنى مناطق الحدود (و) اغلبها مقدس دينياً) وهي مناطق كادت تكون خالية سواء لترك الصليبيين لها او لعزوف السكان المدنيين عنها بسبب كونها مناطق قتال . والسبب الآخر لحث على الجهاد . واما الطب فقد كانت الحاجة له كبيرة جداً فاقبعت المستشفيات وهي مراكز تعليم الطب ايضاً وكثر عدد الاطباء والمتطيين . واتجه الادب نثراً وشعراً لخدمة المعركة وتقوية الروح المعنوية .

واتجه العلماء والمتصوفة الى تبيان اهمية الجهاد والحث عليه بل وممارسته فعلياً . والعامل الآخر بعد عامل الجهاد كان نتيجة القضاء على الخلافة الفاطمية وما تبع ذلك من صراعات مذهبية وفكرية . وكان هذا سبباً اساسياً في اقامة المدارس وفي نشوء حركة التصوف والاشراق وفي نشوء الرباطات والخانقانات .

وقد استقطبت مصر والشام الحركة العلمية للامة العربية والاسلامية بعد ان تم تحقيق وحدتها السياسية والاقتصادية بظل صلاح الدين . وذلك نتيجة سقوط بغداد بيد المغول ونتيجة الصراعات بين الاسبان والمسلمين في الاندلس وانهاء دور بغداد والاندلس في الريادة الفكرية للعروبة والاسلام . مساعد ذلك في ازدهار الحركة التجارية وازدهار الحركة المالية وتكدس الثروات لدى السلاطين والامراء والناس عامة . اضافة الى ميل آل ايوب الى العلم والعلماء (٢) . وقد وصف حتي الحركة العلمية في العصرين الايوبي والمملوكي قائلاً : كان عصر تجميع وتقليد اكثر

(١) محمد رزق سليم سلسلة نوايخ الفكر العربي رقم (٢٠) تقي الدين بن حجة : (٨)
(٢) مهرجان امي الفداء وفيه عدة بحوث تتعلق بالعلم في زمن امي الفداء . الحياة العلمية في كتاب وفي رحاب دمشق لمحمد احمد دهمان ، ٢٥٩ - ٢٦٣ . من سلسلة النوايخ : البهاء زهير : ١٥ - ١٨ . ضياء الدين بن الاثير : ١٨ - ٢٢ . تقي الدين بن حجة الحموي : ٨ - ١٤ ، تاريخ العصر الايوبي : ٢٠١ - ٢٠٣

منه عصر توليد وابداع . ومع هذا فقد بقيت دمشق والقاهرة لاسيا بعد خراب بغداد وانهار الحكم الاسلامي في اسبانيا المركزين المتقدمين في شؤون التعليم والفكر في العالم العربي^(١) وكانت للعلوم والآداب في هذا العصر افاق جديدة نتجت عن الاحتكاك الواسع بين الشرق والغرب في الحرب والسلام اذ غدت الحروب الصليبية وحركات المغول مظهراً من مظاهر هذا الاحتكاك^(٢) . وقد اثر هذا الاحتكاك بشكل عميق في الفلسفة والتصوف فدخلت فيها بعض التأثيرات الافلاطونية الحديثة^(٣) .

ويصف (كارل بروكلمان) هذه الفترة فيقول : «غير ان هذه العصور عصور الانحطاط التي لم تبلغ مداها الا بالاكساح المغولي للمنطقة فيما بعد ، قد شهدت انتفاضة خصبة ، وان لم تكن بمنفعة في كل حال . ففي قصور الامراء الصغيرة الكثيرة ، ولا سيما في غرب المنطقة العربية انتشر جيل كبير من الشعراء الحدائق بالصنعة وارواحهم العلية بحق ، تحت سماء عطف هؤلاء الامراء^(٤) . » وكانت الاهتمامات العلمية والادبية في مملكة حماة الابوية متنوعة ومنشعبة ولا تخرج عن الاطار العام الذي ذكرناه

الحركة العلمية في حماة :

عرفت بلاد الشام في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي نهضة فكرية وثقافية رائعة وانتجت رجالاً واعلاماً في الثقافة والعلوم والآداب جديرين بالخلود . وكانت معرة النعمان من أبرز مراكز النشاط الفكري في بلاد الشام حيث انتجت الكثيرين من مفكري العرب والاسلام وعلى رأسهم أبو العلاء وأبو غالب همام بن الفضل بن جعفر بن المهذب ، وابن زريق يحيى بن علي التنوخي . واحاط بالمعزة مراكز مهمة للثقافة من اشهرها كفر طاب حيث عاش في هذه البلدة وحكمها الاسرة المنقلبية . وفي القرن الخامس الهجري (اواخر القرن الحادي عشر الميلادي) ملكت هذه الاسرة حصن شيزر وقد انتجت هذه الاسرة الكثيرين من رجال الفكر منهم اسامة بن منقذ وعلي بن مرشد ومنقذ ابن مرشد

وبعد ما دخل الصليبيون بلاد الشام لأول مرة احتلوا معرة النعمان ، وهدموها وشردوا اهلها واستولوا على كفر طاب وقد هاجر الكثيرون من أهالي البلدتين إلى حماة . يضاف إلى ذلك أثر الزلازل قبيلا

(١) حنفي ج ٢ : ٢٨٩ .

(٢) مهر جان امي القداء بحث مصطفى الحاج ابراهيم : ١٣٤ .

(٣) حنفي ج ٢ : ٢٩٠ .

(٤) بروكلمان ج ٥ : ٢٠ .

قيام الدولة الايوبية التي هدمت شيزر وغادر من بقي من اهلها الى حماة وهكذا تجمع في حماة زمن الايوبيين عدد كبير من العلماء في مختلف ميادين العلوم وتجمع لديها بعض المكتبات الغنية . وكان هذا من بوادر نهضتها العلمية التي احتضنتها ملوك حماة الايوبيون وساعدوا على دفعها فكانت ذروتها في عصر ابي الفداء .

لعل مارون عبود قد اصاب كبد الحقيقة بوصفه حالة حماة التعليمية إذ قال :
ولم يجتمع في بلاط حاكم من الحكام من العلماء والادباء والشعراء بعد سيف الدولة كمثل ما اجتمع في بلاط ابي الفداء .

فبعد ان ذكرنا بعض علماء المعرة وكفر طاب وشيزر الذين انتقلوا الى حماة فقد ذكرنا ان ابن مالك صاحب الالفية المشهورة شرقاً غرباً قد نظمها في حماة للشيخ شرف الدين البارزي . وقد نظمها في جامع القان الذي يطلق عليه الان جامع القاق .

وورد حماة ايضاً ابن نباتة المصري وقد رتب له ابو الفداء مرتباً يكفيه مقداره ستائة درهم ويلذكر من شعر ابن نباتة المصري عن حماة :

قهزت حماة لي العدا فحماة عندي القاهرة

وورد اليها ايضاً من مصر محمد بن علي بن محمد المعروف بابن طرطور الشاعر المشهور الذي سكن دمشق وحماة وخدم الملك الافضل صاحب حماة الذي قربه وادناه وحنا عليه ورتب له الدراهم والخبز واللحم ورحل الى الشام ثم استوطن حماة الى ان مات فيها سنة ٧٦٢هـ .

ومن وفد حماة من العراق محمد بن عرب الهيتمي الحسيني الحنفي العراقي وكان رجلاً فصيح اللسان عزيز الاخلاق . جاء به الى حماة قاضي القضاة شرف الدين هبة الله البارزي وقرره مستقلاً في علوم العربية بالجامع الكبير والنوري بحماة . واستمر على ذلك وانتفع به جماعة من الطلبة في علم العربية وتوفي سنة ٧١٤هـ .

وفد الى حماة من العراق ايضاً بنو الأبرز الذين هجروا بغداد في جفلة التتر واتخذوا فيما بعد اسم البارزي ومن اشتهرهم هبة الله البارزي الذي ولد في حماة سنة ٦٤٥هـ وله من المؤلفات الكثير . وله شروح للادب منها شرح سقط الزند . ولعل اهم مؤلفاته وشرح نظم الحاوي الذي نظمه لابي الفداء في اربع مجلدات .

ومن رحل الى حماة من العراق : صفي الدين الحلبي الشاعر المشهور

(١) مهرجان ابي الفداء : مقال سهيل زكار : ٥٢ - ٥٣

(٢) مهرجان ابي الفداء مقال احسان المظم : ١٧٧ - ١٨٤

ومن الاطباء جاءها من دمشق مهذب بن الحاجب الذي خدم تقي الدين عمر وسديد الدين بن رقيقة من ديار بكر وخدم الملك المنصور بن تقي الدين عمر. وموفق الدين المتفاح من دمشق ايضاً .^(١) وكانت حمة بسو الما الفقيه المشهور ابن تيمية واصداده الفتوى الحموية الصغرى والكبرى زمن ابي الفداء سبباً لما جرى له من امور ومحن معروفة^(٢) .

٦ - التعليم والمدارس في حمة زمن الحكم الايوبي التقوي :

المدارس في العهد الايوبي والمملوكي :
يبدل صلاح الدين ورجال دولته جهوداً كبيرة في إنشاء المدارس ودور الحديث في بلاد الشام ومصر . وقد استقطب صلاح الدين العلماء والفقهاء واغراهم بالحضور الى دولته في هذا السبيل . امتد الامر لكامل الفترة الايوبية والمملوكية. وتسابق في إنشائها الملوك والامراء والوزراء ورجال الدولة والاغنياء والمدرسون . كما ساهم اغنياء التجار في اقامة دور العلم . وساهمت سيدات الاسرة الايوبية مساهمة مشمرة في تشييد المدارس والوقف عليها . بل ان بعض الخدم قد ساروا على نهج سادتهم في بناء المدارس .

وقد كان لكل مدرسة جهاز اداري كامل . وكانت كثير من المدارس تؤمن الاقامة والنوم والطعام لطلابها ويتبع المدرسة ايضاً مكتبة قد تكون عامرة وضيخة في كثير من المدارس . ويتبع المدرسة ايضاً اوقاف مرسودة لها تكون مصروفات المدرسة من ريع هذه الاوقاف . وكان الاعتناء ببناء المدارس كبيراً من ناحية عمرانها وتزيينها ، علماً أن بعض المدارس كان لها مآذن خاصة بها مع انها لم تكن مساجد في يوم من الأيام^(٣) .

ولم يكن تحصيل العلم محصوراً بالمدارس فقط بل كان يتبع طرقاً تقليدية ايضاً وهي الجوامع وحلقات التعليم فيها . كذلك كانت ربط وخانقانات الصوفية تقوم بالتدريس ايضاً وكانت المستشفيات بمثابة وفي مدارس للطب .

وكان عدد المدارس في بلاد الشام كبيراً جداً لدرجة ان ابن جبير حين زار بلاد الشام سنة ٥٨٠ هـ تعجب من كثرة مدارسها وكثرة دور العلم والمساجد وكثرة طلبة العلم من اهل البلد والغرباء فتصح اهل المغرب بتحصيل العلم الوافر فيها وفضلها على غيرها من بلاد المشرق .^(٤)

(١) طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة راجع ترجمة كل من الاطباء المذكورين .

(٢) المختصر ج ٣ : ١٧٣

(٣) تاريخ العصر الايوبي : ٢٠١ . تاريخ الممالك : ١٧٤ . سلسلة النوايع البهاء زهير ١٦١ - ١٧ . مصر والشام

١١٧ - ١١٨ ح ٢ : ٢٨٤ - ٢٨٦

(٤) رحلة ابن جبير : ٢٠٠ . تاريخ العصر الايوبي : ٢٠١ . مهرجان ابن عباكر مقال بيطار : ٢٤٤

وتعود اسباب كثرة المدارس الى الاسباب العامة التي ذكرناها والتي اعطت سمات الحركة الفكرية في زمن الايوبيين والمماليك .

وللمدارس نظامها وتقاليدها وكان للمدرسين والعلماء فيها مراتب والقباب جاء على ذكرها الفلقشندي في كتابه صبح الاعشى^(١)

وكانت المدارس تعطي (اجازة) حفظت لنا المصادر التاريخية صورة عنها . وكان العلماء والمتعلمون يتبارون في الرحلة لطلب العلم وفي عدد الاجازات التي حصلوا عليها . واسماء تميزهم . ولكل علم وفن بل لكل كتاب اجازة .

ولا بد ان حياة، وقد شهدت نهضة علمية، قد حوت الكثير من المدارس التي تعود الى العصر الايوبي فيها . الا ان عوامل الزمن والمحن والزلازل والخطوب قد أتت على الكثير من تلك المدارس . ورغم ذلك فقد حفظت لنا كتب التاريخ بعض اخبارها وبقيت آثار بعض هذه المدارس . فمنها :

١ - المدرسة النورية الحنفية : وقد ذكرها ابن واصل في مفرج الكروب فقال : وفي حياة لنور الدين مدرستان احدهما للحنفية والاخرى للشافعية . وهاتان المدرستان هما من المدارس التي كانت في حياة حين مر بها الرحالة ابن جبير سنة ثمانين وخمسة وذكروا في رحلته^(٢) وكانت هذه المدرسة قائمة في بستان النوريات الواقع غرب الجامع ، ومن درس فيها العالم الشهير المعروف باسم (نعاسيف)

٢ - المدرسة النورية الشافعية المعروفة بالعصرونية :

بناها نور الدين الشهيد وسميت باسم ابن ابي عصرون الذي تولى التدريس فيها وموقعها في باب حصص من علة الباشورة .

٣ - المدرسة المظفرية :

التي شادها الملك المظفر تقي الدين عمر وكان لها مكانة كبيرة تتناسب مع عظم شأن منشئها .

٤ - المدرسة المظفرية المحمودية :

انشأها الملك المظفر الثاني محمود وموقعها قرب الجامع الاعلى (الجامع الكبير) .

٥ - المدرسة المنصورية (مدرسة التربة)

انشأها الملك المنصور الاول محمد فوق قبر والده^(٣) ومكانها هو مكان جامع ابي الفداء في الطرف

الشمال الغربي من علة باب الجسر .

(١) صبح الاعشى ج ٦ وقد حوى هذا الجزء الكثير مما يتعلق بهذا المعنى . تاريخ العصر الايوبي : ٢٠١ - ٢٠٣ مهرجان

ابن صاكر مقال بيطار : ٢٣٥ - ٢٩٩ .

(٢) ذكر ابن جبير ان في حياة ثلاث مدارس على العاصي انظر الرحلة صفحة ٢٠٦

(٣) مفرج الكروب ج ٤ : ٧٧ - ٨٦ ، المختصر ج ٣ : ١٢٥ - ١٢٦

٦ - المدرسة الجلدية :
نسب إلى الأمير شجاع الدين جلدك الذي كان مملوكاً واعتقه الملك المظفر تقي الدين عمر .

٧ - مدرسة ابن المشطوب :
وتنسب للأمير سيف الدين علي بن المشطوب الذي كان مع الأمير سيف الدين بن المقدم في خدمة تقي الدين عمر وله دور كبير في أحداث عهد تقي الدين عمر كما بينا .
ومن دُرُس في هذه المدرسة الفتح الجزري وكان نحوياً فقيهاً نظم السيرة لابن هشام والمفصل للزخشي .

٨ - المدرسة الصهيونية :
نسبة للشيخ محمد بن محمد الخطيب الشهير بابن صهيون نسبة إلى مسقط رأسه في قلعة صهيون وموقعها كان في جوار بستان الصهيونية المعروف بحماة .

٩ - المدرسة المعزية :
بناها محمد ابن حمزة المعزي بجوار جامع المعزي من جهة الشرق في محلة باب الجسر وكانت متسعة جداً ولم يبق منها سوى ما هو مرسوم على جدار الجامع يذكر تاريخ بنائها سنة سبع وعشرين وستائة .

١٠ - المدرسة الطراشية :
نسبة إلى مرشد الطواشي الذي اعتقه الملك المظفر الثاني عمود ومكانها بالقرب من تربته التي هي بالقرب من الجامع الأعلى (الجامع الكبير) من جهة الشمال وهي متسعة جداً وبقيت لما بعد عام الف للهجرة .

١١ - المدرسة الخاتونية :
نسبة لمؤسستها مؤسسة خاتون بنت الملك المظفر الثاني عمود وعمه أبي الفداء ومكانها البستان المعروف ببستان الخاتونية الكائن في أول مدخل محلة الجراجمة من الشرق . وكانت من كبريات مدارس بلاد الشام . وقد تحولت هذه المدرسة من دار الوزير إلى الأكرام ثم إلى دار مؤسسة خاتون التي جعلتها مدرسة وارقت لها أوقافاً كبيرة وكتباً . وذلك في زمن أبي الفداء .

١٢ - المدرسة المؤيدية المشهورة بالخطيبية :
وذلك نسبة إلى الملك عماد الدين أبي الفداء اسماعيل وموقعها مكان شركة البراد حالياً . . وقد أورد قدرى الكيلاني ذكر الروشن في الجامع النوري، الجناح الشرقي، وقد أنشأه أبو الفداء ليكون معهداً علمياً ودينيّاً وبقيت الدواصة فيه لفهد قريب وكانت له أوقاف تكفيه وذكرت إحدى نقوش الروشن أن أوقافه كانت كل سنة خمسة عشر ألف درهم^(١)

(١) مهرجان أبي الفداء : قدرى الكيلاني : ٢٦٤ - ٢٦٦

١٣ - المدرسة المخلصية المشهورة بالقرنافية :

وتنسب الى غلص الدين اسماعيل بن قرنار من القرن التاسع عشر وخمسين وستة . وبانيها اديب شاعر فقيه عالم . وموقعها بالقرب من جامع الشيخ ابراهيم في حي الحاضر .

١٤ - مدرسة دار القرآن :

وتنسب الى محمد بن ابي بكر الشافعي ومكانها في علة باب حمص من حي الباشورة وقد شرط واقفها على جعلها مقصورة على العزاب دون المتزوجين ، وقد كانت هذه من بعض شروط واقفي الربط والخانقانات لان العازب يتفرغ للدراسة والعلم والعبادة . ومن مدارس حماة التي اندرست آثارها وانظمت معالمها مدرسة دار الحديث والمدرسة الافتخارية والمدرسة التجمية .^(١) كان في حماة الكثير من المكتبات بعضها خاصة بالعلماء والادباء الذين ارتحلوا إليها من المعرة وكفر طاب وسواهما .

وقد اولع ملوك الايوبيين عموماً بجمع الكتب والمكتبات الاهتمام والعناية بها . فللقصر مكتبة كبيرة جمعت الكثير من الكتب والمؤلفات. وقد نمت عبر الايام الى ان بعثها الملك الاشرف الذي كان حليفاً لهولاكو اثناء هجومه على حماة واحتلال المدينة لهولاكو عام ٦٥٨هـ^(٢) وكان للمدارس كتب ومكتبات خاصة بها. ذكر ان لروشن (مدرسة) ابي الفداء في الجناح الشرقي من الجامع النوري مكتبة عامرة فيها سبعة الاف كتاب اوقفت على القراء .

وان للمدرسة الخاتونية التي اوقفتها مؤسسة خاتون مكتبة عامرة لها اوقاف خاصة بها . وقد ذكر الكثير عن مكتبة قاضي حماة ابن البارزي الذي كانت له مكتبة عامرة وقد قدر ثمنها بمائة الف درهم^(٣)

وذكرت كتب التاريخ مركزين للطب في حماة : الاول في قلعة حماة وفيها خدمة طبية تخص الملك واصرته ويتبع ذلك اهل البيت التقوي والحاشية وعمالك الملك والامراء والمقربين . وكان الملك يستقدم افضل اطباء لهذا المركز ويولي اعتناء خاصاً .

اما المركز الثاني وهو المركز الكبير والشعبي فهو البيارستان النوري الذي انشاء نور الدين في عام ٥٥٠هـ / ١١٦٤م الى جوار جامع في جهة الجنوب فضلاً عن مدرسته الشافعية . كان البيارستان يشتمل على غرف عديدة تحيط بياحة سماوية. وقد فقدت قسمه الشرقي الذي كان مطلقاً على العاصي ، الذي يجري

(١) الصبران عند حماة : ٢٩ - ٣٠ مقال تطور التعليم في حماة ومراحله شوقي الكيلاني : ١٦٧ - ١٦٩ ومهرجان ابي الفداء مقال احسان العظم : ١٦٧ - ١٦٨ .

(٢) المختصر ج ٣ : ٢٠٣ .
(٣) المختصر ج ٤ : ١٢٤ . المكتبات في مهرجان ابي الفداء احسان العظم : ١٦٦ .

تحت على امتداد الجناح الشرقي من الجامع النوري لأن البناءين اقيما معاً فوق ساباط طويل يمتد موازياً للنهر . ويحوي الجانب الغربي من البهارستان على ثلاث غرف قديمة ذات مداخل متجهة نحو الجنوب ، تاريخها سنة ١٧٥٤م / ١٢٥٣م . وثمة ثلاث كتابات أخرى في القسم الجنوبي . تختلف التاريخات منها تتعلق بما يصرف للمضعفاء المقيمين فيه من مال وطعام ودواء ، والثالثة الأخيرة تؤرخ بناء غرفتين في هذا القسم . وللبهارستان صحن مربع مكشوف في وسطه بركة مثمثة الشكل ، في أربع زوايا منها بحيرات صغيرة جداً . (١) وكان البهارستان مزوداً بالمياه وبمكتبة خاصة . (٢)

وقد ذكرنا عند استعراض حياة أبي الفداء انه كان عارفاً بالطب . وقد اورد ابن أبي اصيبعة ذكر اربعة اطباء ممن خدموا ملوك حماة وهم :

١ - مهلب الدين بن الحاجب :

وكان طبيباً مشهوراً فاضلاً في الصناعة الطبية ، متقناً في العلوم الرياضية ، معتمداً بالادب وعلم النحو ولد بدمشق . وسافر الى اربل ثم الموصل وعاد لدمشق فأكرمه صلاح الدين والفاضل . واجرى له ثلاثين ديناراً كل شهر . وكان متعبداً ورعاً ولاجله عملت المقصورة التي بالكلاسة . وله تصانيف كثيرة منها : الزيج المشهور الذي له وهو جيد صحيح ، ومنها المنبر في الفرائض وهو مشهور وكتاب في غريب الحديث عشر مجلدات وكتاب في الخلاف مجدول على وضع تقويم الصحة . وكان دائم الاشتغال وله شعر كثير وقصد الحج ولما رجع الى بغداد توفي بها .

وكان مهلب الدين بن الحاجب كثير الاشتغال بحيا للعلم قوي النظر في صناعة الهندسة وكان قبل اشتهاره بصناعة الطب قد خدم في الساعات التي عند الجامع بدمشق ، خدم تقي الدين عمر صاحب حماة ولم يزل في خدمته بحماة الى ان توفي تقي الدين ثم عاد ابن الحاجب الى دمشق وبرزه الى الديار المصرية . (٣)

٢ - سديد الدين بن رقيقة :

هو ابو الثناء محمود بن عمر بن محمد بن ابراهيم بن شجاع الشيباني الحانوي ويعرف بابن رقيقة وكان طبيباً وشاعراً رقيقاً وصفه ابن أبي اصيبعة بقوله «مارأيت في وقته من الاطباء أحداً أسرع عملاً له (للرجز) منه» وكانت له معرفة بصناعة الكحل والجراح ، وحاول كثيراً من أعمال الحديد في مداواة امراض العين . وقدح أيضاً الماء النازل في العين الجماعية . وانجب قدحه وأبصروا . وكان القدح الذي يعانيه مجوفاً وله عطفة لئلا يمكن في وقت القدح من امتصاص الماء ، ويكون العلاج به ابلغ .

واشتغل بعلم النجوم . وكان فاضلاً في النحو واللغة .

(١) وصف البهارستان يعود للاستاذ كامل شحادة : مجلة العمران عدد ٢٩ - ٣٠ - ١٩٦٢ و ١٠٣ -

(٢) حني ج ٢ : ٢٨٢

(٣) طبقات الاطباء : ٦٥٩ - ٦٦٠

وكان مولده في سنة اربع وستين وخمسة مدينة (حني) " ونشأ بها. وصدق ان عالج نور الدين ابن ارتق وكان دون العشرين فاطلق له جامكية وجراية في صناعة الطب واستمر في خدمته. ثم خدم بعد ذلك الملك المنصور محمد صاحب حماة ابن تقي الدين عمر وبقي معه مدة ثم سافر الى خلاط . واقام مدة بميفارقين ثم وصل الى دمشق وعمل فيها في المارستان النوري وفي الدور السلطانية في القلعة وتوفي بدمشق سنة خمس وثلاثين وستائة . "

ومن كتبه «لطف السائل» و«كتاب موضحة الاشتباه في ادوية الباء» و«كتاب الفريدة الشاهية والقصيدة البامية وغيرها» .

٣ - موفق الدين عبد السلام

وصفه ابن أبي اصبيحة قائلاً : لقد جمع الصناعة الطبية والعلوم الحكمية والاخلاق الحميدة والآراء السديدة والنضائل الثابتة والفواضل العامة . اصله من بلدة حماة واقام بدمشق تميز بصناعة الطب ثم سافر الى حلب وتزيد في العلم . وخدم صاحب حلب ثم عاد لدمشق مع الملك الناصر يوسف بن محمد ثم توجه الى مصر واقام بها مدة ثم خدم بعد ذلك الملك المنصور صاحب حماة . واقام عنده بحماة وله منه الاحسان الكثير . والفضل الغزير . والآراء الجزيلة والمنزلة الجليلة . "

٤ - موفق الدين المنفخ :

هو ابو الفضل اسعد بن حلوان ، اصله من المزة ، واشتغل بصناعة الطب فيها وتميز في اعمالها . وخدم الملك الاشرف موسى بن أبي بكر بن ايوب في الشرق وبقي في خدمته سنين وانفصل عنه وكانت وفاته في حماة سنة اثنتين وأربعين وستائة . "

٥ - صلاح الدين بن يوسف

وقد مارس الطب في حماة حوالي عام ١٢٩٦م زمن المظفر الثالث تقي الدين وكان يمارس الكحلة (طب العيون) وله مؤلف مشهور جداً وهو «نور العيون وجامع الفنون» ومؤلفه يعتبر احد مؤلفيها اهم ما ظهر من المؤلفات في طب العيون في القرن الثالث عشر الميلادي "

في الهندسة والعلوم والرياضيات :

ولعل اهم علماء فترة العصر الايوبي هو علم الدين قيسر المعروف بتعاسيف الذي اجاب عل

(١) حني بلد من ديار بكر يوجد فيها معدن الحديد (معجم البلدان لياقوت الحموي

(٢) طبقات الاطباء : ٧٠٣ - ٧١٧ .

(٣) طبقات الاطباء : ٧٥٥ - ٧٥٧ . (٤) طبقات الاطباء : ٧٥٧ .

(٥) حني ج ٢ : ٢٨٣ اما المؤلف الثاني في الكحل فهو الكافي في الكحل لخليفة بن أبي المحاسن .

الاسئلة التي ارسلها امبراطور الفرنجة في عكا وكان عالماً متبحراً في علم الهندسة والحساب والرياضيات فيرسل استلته الى الملك المعادل لاحراجه فكان يجمع العلماء ليجيبوه عنها. وعمل تعاسيف في حماة وقد وصفه ابو الفداء بقوله وكان مهندساً فاضلاً في العلوم الرياضية فبنى للملك المظفر المذكور ابراجاً بحماة وطاحوناً على النهر المعاصي وعمل له كرة من الخشب مدهونة رسم فيها جميع الكواكب المرصودة وعملت هذه الكرة بحماة. قال القاضي جمال الدين بن واصل وساعدت الشيخ علم الدين على عملها^(١) ويبدو ان الملك المظفر صاحب حماة ايضاً من العارفين بالعلوم والهندسة والرياضيات والفلك بدليل قول قاضي القضاة ابن واصل الذي نقل عنه ابو الفداء : «وكان الملك المظفر يحضر ونحن نرسمها ويسألنا عن مواضع دقيقة فيها^(٢)» ويتضح من النص ايضاً ان ابن واصل على دراية في هذه العلوم .

في الفقه والحديث

كان الفقه من اهم العلوم التي جرى الاعتناء بها في زمن الايوبيين والمماليك وقد ورد في حماة ذكر فقيهاها الكبير قاضي القضاة نجم الدين ابي محمد ومن علماء حماة :

« - شرف الدين ابو القاسم هبة الله نجم الدين :

عبد الرحيم بن ابراهيم المعروف بابن البارزي الجهني الحموي فقد عين قاضي القضاة بحماة فقبل الوظيفة وتودع عن اخذ اي راتب . وكان قاضياً ممتازاً وحازماً يراعي جانب الحق دون تعد أو محاباة . وكان عالماً فاضلاً قضى شيخوخته في تحقيق العلوم والتأليف . وقد دعي عدة مرات لقضاء مصر الا انه اعتذر وفضل البقاء في حماة. وكف بصره في آخر عمره فولى حفيده مكانه. وتفرغ للتأليف وقد ذكر ابو الفداء من كتب البارزي في التفسير : (كتاب البستان في تفسير القرآن مجلدان ، وكتاب روضات جنات المحبين اثنا عشر مجلداً ، ومنها في الحديث كتاب المجرى من المسند ، وكتاب المنهيد شرح المجرى أربع مجلدات ، ومنها في الفقه كتاب شرح الحاوي المسمى باظهار الفتاوى من احوار الحاوي ، وكتاب تيسير الفتاوى من تحرير الحاوي ، وهما اشهر تصانيفه . وكتاب شرح نظم الحادي أربع مجلدات ، وكتاب المغني مختصر التنبية وكتاب تمييز التعجيز ، ومنها في غير ذلك كتاب توفيق عري الايمان في تفصيل حبيب الرحمن ، والسرعة في قراءات السبعة ، والدراية لاحكام الرعاية للمحاسبي وغير ذلك»

وكان استاذ أبي الفداء . وقد توفي سنة ٧٣٨ هـ في حماة^(٣)

وقد تحدثنا عن مكتبته في بحث المكتبات في حماة

(١) المختصر ج ٣ : ١٧٣ ، شفاء القلوب : ٤٠٦ . سلسلة التواضع البهاء زهير : ١٦

(٢) نفس المصادر والصفحات .

(٣) المختصر ج ٤ : ١٢٤ - ١٢٧

١ - صفة القريشية (٨٦٤٦)

التي تفردت في زمانها بلجاجة جماعة من اهل العلم^(١)

وقد اشتهر بالحديث في حماة ايضاً :

٣ - خديجة بنت عمر بن احمد بن ابي جراد (ام عمر) وتوفيت بحماة سنة ثمان وسبعماية عن بضع وثمانين سنة^(٢)

١ - شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي الحافظ النساب المولود سنة ٦١٣هـ بجوار دمياط ودرس بدمياط والاسكندرية والقاهرة واتقن الحديث دراية ورواية وسمع منه خلائق بمصر ومكة وحلب وحماة ودمشق والعراق . وقالوا فيه : «انه آخر من بقي من الحفاظ واهل الحديث» . من كتبه «الصلة الوسطى» و«كتاب الخيل» . و«قبائل الخزرج وقبائل الاوس» . و«العقد المثلث فيمن اسمه عبد المؤمن» و«مختصر السيرة النبوية» و«الاربعون المتباينة الاسناد في حديث اهل بغداد» وتوفي بعد ان عمر بدمشق سنة ٧٠٥هـ .^(٣)

٥ - موفق الدين ابو المعالي محمد بن محمد بن الفضل بن حبيش النهرازي الحسوي الذي وصفه الامام الذهبي بتذكرته انه «الخطيب الكبير» . وقد توفي في سنة تسع وتسعون وستائة عن عمر يقارب الثمانين^(٤)

في الجغرافيا :

١ - ابو الفداء

وهو علم اعلامها صاحب تقويم البلدان ، الذي تحدثنا عنه الكثير وكتب عنه الكثير (فهو وحده يستحق ان يكون موضوع اطروحة منفصلة) ويقول عنه كراتشكوفسكي مؤلف تاريخ الادب الجغرافي العربي انه «احتل في ميدان العلم مكانة ارفع من مكانته (والحديث عن معاصره شمس الدين عسدا بن ابي خالده الدمشقي) والذي يقول (رينو) عن معسفه الجغرافي وذلك قبل قرن من الزمان انه يمثل الى جانب الادريسي مؤلفاً ضخماً في مجاله» ويؤكد في ذات الوقت «ان المعسر الرسولي الاوربية لم تعرف كتاباً يمكن مقارنته به» ولا يزال هذا الحكم صحيحاً في جوهره حتى ايامنا هذه^(٥)

وقد اتم ابو الفداء مسودة كتابه في عام ٧٢١هـ / ١٣٢١ م

(١) الحركة الفكرية في حماة عدنان قيطاز . العمران عدد حماة (٢٩ - ٣٠) : ١٧٥

(٢) تذكرة الحفاظ ج ٤ : ١٤٨٥

(٣) النجوم الزاهرة : ج ٨ : ٢١٨ ، الادب في العصر المملوكي ج ١ : ١٢٥ - ١٢٦

(٤) تذكرة الحفاظ ج ٤ : ١٤٨٨

(٥) كراتشكوفسكي تاريخ الادب الجغرافي العربي ج ١ : ٣٨٩ . مهرجان ابي الفداء : ٢٤٤ - ٢٤٩

ويتابع كراتشكوفسكي فيقول «وكتابه بوجه عام مصنف تام مكتمل يمتاز بأصالة التبرير وبالوضوح فضلاً عن انه تمتع برواج كبير سواء بين الأجيال القريبة من المؤلف او التالية له»^١ وهو أوائل الكتب التي ترجمت الى أوروبا عن اللغة العربية وذلك منذ عام (١٥٦١) وعمل فيه الكثير من المستشرقين في كل أنحاء العالم وفي مختلف العصور .
وله كتاب آخر باسم «العروض والاطوال» وفيه قياسات بعد البلدان عن خط الاستواء نحو الشمال .

١ - نجم الدين عبد الرحيم بن ابراهيم بن البارزي الحموي البهني . وكان قاضي قضاة حماة وقد ذكر بروكلمان أن ولادته كانت سنة ٦٠٨هـ / ١٢١١م . وتوفي في ذي القعدة سنة ٦٨٣ كانون ثاني - شباط / ١٢٨٤م في تبوك وهو في طريقه للحج ودفن في المدينة المنورة وقد ألف كتاب «مداولة الايام ومائلة الاحكام» وارجوزة تاريخية تشمل حياة محمد وتاريخ الدول «الاسلامية والدول غير الاسلامية والدول السابقة للإسلام وتشمل ايضاً عرضاً جغرافياً للبلاد التي فتحها الاسلام»^٢.

في التاريخ

شهدت حماة في فترة الايوبيين من البيت التقوي عدداً لا بأس به من كبار مؤرخي هذه الفترة من تاريخ الاسلام وكان بعضهم من البيت التقوي من ملوك حماة .

١ - محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه التقوي الايوبي (٥٦٧ - ٦١٧هـ) وهو الملك المنصور محمد صاحب حماة كان مؤرخاً ترك كتاباً ضخماً هو «مضمار الحقائق وسر الخلائق» ويشار إليه في كتب التاريخ ايضاً باسم «المضمار» وقد وصفه ابو شامة بأنه قد جمع فيه جملة من التواريخ واسماء من ورد عليه وأقام عنده، ووصفه بأنه من عشر مجلدات وأشار إليه العماد الحنبلي إنه يقع بعدة مجلدات .

وقد اتبع فيه طريقة الحوليات . الا ان معظم مؤلفه بحكم المفقود ولم يبق منه سوى قطعة تضم حوادث سنوات (٥٧٥ - ٥٨٢)هـ نشرها الدكتور حسن حبشي في القاهرة عام ١٩٦٨م^٣.

٢ - ابراهيم بن ابي الدم (ت ٦٤٢هـ) وقد اشار إليه ابو الفداء في مختصره فقال : توفي القاضي شهاب الدين ابراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم علي بن محمد الشافعي عرف بابن ابي الدم قاضي حماة وكان قد توجه رسلاً الى بغداد فمرض في

١ - نفس المصدر ٣٩٤ (كراتشكوفسكي) ج (٢) تاريخ الأدب العربي ج (٦) : ١٤٨
٢ - انظر مقدمة القطعة المنشورة من «مضمار الحقائق وسر الخلائق» وانظر المختصر ج ٣ : ١٢٦ وابو شامة ذيل الروضتين ١٢٤ : بروكلمان ج ٦ : ٤٢ - ٤٣ ، التاريخ العربي والمؤرخون ج ٢ : ٢٤٨ - ٢٥٠

المرة وعاد الى حاة مريضاً فتوفي بها وهو الذي الف التاريخ الكبير المظفري^(١)
ويذكر د. سهيل زكار انه وقف على عدة نسخ خطية منه وعلى ترجمة فارسية له^(٢).

وقد عرف ابن ابي الدم بالتزامة العلمية والف كتاب ادب القضاء وكتاب الدرر المنظومات في النقة
الاسلامي وتاريخ النبي محمد صل الله عليه وسلم والخلفاء الى سنة ٦٢٨هـ / ١٣٢١م وكتاب تدقيق
العناية في تحقيق الرواية وكتاب الفرق الاسلامية وغيرهم =

٣ - ابو الفضائل محمد بن علي بن نظيف الحموي : ولا نعرف عن حياته الكثير ويفهم من نسبة الذي
دونه هو عن تاريخه والعبد المملوك ابو الفضائل محمد بن علي بن عبد العزيز بن علي بن مزهر بن
بركات بن علي بن نظيف الحموي الكاتب الملكي المجاهدي، فهو حموي ونسبه يعود للملك المجاهد
صاحب حمص ودون على كتاب آخر له على انه كان يشغل منصباً رفيعاً عام ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م وهو كاتب
الحافظ بن عادل صاحب قلعة جعبر ووزيره وانه كان يسند إليه المهام الجسيمة . ثم يقول عن نفسه انه
اعتقل لفترة . ثم نجده يقيم بحمص ومن ثم يعود الى حاة لخدمة وزير صاحب حاة الامير الاسنهلار
سيف الدين علي بن ابي علي الملباني ولا نجد ما يشير الى حياته بعد ذلك . الا انه من المؤكد ان وفاة
الوزير المذكور كان عام ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م . ويستفاد من اشارات دونها معاصروه انه كان شاعراً ايضاً .
وترك ابن نظيف ثلاثة كتب في التاريخ لم يصلنا منها سوى اثنين الاول «غنصر الاوائل والملوك ووسيلة
العبد المملوك» وقد قدمه للوزير المذكور في حاة وهو عبارة عن تاريخ غنصر من ابتداء التناسل الى الهجرة
النبية وما تمهد بعدها من الحوادث والوقائع والكوارث بشكل غنصر جداً .

كذلك له التاريخ المنصوري وهو ملخص لكتابه المفقود «الكشف والبيان في حوادث الزمان» .

والمهم من كتابه «التاريخ المنصوري» الجزء الواقع ما بين ستي (٥٨٩ - ٦٣٠)هـ وقد نشره ابراهيم
دودوعام ١٩٨٢ في مجمع اللغة العربية بدمشق وكان قد سبق ونشر في موسكو^(٣).

١١ - جمال الدين ابو عبد الله محمد بن سالم بن واصل (٦٠٤ - ٦٩٧)هـ (١٢٠٧ - ١٢٩٨)م
واصله من حاة مارس التدريس فيها فقد اشتهر بفقهه وبالفلسفة والرياضيات والفلك ثم استدعاه
الظاهر بيبرس الى القاهرة (٦٥٩هـ) واوفد بمهمة رسمية الى ملك صقلية (منفرد) . وبعد عودته عين
قاضياً للقضاة ومدرساً في حاة في المدرسة العادلية .

وقد اشتهر بكتابة «مفرج الكروب في اخبار بني ايوب» وتاريخه يعتبر من نوع تواريخ «فترة معينة»
اذ حصره باخبار بني ايوب . والكتاب من نوع الخوليات ايضاً المسير .

(١) المختصر ج ٣ : ١٧٣ . كتاب ادب القضاء : ١٨

(٢) مهرجان ابي الفداء : ٥٣

(٣) كتاب ادب القضاء : ٢١ - ٢٢

(٤) انظر مقدمة التاريخ المنصوري نشر مجمع اللغة العربية ، بروكلمان ج ٦ : ١٥٠ / التاريخ العربي والمؤرخون

ج ٢ : ٢٥٥ - ٢٥٨

ويصف الكتاب بروكلمان بأنه من ثلاث مجلدات. وقد شُرعَ بنشره في القاهرة منذ سنوات عديدة ولم يكمل حتى الآن على الرغم من أن أكثر من محقق قد عمل به . وأن له ذيلًا يكمله حتى سنة ٦٩٥ / ١٢٩٦ وضعه علي عبد الرحيم بن أحمد كاتب ومولى الملك المظفر وهو موجود في باريس وقد صدرت أربعة أجزاء من كتابه (تخالف ترتيب المجلدات) عن مصر . الثلاثة الأولى بتحقيق المرحوم جمال الدين الشيال والرابع بتحقيق حسنين ربيع

ويذكر بروكلمان للكتاب مختصراً من وضع قره طاي الغزي الخزنداري . كذلك يذكر بروكلمان لابن واصل كتاباً تاريخياً آخر هو «التاريخ الصالح» وذلك من بدء الخليقة إلى موت الحسن . موجود في المتحف البريطاني وفي تركيا . ويذكر بروكلمان له كتباً أخرى، منها «شرح المقصد الجليل لابن الحاجب» و «الامبرورية» وهي مختصر في المنطق الفقه للملك ما نفريد ملك صفلية ونشره بالشرق بعنوان «نخبة الفكر في المنطق» كذلك «تجريد الاغانى» . (١) .

■ - علي بن عبد الرحيم بن أحمد
أقننا إنه كاتب ومولى الملك المظفر صاحب حاة وذكر بروكلمان أنه وضع ذيلاً لكتاب ابن واصل «مفرج الكروب في اخبار بني ايوب» وقد اورد الحوادث حتى سنة ٦٩٥ هـ / ١٢٩٦ م وخطوطه في باريس (٢)

٦ - ابو الفداء

وهو علم اعلام مؤرخي هذه الفترة واعظم مؤرخي حاة على الاطلاق اشتهر بكتابه المختصر في اخبار البشر . الذي درس فيه تاريخ ما قبل الاسلام ثم تاريخ العرب المسلمين الى سنة ٧٢٨ هـ والكتاب عبارة عن مختصر لكتاب ابن الاثير وغيره من كتب تقدمته ، وذيل لكتاب ابن الاثير اعتباراً من وفاته سنة ٦٣٠ وحتى عام ٧٢٨ هـ . والمهم في الكتاب الحوادث التي عاشها ابو الفداء وارخ لها . والكتاب ايضاً دون على طريقة الحوليات (٣) ويعتبر مصدراً هاماً عن الفترة الايوبية .

ولا يبي الفداء ايضاً كتاب «التبر المسبوك في تاريخ الملوك» وقد ورد في فهرس دار الكتب المصرية . ونسختها ناقصة تبتدىء من سلطنة «شمس الملوك دقاق السلجوقي» المتوفى ٤٩٩ هـ / ١١٠٥ م وفيها تواريخ الممالك الترك والجراسية سلاطين مصر والشام وقد كتب عن كل منهم اهم اخباره . كذلك لا يبي الفداء كتاب «مختصر اللطائف السنية في التواريخ الاسلامية» والكتاب بالاساس «لفخر الدين عثمان المعروف بالعدولي الحمصي» اختصره ابو الفداء في مجلد صغير وذكر انه اختصره

(١) بروكلمان ج ٦ : ٣٢ - ٣٣ . مقدمة مفرج الكروب . المدخل الى التاريخ : حاطوم . عاقل . طرين . مدني : ٢٨٩

(٢) بروكلمان ج ٦ : ٣٣

(٣) مهرجان ابي الفداء وفي عدة مقالات تذكر كتابه واثره في التاريخ . المدخل الى التاريخ : ٢٨٠ وما بعدها .

استناداً لتاريخ الذهبي وابن عساكر وابن كثير وغيرهم وفيه حوادث من سنة ٧٢١هـ / ١٣٢١م وقد ذكره
حاجي خليفة في كشف الظنون^(١) .
وكما سلف القول يستحق أبو الفداء أن يفرد له رسالة خاصة ، وعليه اكتفي بالعرض الموجز .

في الادب

- في الشر وعلوه اللغة

١ - ولعل أهم علماء اللغة والنحو في بلاد الشام ابن مالك جمال الدين محمد بن عبد الله الشافعي الجبلي
الطائي وهو صاحب الالفية المشهورة واسمها «تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد التي نظمها في حياة وله
الكثير من النظم والكتب منها الكافية الشافية ، وغتسرها ، وتسهيل الفوائد وغتصره بالتسهيل وكتاب
العبرة واكمال الاعلام بمثلث الكلام ، وفعل وافعل ، وغير ذلك كثير
وقد اقام بحياة فترة وتوفي بدمشق سنة ٦٨٦هـ^(٢) .

وذكر الفطحي من النحاة من وردوا حماة او ان اصلهم منها :
٢ - محمد بن ابي محمد بن محمد بن ظفر :

وهو مكّي الاصل مغربي المنشأ اقام بحياة وأتمه طلاب العلم وصنف كتباً كثيرة وفسر القرآن في كتابه
«النبوع» . ودخل صقلية سنة أربع وخمسين وخمسمائة وصنف بها كتاب «سلوان المطاع في عدوان
الاتباع» .

وقد اطلق له نور الدين عمود في كل شهر سبعين قرطاساً يكون عليها سبعة دراهم فضة في كل
شهر . وقد اشتهر باسم «الحجة» .

وقد توفي بحياة في سنة ٥٦٧ او ٥٦٨هـ^(٣) .

٣ - الحسين بن حميد الحسين الحموي المعري النحوي :

وهو من اصل حموي نزىل مصر وكان ضريباً وكان له حلقة في جامع عمرو بن العاص بمصر لاقراء
الحديث والنحو . وكان ثقة وله نظم من الشعر^(٤) .

(١) كشف الظنون وحسب اسم الكتاب ايجدياً . مهرجان ابي الفداء : ٢٤٤ - ٢٤٩

(٢) النجوم الزاهرة ج ٧ : ٢٤٤ / الادب في العصر المملوكي ج ٢ : ١٥٥ - ١٥٦ . بروكلمان ج ٢٧٥٥ - ٢٩٦

(٣) انباء الرواة ج ٣ : ٧٤ - ٧٦ .

(٤) انباء الرواة ج ١ : ٣٢٢

٤ - ابو حسان الضرير التدمري المقرئ النحوي :

من اهل تدمر من بني جرير بن عامر عمل في تدمر وحماة زمن صلاح الدين وله شعر مديح لصلاح الدين^(١)

ويورد المرحم احسان العظم بعض العلماء والمدرسين الذين عاصروا ابا الفداء في حماة :

٥ - «محمد بن قاضي بارين بدر الدين الشافعي انفاضل المفتي ، كان عارفاً بالحنافي الصغير ويعرف نحواً واصولاً وعنده ديانة وتكشف توفي سنة ٧٣٨هـ .

٦ - الامام البارع بدر الدين ابو عبد الله الحموي المعروف بابن النحوية ، وكان رأساً في العربية والمعاني والبيان ، خيراً كيساً متواضعاً وقوراً ...

مات في صفر سنة ٧١٨هـ . اختصر المصباح تأليف ابن مالك وله «اسفار الصباح عن ضوء المصباح» وشرح ايضاً الفية ابن المعطي باسم «حرز القوائد وقيد الاوابد» .

٧ - موسى بن بصيص المجود الكاتب ، شيخ الكتابة بزمانه ولد بحماة سنة ٦٥١هـ وكان بارعاً في الخط وكتب الاقلام كلها ثم اخترع قلماً سماه «المعجز»^(٢)

واخيراً فقد عرف عن ابي الفداء نشاطاته وتأليفه في النحومنها كتابه :

كتاب الكتاش : وهو مجلدات كثيرة الاول منه مخطوط موجود في «دار الكتب المصرية» يشتمل على علم النحو والصرف الف سنة ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م .

وكتاب «شرح نظم الكافية» وهو شرح لكتاب «الكافية» في النحو للشيخ جمال الدين ابي عمرو عثمان المعروف بابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م قام ابو الفداء بشرح الكافية عام ٧٢٢هـ / ١٣٢٢م .

- في الشعر :

شهدت حماة في ظل البيت التقوي الايوبي نهضة ادبية رائدة وكان للشعر منها النصيب الاكبر فكثر شعراء البلاط وندماؤه من اهل حماة او ممن شدوا الرحال الى بلاط ملوكها يمدحون وينشدون متكسبين تارة . مستظلين بامنهما تارة اخرى .

ويضيئ المقام عن ذكر كل الشعراء الحمويين والوافدين الى حماة فنكتفي بالاشارة الى اهمهم :

(١) انباء الرواة ج ٤ : ١١٠

(٢) مهرجان ابي الفداء مقال احسان العظم : ١٨١ - ١٨٢ .

١ - الملك بقي الدين عمر صاحب حماة
وهو مؤسس مملكة حماة الايوبية والفارس الشجاع في الحروب وقد شبهه تاج الدين الكندي
(جامع ديوانه ونديمه) «بسيف الدولة بن حمدان وبني عمه او عضد الدولة ابن بويه واقاربهم» وذلك لجسمه
الملك والسلطان مع الشعر والادب .

وسبب نظمه الشعر كما يقول العماد الاصفهاني كان «يجالس العلماء ويثاقن الالباء ويتانث
الادباء» ولكثرة امتزاجه بهم ، نظم الشعر طبعاً ، ولم يميزه نسباً ورفعاً .
وقد جمع تاج الدين الكندي ماثي بيت من شعره وذلك بعد ان هذب الشعر وضبطه وقومه لتقي
الدين عمر تقريباً منه . ثم قام العماد الاصفهاني بايراد الشعر في كتابه خريدة القصر وجريدة العصر في
جزئه المتعلق بشعراء دمشق والشعراء الامراء من بني ايوب^(١) .
وقد وصف العماد شعره قائلاً «اشعار الملوك ملوك الاشعار» .

٢ - بهاء الدين أسعد يحيى السنجاري^(٢) :
كان ممن التحق بخدمة الملك المنصور محمد صاحب حماة ورافقه في حله وترحاله وقد نقل عنه
صاحب مفرج الكروب بعضاً من شعره في مدح الملك المنصور بعد معركته مع الفرنج في أواخر القرن
السادس الهجري ٥٥٩ هـ .
٣ - سالم بن سعادة الحمصي^(٣) :

وهو ايضاً من حاشية صاحب حماة الملك المنصور محمد وقد نقل صاحب مفرج الكروب في اخبار
بني ايوب بعضاً من شعره في مدح الملك المنصور بمناسبة ولادة ابنه في أواخر القرن السادس الهجري
(٥٩٩ هـ) .

كذلك نقل قصيدة مدح فيها الملك المنصور بعد انتصاره على الفرسان الاسبارتيين في معركته

مهم^(٤)

(١) خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء دمشق والشعراء الامراء من بني ايوب : ٨٠ - ١١٢ .

(٢) مفرج الكروب : ١٤٣ .

(٣) مفرج الكروب : ١٤٧ .

(٤) مفرج الكروب : ١٤٩ .

٥ - ابو الحسين أحمد بن منير بن أحمد بن مفلح مذهب الدين (الملك) الطرابلسي

ولد سنة ٤٧٣هـ / ١٠٨٠م في طرابلس وكان شيعياً سجنه صاحب دمشق «بوري بن طغتكين» مدة بسبب هجائه ثم نفاه وسمح له بالعودة اسماعيل بن بوري. غير انه سرعان ما اغضبه لذلك اضطر للهرب والاختفاء فعاشر في حماة وشيزر وحلب مدة .

٥ - ابو محمد عبد العزيز بن عبد المحسن بن محمد بن منصور بن خلف الدمشقي المعروف بـ (ابن الرفاء) وهو شيخ شيوخ حماة . الملقب شرف الدين (او الشريف) الانتصاري ولد سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م كان ابوه من سكان كفر طاب وبعد هجوم الفرنج والروم عليها هجرها ابوه الى دمشق ثم انتقل الى حماة وولي اوقاف الملك المنصور محمد. وقد نشأ شرف الدين في نزل ملك حماة الملك المنصور محمد. عاشر معظم عمره في حماة مادحاً المدينة وملكها الملك المنصور محمد. وبعد وفاة الملك المنصور انحاز شرف الدين الى ابنه صاحب الحق في الوراثه الملك المظفر الثاني من قلعج ارسلان مفتصب العرش .

وبعد وفاة الملك المظفر الثاني عين شرف الدين على رأس مجلس اوصياء الحكم على ولي العهد الملك المنصور الثاني الذي تولى الملك وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره. وبقي شرف الدين في منصبه هذا الى ان بلغ الملك سن الرشد وتسلم الملك .

ونجده ايضاً يتدخل في الخلاف الذي نشب بين الملك المنصور الثاني واخيه الانضل اثر وفاة ام المنصور غازية خاتون فيتوسط بينهما وينهي الخلاف .

وقد كان ملوك حماة يعتمدون وزيرهم شرف الدين. وبلغ ارفع المناصب. وحمل مهام السفارة في احلك الظروف بين ملوك الشام ومصر .

وقد توفي ايام الملك المظفر الثالث عام ٦٦٢هـ / ١٢٩٦م ودفن بظاهر حماة . وقد اشار الاقدمون الى كثرة شعره قائلين «وشعره كثير لا يحصيه ديوان» وذكر ابن نباتة المصري الى وجود ديوان له اختار من جملته وكذلك فعل ابن حجة الحموي . وتوجد نسخة من ديوانه بخطه في مكتبة بيازيد في استنبول .
واشار الصفيدي الى وجود ديوان آخر في لزوم ما لا يلزم . وأشار صاحب كشف الظنون لمؤلفات اخرى لشهاب الدين .^(١)

٦ - التلعفري شهاب الدين ابو المكارم محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة الشيباني :

ولد في الموصل سنة ٥٩٣هـ / ١١٩٧م وكان كطبا اكتسب شيئاً من المال من الملك الاشرف صاحب الموصل بعد ان يمده بشعره يذهب ليقامر به. حتى قيل انه قامر بقسيمه ونعليه. وكان هذا دأبه ايضاً في حلب ودمشق بعد ان طرد وذهب اليهما . ووجد ملجأه الاخير في مقر صاحب حماة الملك المنصور الثاني

(١) بروكلمان ج ٥ : ٤٧
(٢) محاضرات في الادب المملوكي والعثماني : عمر موسى باشا : ٤٥ - ٧٧

محمد . وقد لقي عنده الحفاوة والاكرام وحسن حاله بعد ان اغدق عليه العطاء وتوفي في حماة سنة ٦٧٥هـ / ١٢٧٧ م .
وله ديوان شعر قال عنه ابن تغري بردي «ديوان شعره لطيف في غاية الحسن وهو موجود بأيدي الناس» .^(١)

ونذكر من الشعراء الذين هم من اصل حموي او من نزلوا حماة :

ابن قسيم الحموي المتوفى عام ٥٤٣هـ / ١١٥٧ م وابن رواحة ابو علي الحسين المتوفى عام ٥٨٥هـ / ١١٨٩ م وابراهيم بن محمد قرناص المتوفى عام ٦٧١هـ / ١٢٧٣ م وعبي الدين بن قرناص المتوفى عام ٦٧٤هـ / ١٢٧٤ م والاثير الابري عبد الرحمن بن عمر وقد كان طبيباً بارعاً ايضاً .

الشعراء المشهورون الذين زاروا حماة ومدحوا ملوكها :

١ - ابن نباتة المصري : وهو ابو بكر جمال الدين بن محمد ولد في القاهرة عام ٦٨٦هـ / ١٢٨٦ م ولد من اسرة عرفت بالعلم والدين والادب . وانكب على الدراسة والتحصيل ونبع قبل ان يكمل العشرين من عمره . عاش عشر سنوات (حتى الثلاثين من عمره) في مصر دون ان يصادف حظاً . لذلك ارتحل الى الشام واتصل بالملك المؤيد صاحب حماة حوالي عام ٧١٦هـ . وبعد وفاة المؤيد اتصل بابنه الملك الافضل وشيخه من الامراء وعمل لديهم في بعض الوظائف الادارية ، ثم عاد للقاهرة عام ٧٦٠هـ / ١٣٥٨ م وتوفي فيها عام ٧٦٨هـ / ١٣٦٦ م عن عمر يناهز الثمانين . ويعتبر من اكبر شعراء عصره . وله ديوان ضخم وعدة مؤلفات .^(٢)

٢ - صفى الدين الحلبي :

وهو صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الطائي ولد في العراق سنة ٦٧٧هـ / ١٢٧٨ م وقد نبغ في الادب والفكر وقال الشعر وعمره سبع سنوات . ارتحل من الحلة الى ماردين حيث استقر فيها فترة ثم ذهب للحجاز وزار القاهرة ثم عاد الى الشام حيث استقر في حماة عند الملك المؤيد ابي الفداء الذي كرمه كثيراً . وشهد يوم وفاته فرائه بعدة قصائد وهنا ابنه الافضل بارتقائه العرش ثم غادر حماة الى بغداد ومات فيها عام ٧٥٠هـ / ١٣٤٩ م .
وقد ترك ديواناً ضخماً هو مختارات من شعره وليس جميعه وله عدة رسائل ومؤلفات ومجموعات شعرية^(٣)

(١) النجوم الزاهرة ج ٧ : ٢٥٧ ، عمر موسى باشا : ٧٨ - ١٠٣ . بروكلمان ج ٥ : ٥٥ - ٥٦ .
(٢) مجلة الممران عدد حماة : ٢٩ - ٣٠ : ١٧٤ الحركة الفكرية في مدينة حماة قديماً وحديثاً : عدنان قبطاز .
(٣) مهرجان ابي الفداء مقال وليد قنبلز : ١٩١ ومقال العظيم : ١٧٨ - ١٧٩ .
(٤) نفس المصدر : ١٩١ - ١٩٢ ومقال العظيم ايضاً : ١٧٩ .

فنون البناء والابنية في مملكة حماة الايوبية :

تأثرت حماة في فترة حكم الاسرة النورية فيها بمظاهر ثلاثة تيارات فنية متوالية . كانت الاولى سلجوقية وقد بدأت قبل انتقال السلطة للبيت النوري في حماة . وكانت ثاني التيارات التيار الفني الايوبي واخيراً المملوكي .

وقد كان الاطار العام لفترة الحكم السلجوقي والايوبي: بناء المدارس لاهياء المذهب السني، والعمارات العسكرية، وحروب الصليبيين :

وقد تميز فن البناء السلجوقي بخصائص عامة جمعت ما بين العادات الموروثة في البلاد والتأثيرات الخراسانية والعراقية التي رافقت السلاجقة قبل وصولهم للشام ، وكانت التجديدات التي أحدثها هذا التيار ظهور المدرسة كمؤسسة ثقافية ومعمارية جديدة . وظهرت الخانقانات كنماذج للصوفية . والبيمارستانات لتقوم بدور المستشفيات ومدارس الطب، واتخذ الاهتمام بالدفاعات والتحصينات واشاء القلاع واسوار المدن القسط الاكبر من العناية .

واهم ما يميز عمائر هذه الفترة احتواؤها على اووين ذات عقود حجرية واسعة مفتوحة مع وجود بركة ماء في وسط الباحة . واصبحت القباب محمولة على حنايا ركنية في زوايا الغرف او على المقرصنات التي استخدمت لأول مرة في المباني كعنصر معماري وزخرفي بأن واحد .

وقد وصلت هندسة العمارة اوجها في هذا العصر في زمن نور الدين ، وكان له في حماة الجامع النوري والبيمارستان النوري وكلاهما وان كانا لا يدخلان مباشرة في اطار دراستنا الا ان لهما دوراً كبيراً في الحياة العامة للفترة التي ندرسها سواء من الناحية الفنية أو العلمية أو الحضارية .

فجامع نور الدين الذي بناه الملك العادل نور الدين سنة ٥٥٨هـ / ١١٦٢م وفيه مثلثة مربعة الشكل وهو يحوي منبراً خشبياً يعتبر من روائع الفن الاسلامي في العالم . أما البيمارستان النوري : فهو مستشفى حماة ومدرسة الطب فيها وهو يقع الى جوار جامع نور الدين وقد تهدم وبقيت منه آثار ضئيلة^{١١} اما التيار الايوبي وهو التيار النوري في دراستنا فقد تميز اسلوبه باستمرارية اسلوب التيار السلجوقي مع بعض التبدلات .

فقد شهدت حماة في العصر الايوبي حركة عمرانية لامثيل لها بسبب استقرار الحكم فيها بظل البيت النوري وتوسعت المدينة باضافة مساحات جديدة لها وتم تجديد القلعة وتم تحويل طريق دمشق حلب عن شكله ومسراه القديم .

واحكمت اسوار المدينة والقلعة عدة مرات . واقامت المدارس الكثيرة والخانقانات والدور الكبيرة والاضرحة ذات القباب والحمام المعروفة بحمام السلطان ، وينسب على العمارة الايوبية بشكر عام

(١) العمارة العربية الاسلامية خصائصها وأثارها في سورية . عبد القادر الرحاوي ص ٩٩ - ١٠٧

استخدامها للعناصر المعمارية القديمة وبقايا الآثار العمرانية المتهدمة ، ثم تغلب على طرزها البساطة والتكشف. وذلك بسبب حالة الحرب مع متانة وقوة واتقان في التخطيط والبناء . وهي تعتمد على الحجر المنحوت والمستخدم بمقاييس كبيرة ، وكثرة استخدام القباب في الابنية . وفي العمارة العسكرية كان لها اعتناء بالابراج والاسوار .

وتتميز العمارة الايوبية بالاعتناء بالواجهات التي تكون حجرية والابواب قصيرة الطول عموماً يكاد تقتصر الزخرفة فيها حيث نجد المقرنصات والحجارة الملونة ونجد في الابواب اشربة كتابية مزينة بالخط النسخي و (الثلاث الجميل) تبين اسم صاحب البناء وتاريخ البناء^(١) .

اما التيار الثالث فهو المملوكي الا ان تأثيره على الفترة التي ندرسها ضعيف بسبب ان الفترة المملوكية عامة في سوريا امتدت عدة قرون ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م - ٩٢٢هـ / ١٥١٦م بينما كانت الفترة المملوكية التي ندرسها في حماة هي اقل من قرن ٦٥٨ - ٧٥٢ . ومع ذلك فقد اتسمت العمارة المملوكية بازدهار النهضة العمرانية التي بدأت منذ عهد نور الدين حتى العهد الايوبي مع تطور وعنى في العناصر المعمارية والزخرفية بعد ان انتهت حياة التقشف الناتجة عن الحروب الصليبية واثارها السلبية . لذلك اخذت المباني تزخر بالزينة من الداخل والخارج واخذت المظهر يغطي على التخطيط والتنفيذ شكراً وقالاً ، وقد قلت الابنية الضخمة لتظهر الابنية الصغيرة ونجد تشابهاً في المنشآت في المدينة الواحدة مع اختلافها بين مدينة واخرى . وقد زاد الاعتماد على الاقواس والقباب وكثرة المآذن حتى زودت بها بعض المدارس التي لم تكن جوامع اساساً . كثرت العناصر الزخرفية سواء منها الحجرية او الخشبية وظهر عنصر التلوين سواء في نوع الحجر واللوانه أو في الصباغات الداخلية لكسوة الابنية .

وان اهم المنشآت الايوبية المتبقية في حماة هي :

بعض العناصر المضافة والمحدثة من الجامع الكبير ومنها المنبذة الشمالية والمنبر وعضائد الحرم .
وتربة تضم ملبحين هما تربة وقبر الملك المنصور محمد المتوفى ٦٨٣ / ١٢٨٤ وقبر الملك المظفر عمرد المتوفى ٦٩٨ / ١٢٩٨ .

٢ - مسجد ابي الفداء وقربه وقد شرحناه في الفصل المتعلق بابي الفداء^(٢) .

١ - دار الوزير أو دار الاكرام في باب المغاور وقد حولت الى مدرسة عرفت باسم الخاتونية

٢ - دار المآزر : انشأها مبارز الدين آقوش اذ جعلها لضيافة الملوك

-
- (١) العمارة العربية الاسلامية : خصائصها وآثارها في سوريا : د عبد القادر الرجاوي : ١١٥ - ١٢١
(٢) العمارة العربية الاسلامية : خصائصها وآثارها في سوريا : عبد القادر الرجاوي : ١٥٧ - ١٦٧ ، ١٩٤ - ١٩٥
وانظر ايضاً مجلة العمران عند حلة (٢٩ - ٣٠) مقال كامل شحادة ٩٨ - ١١٥ ومقال عدنان المنشي ١١٦ - ١٣٤ ومقال عبد الرحيم المصري ٧٢ - ٨٧ . وانظر ايضاً مهرجان ابي الفداء مقال احسان العظم : ١٦٥ - ١٦٨ وانظر تاريخ المسر الايوبي امينة بيطار : ٢٠١ - ٢١٦ ، تاريخ الممالك عادل زيتون : ٢١٠ - ٢١٣

٣ - دار السعادة : وقد انشأها الملك المظفر محمود غرب العاصي جانب حمام السلطان سكنها ابو الفداء في اول عهده .

٤ - حمام السلطان عند جامع نور الدين الشهيد وقد انشأه الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين صمر

٥ - القصر والقبة العليا وهما دار لامي الفداء تم بناؤهما عام ٧٢١ هـ ذكرنا وقد بيعت انتقاضها عام ١٦٧٩م

٦ - دار الضيافة المسماة بالطيارة الحمراء شرقي الجامع النوري وذكرها ابو الفداء في مختصره .

٧ - دار الفرح : في محلة باب الجسر وكانت وقفاً للافراح والاعراس .

٨ - دار السلطان حسن : شقيق ابي الفداء وتقع في محلة الحسينة التي تنسب إليها .

٩ - خمس قاعات لآل قرناص قرب مسجد ابي ذر .

كذلك يعود لهذه الفترة الكثير من المدارس سنأتي على ذكرها في بحث الحياة الثقافية في مملكة حماة الايوبية^(١) . ولم تقتصر آثار ايوبي حماة على مدينة حماة فقط بل امتدت الى سائر انحاء المملكة الحمورية ونذكر على سبيل المثال ما ينسب الى هذا العهد في المرة .

١٠ - الجامع الكبير : وهو قديم إلا أن أهم ما فيه مثنته الايوبية الجيدة البناء والتي تشبه يهندستها وزخرفها مثنته الجامع الكبير بحلب وهي مربعة الشكل بالغة الارتفاع بنيت سنة ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م في عهد الملك المنصور .

١١ - المدرسة الشافعية : وقد بنيت ايضاً من قبل المنصور نفسه وبتمس العام وهي جيدة البناء مزودة بالنقوش والكتابات . وفيها حرم تتوسطه قبة حجرية وتربة^(٢) .

١٢ - خان السيل داخل قرية تسمى باسمه وتقع شمالي بلدة معرة النعمان بين عام ٧٣٣هـ/ ١٣٧٢م كما تشير الكتابة المنقوشة عند الباب ، وبوابته حصينة متقنة البناء يعلوها قوس وفوق الباب توجد آثار روشن دفاعي^(٣) .

١٣ - بينما يذكر في ذيل تاريخ ابي الفداء (المختصر) بان صارم الدين ازبك المنصوري الحموري بنى خاناً للسيل بمعرة النعمان شرقيها وعمل عنده مسجداً وسبيلاً للماء^(٤) .

(١) مهرجان ابي الفداء مقال احسان العظم : ١٦٥ - ١٦٦ ، مجلة الممران حماة (٢٩ - ٣٠) مقال عبد الرحيم المصري : ٨٧ - ٧٢

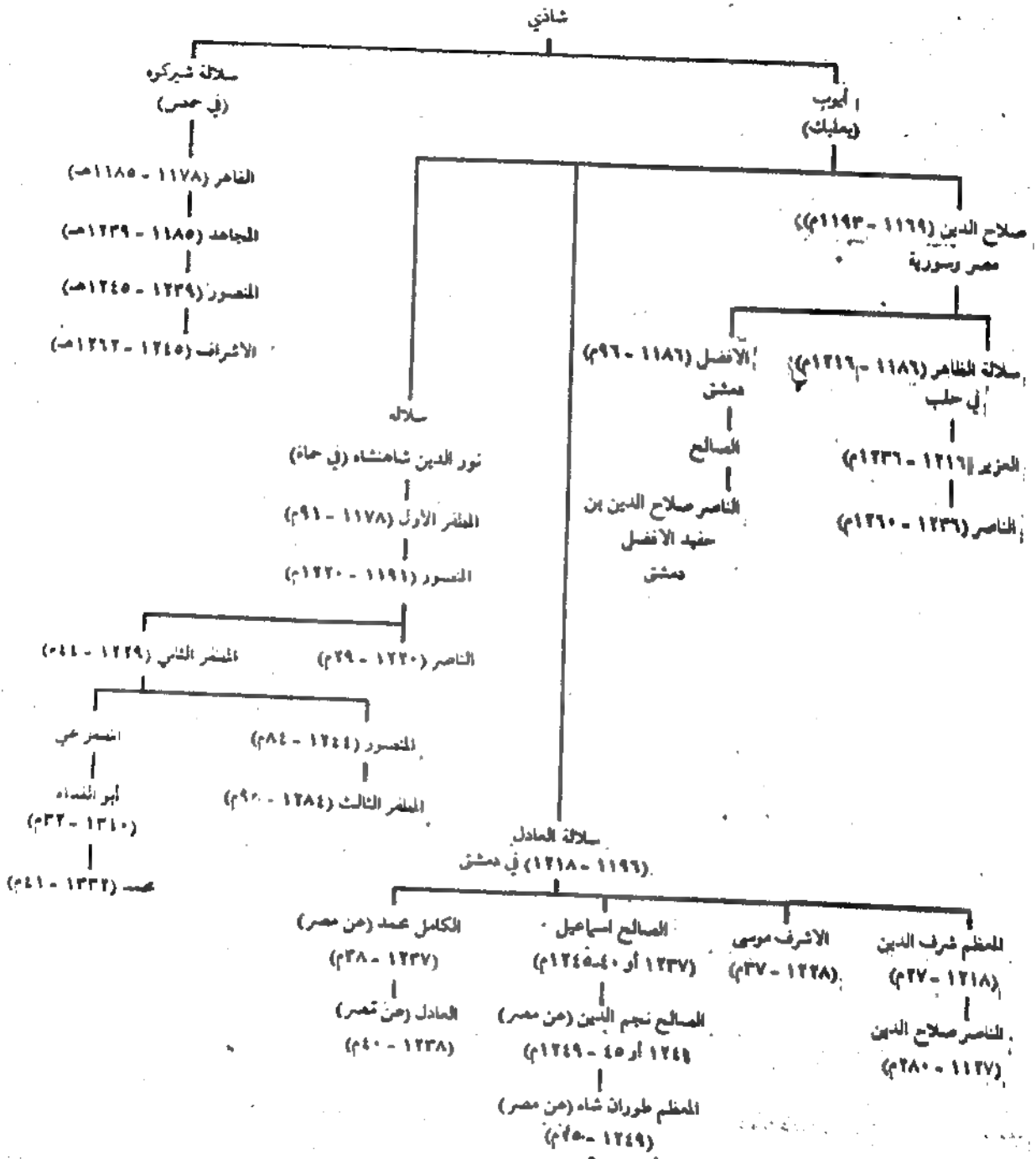
(٢) المهارة العربية الاسلامية خصائصها وآثارها في سوريا عبد القادر الرحاوي : ١٤٥

(٣) نفس المصدر ص ١٩٦

(٤) المختصر ج ٤ : ١١٩

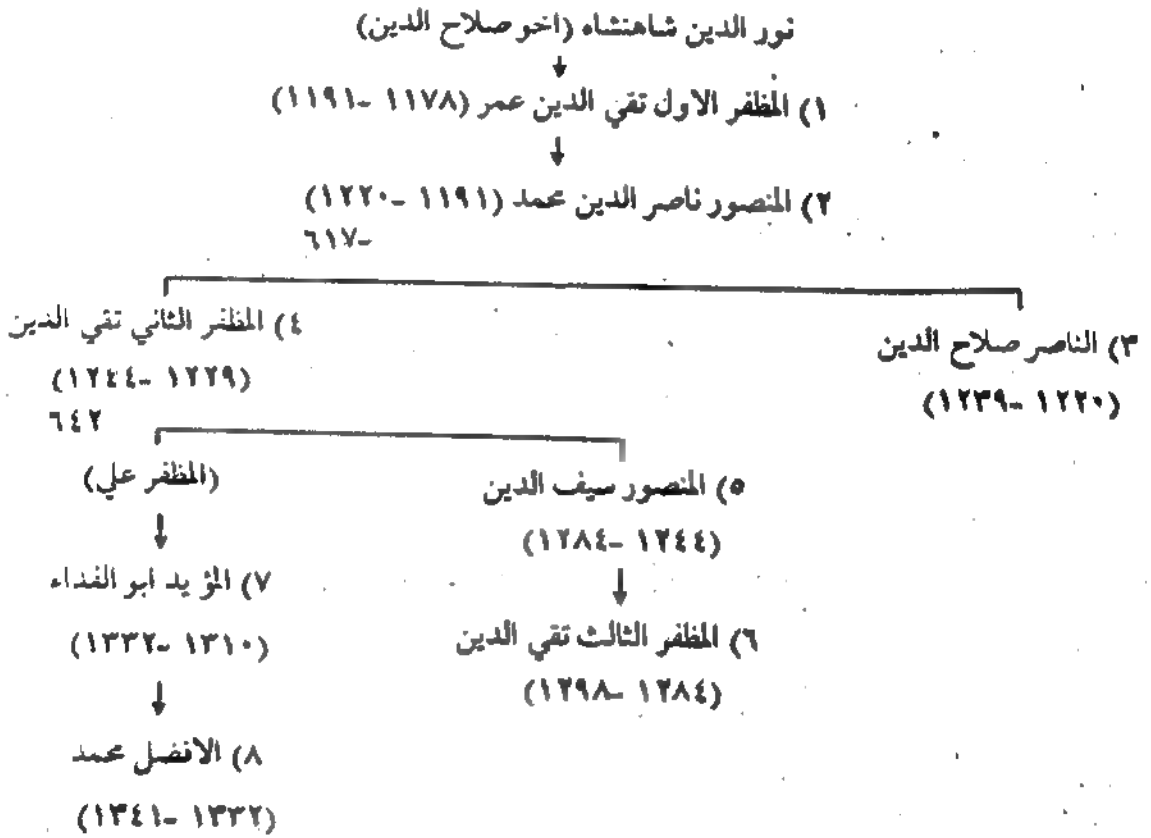
الملحق (١)

الشجرة الايوبية



الملحق (٢)

شجرة نسب ملوك الايوبيين في حماة



عن فيليب حتي تاريخ سوريا ولبنان
وفلسطين ج ٢ ص ٢٦٥

الملحق (٣)

رحلة ناصر حزو إلى حماه في القرن الخامس الهجري^(١)

وفي الخامس عشر من رجب سنة ٣٣٨ (١٥ يناير ١٠٤٧) سرنا إلى كوريمات ، ومنها إلى حما . وهذه مدينة جميلة عامرة على شاطئ نهر العاصي . ويسمى هذا النهر بالعاصي لأنه يذهب إلى بلاد الروم . فهو يخرج من بلاد الإسلام ليدخل بلاد الكفر . وقد نصبوا عليه سواقى كثيرة . ومن حما طريقان ، أحدهما بجانب الساحل غرب الشام ، والآخر في الجنوب وهو ينتهي إلى دمشق . فسرنا عن طريق الساحل . وقد رأينا في الجبل عيناً ، قيل إن ماءها يتفجر في الثلاثة أيام التالية لنصف شعبان من كل سنة ، ثم ينضب فلا يخرج منه قطرة واحدة حتى السنة التالية . ويذهب الكثيرون لزيارة هذه العين تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى ، وقد بنيت هناك عمارات وأحواض^(٢) . ولما سرنا من هناك بلغنا سهلاً كساء النرجس ثوباً أبيض . وذهبنا بعد ذلك إلى مدينة تسمى عرقة . وبعد مسيرة فرسخين منها بلغنا شاطئ البحر فتهناه ، ناحية الجنوب ، حتى بلغنا مدينة طرابلس بعد مسيرة خمسة فراسخ .



(١) عن سفرنامه : ترجمة د. يحيى الخشاب - دار الكتاب الجديد

الملحق (٤)

حماة في رحلة بنيامين التطيلي الاندلسي
التي عاد منها الى قشتالة في الاندلس عام ٦٥٩هـ / ١١٧٣م
والتي تمت ما بين (٥٦١ - ٥٦٩)هـ
(١١٦٥ - ١١٧٣)م

حماة : هي بلدة «حمت» الواردة في التوراة على ضفاف نهر ييوق (وقد اخطأ بنيامين في اسمه كما ورد في حاشية شرح الكلمة في أصل الكتاب) في سفح لبنان . وقد أصابها هزة أرضية (الزلازل العظيم سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧) منذ عهد قريب اهلكت خمسة عشر ألفاً من سكانها بيوم واحد . فلم يبق منهم الا سبعون نفساً . وفي هذه المدينة من العلماء الربيون علاء الكاهن والشيخ ابو غالب وغنار . وهي تبعد مسيرة يوم عن شيزر .^(١)



(١) «رحلة بنيامين» رحلة بنيامين بن يون التطيلي الاندلسي (٥٦١ - ٥٦٩هـ) (١١٦٥ - ١١٧٣م) ترجمة عزرا حداد طبع

ببيروت ١٩٤٥م ص ١٢٠ - ١٢١ .

- يلاحظ المترجم المحقق ان اسماء الواردين في حماة عرب ويستغرب ذلك .
- يلاحظ ان النص . ورد بعد الزلازل باربعة عشر سنة .

الملحق (٥)

حماة في رحلة ابن جبير الاندلسي

ذكر مدينة حماة

مدينة شهيرة في البلدان ، قديمة الصلبة للزمان ، غير فسيحة الفناء ، ولا رائحة البناء . انقطارها مضمونة ، وديارها مركومة . لا يهش البصر اليها ، عند الإطلال عليها . كأنها تكن بهجتها وتخليها ، فتجد حسناتها كامناً فيها ، حتى إذا جئت خلالها ، ونقرت ظلالها ، ابصرت بشرقيها نهراً كبيراً ، تنبع في تدفقه أماليه ، وتتناظر بشطيه دواليه ، قد انتظمت طرته ، بساتين تتهدل أغصانها عليه ، وتلوح خضرتها عذاراً بصفحتيه ، ينسرب في ظلالها ، وينساب على سمت اعتدالها ، وبأحد شطيه المتصل بربضها مظاهر منتظمة بيوتاً عدة . يخترق الماء من دواليه جميع نواحيها ، فلا يجد المغتسل أثر أذى فيها . وعلى شطه الثاني المتصل بالمدينة السفلى جامع صغير قد فتح جداره الشرقي عليه طبقاناً تحبلي منها منظراً ترتاح النفس إليه . وتتقيد الأبصار لديه . وبإزاء عمر النهر بجوفي المدينة قلعة حلبيه الوضع . وإن كانت دونها في الحصانة والمنع ، سُرّب لها من هذا النهر ماء ينبع فيها ، فهي لا تخاف الصدى . ولا تتهيب مرام العدى .

وموضوع هذه المدينة في وهدة من الأرض عريضة مستطيلة ، كأنها خندق عميق . يرتفع لها جانبان : أحدهما كالجبل المطل ، والمدينة العليا متصلة بسفح ذلك الجانب الجبلي ، والقلعة في الجانب الآخر في ربوة منقطعة كبيرة مستديرة قد تولى نحتها الزمان ، وحصل لها بحصانيتها من كل عدو الأمان . والمدينين السفلى تحت القلعة متصلة بالجانب الذي يصب النهر عليه ، وكلتا المدينتين صغيرتان . وسور المدينة العليا تمتد على رأس جانبها العلي الجبلي ويظيف بها .

وللمدينة السفلى سور يمدق بها من ثلاثة جوانب ، لأن جانبها المتصل بالنهر لا يحتاج الى سور . وعلى النهر جسر كبير معقود بصم الحجارة يتصل من المدينة السفلى الى ربضها . وربضها كبير فيه الخانات والديار . وله حوانيت يستعجل فيها المسافر حاجاته الى أن يفرغ لدخول المدينة ، وأسواق المدينة العليا أحفل وأجمل من أسواق المدينة السفلى ، وهي الجامعة لجميع الصناعات والتجارات ، وموضوعها حسن التنظيم . بديع الترتيب والتقسيم ، ولها جامع أكبر من الجامع الأسفل ، ولها ثلاث مدارس ومارستان على شط النهر بإزاء الجامع الصغير .

وبخارج هذه البلدة بسيط فسيح عريض قد انتظم أكثره شجيرات الاغصاب وفيه المزارع والمحارث . وفي منظره انشراح للنفس وانفساح . والبساتين متصلة على شطي النهر ، وهو يسمى العاصي . لان ظاهر انحداره من سفلى الى علو ، ويجزاه من الجنوب الى الشمال ، وهو يجتاز على قبلي حصص ومقربة منها .

فكان مقامنا بحماة الى عشي يوم السبت المذكور ، ثم رحلنا منها واسرنا الليل كله واجتازنا في نصفه هذا النهر العاصي المذكور على جسر كبير معقود من الحجارة ، وعليه مدينة رستن التي خربها عمر ابن الخطاب ، رضي الله عنه . وآثارها عظيمة . ويذكر الروم القسطنطينيون ان بها اموالاً جمة مكنوزة . والله اعلم بذلك . فوصلنا الى مدينة حمص مع شروق الشمس من يوم الاحد الموفى عشرين لربيع الاول . وهو اول يولييه ، فنزلنا بظاهرها بخان السيل .



الملحق (٦)

حماة في

رحلة ابن بطوطة

ثم سافرت منها إلى مدينة حماة إحدى أمهات الشام الرفيعة ومدانتها البديعة . ذات الحسن الرائق . والجمال الفائق . تحفها البساتين والجنان ، عليها التواعير كالافلاك الدائرات . يشقها النهر العظيم المسمى بالعاصي ، ولها ربض سمي بالمنصورة أعظم من المدينة في الأسواق الحافلة والحمامات الحسان . وبحماة الفواكه الكثيرة . ومنها المشمش اللوزي ، إذا كسرت نواته وجدت في داخلها لوزة حلوة .

قال ابن جزي : وفي هذه المدينة ونهرها ونواعيرها وبساتينها يقول الاديب الرحال . نور الدين أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد العبيسي العبّادي الغرناطي نسبة لعمار بن ياسر . رضي الله عنه :

وَقَفْتُ عَلَيْهَا السَّعْ وَالْفَكْرَ وَالطَّرْفَا
وَتَرَمَى مَيَانِي تَمْنَعُ الْوَاصِفَ الْوَصْفَا
بِهَا وَاطْبِيعُ الْكَاسِ وَاللَّهْوِ وَالْفَصْفَا
أَحَاكِيهِ عَصِياناً وَأَشْرَبَهَا صِرْفَا
وَأَغْلَبَهَا رَقْصاً وَأَشْبَهَهَا غَرْفَا
تَهَيَّمُ بِمَرَامَا وَتَسْأَلُنَا الْعُطْفَا

نَحْسُ اللَّهِ مِنْ شَطَطِ حِمَاةٍ مَنَظَرَا
تَغْنِي حِمَامٌ أَوْ تَمِيلُ خَمَائِلُ
يَلُومُونَنِي أَنْ أَعْطِي الصَّوْنَ وَالنَّهْيَا
إِذَا كَانَ فِيهَا التَّهَرُّعَاصُ فَكَيْفَ لَا
وَأَشْدُو لَدَى تِلْكَ التَّوَاعِيرِ شِدْوَا
ثَبْنٌ وَثُلُوبِي قَمْعَهَا ، فَكَأَنَّمَا

ولبعضهم في نواعيرها ذاهباً مذهب التورية :

وَنَاعُورَةٌ رَقْتُ لِعِظَمِ خَطْبَتِي
بَكْتُ زَحْمَةً لِي ثُمَّ بَاخْتُ بِشَجَرِمَا

ولبعض المتأخرين فيها أيضاً من التورية :

يَا سَادَةً سَكَنُوا حِمَاةً وَخَفُّكُمْ
وَالطَّرْفُ بِمَدَّكُمْ إِذَا ذُكِرَ اللَّفَا

وقد عاينت فسدي من المنزل القاصي
وحسبك أن الحشْبَ تَكِي عَلَى الْعَاصِي

ما خلْتُ عَنْ ثَقْوَى وَعَنِ إِخْلَاصِ
يَجْرِي الْمَدَامُ طَائِعاً كَالْعَاصِي

ثم سافرت إلى مدينة المقرّة التي يُنسبُ إليها الشاعر أبو العلاء المَرّي وكثيرُ سواه من الشعراء .
قال ابن جُزَيّ : وإنما سُمّيتْ مَعْرَة النعمان لأنّ النعمان بن بشير الأنصاري صاحب رسول الله ،
صلّى الله عليه وسلّم ، ثُوِّقَ له ولِدُ أيام إمارته على حصص ، فدَفَنَه بالمعرة . فعُرِفَتْ به ، وكانت قبل ذلك
تسمّى ذات القصور ، وقيل : إنّ النعمان جبلٌ مطلٌّ عليها سُمّيت به .
والمعرة مدينة كبيرة ■ حسنة . أكثر شجرها التين والنُستق . ومنها يُحمَلُ إلى مصر والشام ^(١) .



الملحق (٧)

نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لشيخ الربوة: عيد الزيتونة (خميس المشايخ) في حماة^(١)

وعيد الزيتونة ويسمونه الشعانين يعنى التسبيح يعملونه يوم الأحد سابع أحد في صومهم وطريقتهم فيهم أن يخرجوا بسعف النخل من الكنيسة وهو يوم ركوب المسيح الحمار ودخوله صهيون بيت المقدس يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر والناس بين يديه يسبحون الله وعيد الفصح وهو الكبير يقولون أن المسيح قام فيه بعد الموت والصلب بثلاثة أيام وخلص آدم من الجحيم وأقام في الأرض أربعين يوماً آخرها يوم الخميس ثم صعد إلى السماء [وفي هذا العيد تبطل أهل حماة مدة ستة أيام أولها يوم الخميس الكبير وهو خميس العهد وآخرها يوم الثلاثاء ثالث الفصح وتتقش فيه النساء وتلبس فيه الكساوى الفاخرة ويصبتون فيه البيض ويعملون الأقراص والكعك المسلمون أكثر من النصارى ويرد إلى حماة أهل سائر البلاد المجاورة لها مثل حمص وشيزر وسلمية وكفر طاب وأبو قبيس ومضايا والمعرة وتيزين والباب وبزاعة والفوعة وخلب ويطلقون جميعاً إلى العاصي ويضربون لهم أهل حماة على شطوطه خياماً ويركبون في المراكب بالمغاني ويرقصون في المراكب النساء والرجال على الشطوط حتى تنهتك الخلائق ويمضي لهم ستة أيام لا يرى في الوجود مثلها وكذلك يطلون أول يوم صوم النصارى ويقولون قد طلعموا يلتفتون الراهب ويطلون أيضاً يوم نزول الشمس برج الحمل ولم أر هذا في مدينة غيرها .

وخميس الأربعين يسمنونه الصعود وهو الأربعون من الفطر ويزعمون أن المسيح تسلق فيه بيز تلاميذه إلى السماء بعد القيامة ووعدهم بإرسال الباقليط وهو روح القدس وعيد الخمسين وهو العنصرة يعملونه بعد خمسين يوماً من عيد القيامة يقولون: أن روح القدس جلت في التلاميذ شبه السنة نارية وتفرقت عليهم السنة الناس فتكلموا بجميع الالبسة وراح كل واحد منهم إلى بلاد لسانه الذي تكلم به يدعوهم إلى دين المسيح وعيد الميلاد هو اليوم الذي ولد فيه المسيح يقولون أنه يوم الاثنين يجعلون عشية الأحد ليلة الميلاد وهم يقدمون فيها المصاييح في الكنائس ولد بيت لحم بقرية يهودا من عمل اورشليم وهي بيت المقدس [وفي هذه الليلة يوقد أهل حماة كبيرهم وجليلهم وحفيرهم وجندهم وأميرهم من القناديل فوق الاسطحة ومن القنصب والشيخ عظيماء يوقدون من البارود والنفط أنواعاً شتى .

الملحق (٨)

حماة في تقويم البلدان لابي الفداء

- حماة : من الاقليم الرابع من الشام بين حمص وقنسرين . بفتح الحاء المهملة والميم والفاء وهاء في الآخر وحماة مدينة اولية ولما ذكر في كتاب الاسرائيليين ، وهي من انزه البلاد الشامية والعاصي يستدير على عاليها من شرقها وشمالها ولما قلعة حسنة البناء مرتفعة وفي داخلها الارحية على الماء وبها نواعير على العاصي . تسقي اكثر بساتينها . ويدخل منها الماء الى كثير من دورها .
وحماة بلدة قديمة مذكورة في التوراة . وهي وشيزر مخصصتان بكثرة النواعير دون غيرهما من بلاد الشام .^(١)

- بارين : من الاقليم الرابع من اعمال حماة . بفتح الباء والفاء وكسر الراء المهملة وسكون المثناة التحتية ونون في الآخر .

وهي بلدة صغيرة ذات قلعة قد دثرت ولما اعين وبساتين ، وهي على مرحلة من حماة وهي غربي حماة بميلة يسيرة الى الجنوب وبها اثار عمارة قديمة تسقي الرقنية لما ذكر شهير في كتب التاريخ وهي بفتح الراء المهملة والفاء ثم نون مكسورة وياء مثناة تحتيه مشددة ، ثم هاء في الآخر وذكر في كتاب الاطوال ان طول الرقنية من ت والعرض لد ك . وحصن بارين هو حصن احدثه الفرنج في سنة بضع وثمانين واربعمائة ثم ملكه المسلمون . وبقي مدة ثم اخرجوه .^(٢)

المرة : من الاقليم الرابع من اعمال حلب^(٣) من جند حمص . من اللباب بفتح الميم والعين المهملة ثم راء مهملة مشددة وفي الآخر هاء . قال في اللباب ومعرة النعمان مدينة من الشام وقال السمعاني في الاصل اعني كتاب الانساب والنسبة الى المعرة معرمني قال لان ثم معرتين معرة النعمان ومعرة نسرين فالنسبة الى الاولى معرمني والى الثانية معرمني غير ان اكثر اهل العلم لا يعرف ذلك اقول اني رايت هذا

(١) تقويم البلدان لابي الفداء : ٢٦٢ - ٢٦٣

(٢) نفس المصدر : ٢٥٨ - ٢٥٩

(٣) يتحدث ابو الفداء عن المرة بعد ان ضمت الى حلب على ما يبدو .

النقل في الانساب ولم أجده في اللباب قال في العريزي ومعره النعمان مدينة جليلة عامرة كثيرة النواكح
والشمار والخصب وشرب أهلها من الآبار^(١)



(١) نفس المصدر السابق : ٢٩٤-٢٩٥

الملحق (٩)

حماء في صبح الأعشى للقلقشندي^(١)

النيابة الرابعة
(نيابة حماة ، وفيها جملتان)

الجملة الاولى
(في ذكر أحوالها ومعاملاتها)

أما معاملاتها فعل ما تقدم في غيرها من الممالك الشامية من المعاملة بالدنانير والدراهم ، وصنجنها كصنجة دمشق وخلب وطرابلس ، تنقص عن الصنجة المصرية كل مائة مثقال مثقال وربع ، وكل مائة درهم درهم وربع ، ويطلها سبعمائة وعشرون درهماً بصنجنها ، ومكيلاتها معتبرة بالكوك كما في خلب وبلاها ، ومكوكها مقدّر كل مكوكين وربع مكوك غرارة بالدمشقي ، وقياس قماشها بذراع^(٢) وقياس أرضها بلراع العمل المعروف .

الجملة الثانية
(في ترتيب نيابتها ، وهي على ضربين)
الضرب الاول
(مابحاضرتها)

أما جيوشها فمن الترك ومن في معانهم ، وبها عدة من أمراء الطبلخاناه والعشرات والخمسات ومقنمي الحلقة واجنادها ، وليس بها مقدم ألف . وقد تقدم في الكلام على قواعد الشام المستقرة أنها

(١) صبح الأعشى في صناعة الانشا للقلقشندي ج ٤ : ٢٣٦ - ٢٣٩

كانت بيد بقايا الملوك الأيوبية إلى آخر الدولة الناصرية ومحمد بن قلاوون في سلطته الأخيرة . قال في
«مسالك الأبصار» : إن صاحبها كان يستقل فيها بإعطاء الأمرة والإقطاعات وتولية القضاة والوزراء
وكتاب السر وسائر الوظائف بها ، وتكتب المناشير والتوقيعات من جهته ولكنه لا يتجسس أمراً كبيراً في مثل
إعطاء إمرة أو وظيفة كبيرة حتى يشاور صاحب مصر ، وهو لا يجيبه إلا بأن الرأي ما تراه ومن هذا
ومثله . وربما كتب له مرسوم شريف بالتصرف في مملكته . قال في «مسالك الأبصار» : ومع ذلك
فصاحب مصر متصرف في ولاية صاحبها وعزله . من شاء ولأه ومن شاء عزله . ولم يزل الأمر على ذلك
إلى أن خلع الأفضل^(١) محمد بن المؤيد المتقدم ذكره من سلطتها ، بعد موت السلطان الملك الناصر
وملك ابنه أبي بكر . ونائبها من أكابر الأمراء المقدمين ، ولكنه في الرتبة دون نائب طرابلس وإن كان
مساوياً له في المكاتب من الأبواب السلطانية ، ويظهر ذلك في كتابة المطلقات الكبار حيث يذكر نائب
طرابلس قبله .

وبها من وظائف أرباب السيوف الحجوبية ؛ وبها حاجبان : الكبير منهما طبلخاناء والثاني
عشرة . والمهندارية . وبها اثنان وهما جنديان ؛ وشدة مراكز البريد ، وبه جندي ؛ وأمير اخورية
البريد ، ومتوليها جندي . وولاية المدينة . وواليها جندي ، ونقابة العساكر ، وبها اثنان وهما جنديان
أحدهما أكبر من الآخر . وجميع أرباب الوظائف بوليهم النائب بها بتوقيعات كريمة ، وليس بها قلعة لها
نائب .

وبها من الوظائف الدينية من أرباب الأقلام أربعة قضاة من المذاهب الأربعة . وولايتهم من
الأبواب السلطانية بتوقيعات شريفة ، وقاضي عسكر حنفي ، وليس بها قضاة عسكر من المذاهب الثلاثة
الأخر ولا مفتو دار عدل ، وبها وكيل بيت المال ، وولايته من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف ووكالة
شرعية ؛ وعتسب بولاية عن النائب بتوقيع كريم .

وبها من الوظائف الديوانية من أرباب الأقلام وكتاب سر ، ويعبر عنه في ديوان الإنشاء بصاحب
ديوان المكاتبات بحماة المحروسة . وولايته من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف . وله اتباع من كتاب
الدست وكتاب الدُرج وولايتهم عن النائب بتوقيعات كريمة ؛ وبها ناظر المملكة القائم مقام الوزير .
وولايته من الأبواب السلطانية بتوقيعات كريمة ؛ وبها ناظر المملكة القائم مقام الوزير . وولايته من
الأبواب السلطانية بتوقيع شريف ، وله اتباع من كتاب وشهود ، وولايتهم عن النائب بتوقيعات كريمة .
إلى غير ذلك من وظائف صغار بوليها النائب بتوقيعات كريمة .

وترتيب المؤكب بها أن النائب بها يركب من دار النيابة في يومي الخميس والاثنين وصحبته العسكر
من الأمراء وأجناد الخلفة . ويخرج إلى خارج المدينة من قبلها ويسير في المؤكب إلى ضيعة تسمى بقرين
على القرب من حماة . ثم يعود في مؤكبه حتى يقف بسوق الخيل بمكان خارج المدينة يعرف بالموقف .
وينادي بينهم على الخيول . وربما نودي على بعض العقارات ، ثم تصبح الجاويشية ، وينصرف عن
ذلك المكان ويدخل المدينة ؛ ويأتي دار النيابة ويدخل أول العسكر من داخل باب يعرف بباب
العسرة^(٢) ، ثم يترجل الناس على الترتيب على قد منازلهم حتى لا يبقى راكب سوى النائب بمفرده .

ولا يزال راكباً حتى يترجل بثبّاك بدار النيابة معدّ للحكم فيجلس فيه ويجلس عنده داخل الثبّاك التفضاء
الأربعة : الشافعي والحنفي عن يمينه ، والمالكي عن يساره والحنبلي يليه ، ويجلس الأمراء على قدر
منازلهم . وكاتب السر وناظر الجيش أمام النائب خارج الثبّاك . ويقف هناك الحاجبان والمهندار
ونقيب النقباء . وترفع القصص فيقرأها كاتب السر عليه ويرسم فيها بما يراه ، ثم يقوم من مجلسه ذلك
وينصرف التفضاء ويدخل إلى قبة معدّة لجلوسه ومعه كاتب السر وناظر الجيش والأمراء فيفصل بقية أموره
مما يتعلق بالجيش وغيره . ثم يجد السباط بعد ذلك فيأكلون وينصرفون .



الملحق رقم ١٠

الملك المنصور يسأل السلطان الملك المنصور قلاوون في تعيين ابنه بعد وفاته فيجيبه بالايجاب قائلا :

ومن السلطان بعد البسملة المملوك قلاوون أعز الله أنصار المقام العالي المولوي السلطاني الملكي المملوك محمد الناصري ولا عذمه الاسلام ولا فقدته السيوف والاقلام وحماه من اذى داء وعرد عراد والمأم الام لم يكذب بفتح بالحديث فاما ولما وقفنا على الكتاب المولوي المتضمن بمرض الجيد المحروس وما انتهى اليه الحال كادت القلوب تنشق والنفوس تدوب حزناً والرجاء من الله أن يتداركه بلطفه وأن يمن بعافيته التي وقع في مسألته يديه وبسط كفيه وهو يرجو من كرم الله معاملة الشفاء ومداركة العافية الموردة بعد الكدر مورد الصفاء وإن الله يفسح في أجل المولى ويهيئ العمر الطويل وأما الإشارة الكريمة الى ما ذكره من حقوق يوجهها الاقرار وعهود أمنت بدورها من السرار ونحن بحمد الله فعتدنا تلك المهود ملحوظة وتلك المودات محفوظة فالمولى يعيش قريير العين فما تم الا ما يسره من اقامة ولده مقامه لا يحول ولا يزول ولا يرى على ذلك ذلة ولا ذمول ويكون المولى طيب النفس مستديم الانس بصدق العهد القديم وبكل ما يؤثر من خير مقيم^(١)



الملحق رقم (١١)

كتاب تعيين الملك المظفر على حماة

بعد وفاة ابيه الملك المنصور

والتعيين من السلطان الملك المنصور قلاوون

ونسخة الكتاب الواصل من السلطان بعد البسلة الملوك قلاوون اعز الله نصره المقام العالي المولوي السلطاني الملكي المظفري التقوي ونزع عنه لباس البأس والبسه حلال السعد المجلوة على أعين الناس وهو يخدم خدمة بولاء قد تجسست عيوبه وتأسست مبانیه وتيايست ظنونيه وحلت رهونه وحلت ديونه وأثمرت غصونه وزهت أفنانه وفنونيه ومنها وقد سيرنا المجلس السامي جمال الدين اقوش الموصل الحاجب واصحناه من الملبوس الشريف ما يغير به لباس الحزن وينجلي في مظهره ضياء وجه الحسن وينجلي بلبك غيوم تلك الغيوم وأرسلنا أيضا صحبته ما يلبسه هو وذووه كما يبدو البدر بين النجوم وآخر الكتاب وكتب في عشرين شوال سنة ثلاث وثمانين وستائة^(١)

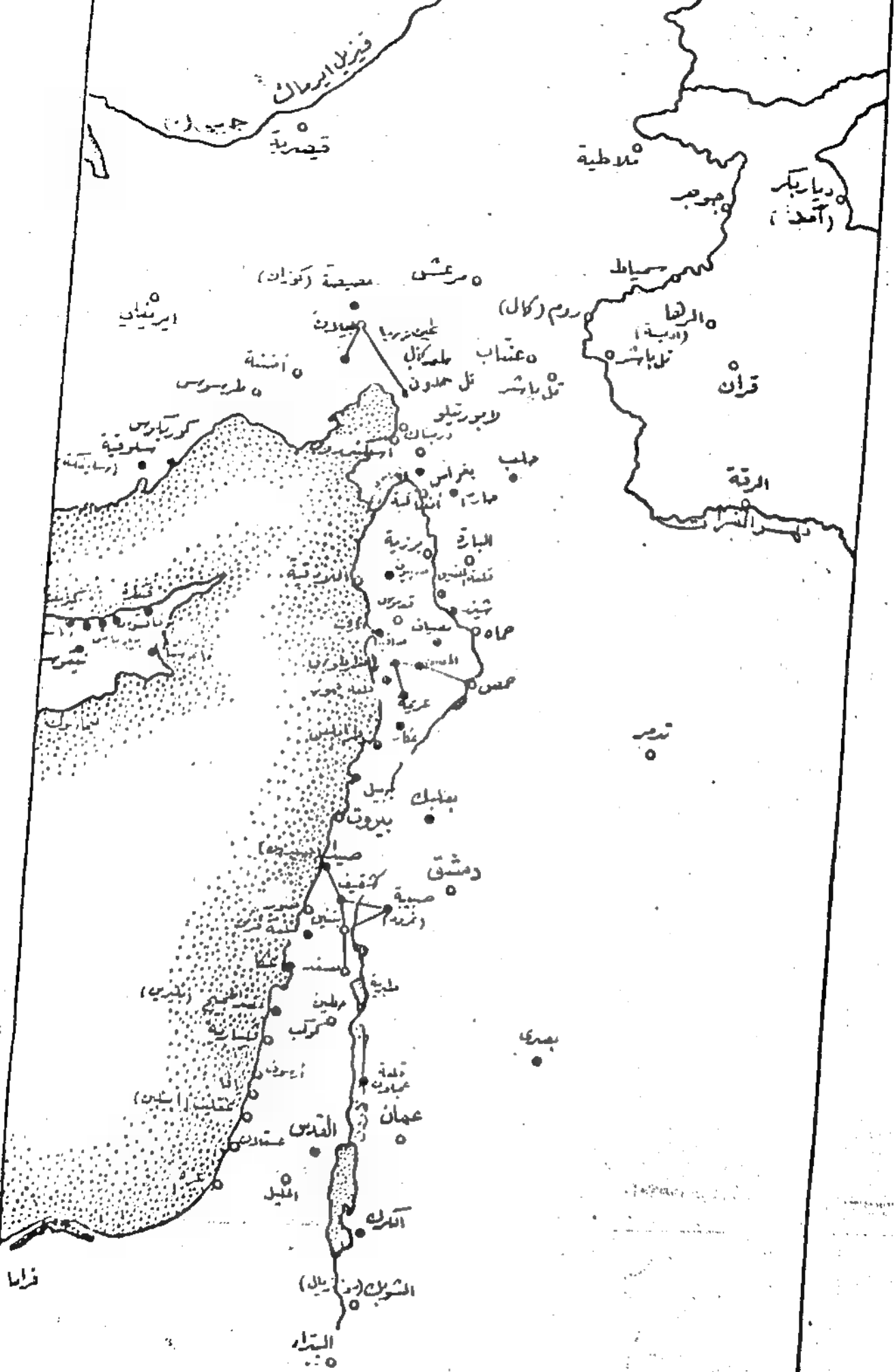


الملحق رقم (١٢)

(ذكر ركوب الملك المظفر صاحب حماة بشعار السلطنة)

في هذه السنة في صفر كان ركوب السلطان الملك المظفر عمود صاحب حماة بشعار السلطنة بدمشق المحروسة وصورة ما جرى في ذلك ان السلطان الملك المنصور قلاوون وصل في هذه السنة في اواخر المحرم بعساكره المتوافرة الى دمشق المحروسة وسار الملك المظفر صاحب حماة وعمه الملك الافضل ووصلا اليه الى دمشق فاکرمهما السلطان اكراماً كثيراً وأرسل الى الملك المظفر في اليوم الثالث من وصوله التقلید بسلطنة حماة والمعرة وبارين والبشرىف وهو أطلس أحمر فوقاني بطراز زركش وسنجا ب ودائرة قندس وقباء أطلس أصفر تحتاني وشاش تساعي وكلوته زركش وحياصة ذهب وسيف على بالذهب وتلكش وعنبرينا وثوب بطرزمهبة ولباس وأرسل شعار السلطنة وهو سنجق بمصائب سلطانية وفرس بـسرج ذهب ورقبة وكبوش وأرسل الغاشية السلطانية فلبس الملك المظفر ذلك وركب بشعار السلطنة وحضرت أمراء السلطان ومقدمو العسكر وساروا معه من الموضع الذي كان فيه وهو داره المعروفة بالحافضية داخل باب الفراديس بدمشق المحروسة الى أن وصل الى قلعة دمشق ومشت الاشراف في خدمته ودخل الملك المظفر الى عند السلطان فاکرمه وأجلسه الى جانبه على الطراحة وطيب خاطره وقال له أنت ولدي وأعز من الملك الصالح عندي فتوجه الى بلادك وتاهب لهذه الغزاة المباركة فانتم من بيت مبارك ما حضرتم في مكان الا وكان النصر معكم فعاد الملك المظفر وعمه الملك الافضل الى حماة وعيلا اشغالهما وكذلك باقي العسكر الحموي وتاهبوا للمسير الى خدمة السلطان ثانياً»





خارطة مملكة حماة وشمال بلاد الشام

اسماء المصادر والمراجع العربية المخطوطة والمطبوعة اولاً : المصادر

- ١ - ابن ابي اصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء
دار مكتبة الحياة - بيروت - ١٩٦٥
- ابن ابي حصينة : الديوان بشرح أبي العلاء المعري تحقيق محمد اسعد طلس
مطبوعات المجمع العلمي العربي - دمشق ١٩٥٦
- ٢ - ابن ابي الدم : القاضي شهاب الدين ابي اسحاق ابراهيم بن عبد الله المعروف بابن ابي الدم
الحموي :
- كتاب ادب القضاء وهو الدرر المنظومات في الأقضية والحكومات تحقيق محمد مصطفي الزحيلي
طبعة دار الفكر - دمشق - ١٩٨٢
- ٣ - تاريخ ابن ابي الدم
مخطوطة مكتبة البودليان : March. 60
ابن الأثير الجزري : محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني
- الكامل في التاريخ
تحقيق عبد القادر احمد طلمبات
طبعة دار الكتب الحديثة - القاهرة وبغداد - ١٩٦٣
- ٤ - ابن بطوطة : - رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار دار صادر
- دار بيروت - ١٩٦٤
- ٥ - ابن نمري بردي : جمال الدين ابي المحاسن يوسف بن نمري بردي الأتابكي
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة .
نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب في القاهرة
- ٦ - ابن جبير الأندلسي - رحلة ابن جبير
دار التراث - بيروت
- ٧ - ابن الجوزي سبط بن الجوزي
- امرأة الزمان في تاريخ الأعيان
طبعة مكتبة المتن عام ١٩٥٢ المصورة عن مخطوطة احمد الثالث
- ٢١٧ -

- ٩ - ابن حوقل الأندلسي - صورة الأرض
طبعة دار مكتبة الحياة - بيروت
- ١٠ - ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد بن خلدون
- تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ...
طبعة بيروت - ١٩٧١ المصورة
- ١١ - ابن خياط - تاريخ خليفة بن خياط برواية بقي بن غلدة
تحقيق د . سهيل زكار
طبعة وزارة الثقافة بدمشق - ١٩٦٨
- ١٢ - ابن رسته : ابو علي احمد بن ... بن رسته
- الاعلاق النفيسة
طبعة دار المثنى ببغداد المصورة عن طبعة ليدن عام ١٨٩١
- ١٣ - ابن شداد (عز الدين) : - الاعلاق الخظيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة
الاجزاء الثلاثة الأولى بتحقيق سامي الدهان
طبع المعهد الفرنسي بدمشق
- ١٤ - ابن شداد (بهاء الدين) : - النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية او سيرة صلاح الدين
تحقيق ... جمال الدين الشيال
الطبعة الأولى - ١٩٦٤
- ١٥ - ابن شيخ الربوة : شمس الدين محمد بن ابي طالب الانصاري الدمشقي
- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر
طبعة مكتبة المثنى - بغداد - المصورة .
- ١٦ - ابن طباطبا : محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطي
- الفخري في الأدب السلطانية والدول الاسلامية
طبعة دار بيروت - ١٩٦٦
- ١٧ - ابن عبد الظاهر : محي الدين بن عبد الظاهر
- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر
تحقيق عبد العزيز الخويطر
طبعة الرياض - ١٩٧٦
- ١٨ - ابن العديم : جمال الدين عمر بن احمد
- بغية الطلب في تاريخ حلب - مخطوطة .
مجلدتي اما صوفيا برقم ٣٠٣٦
٨ مجلدات في احمد الثالث برقم ٢٩٢٥
مجلد في فيض الله برقم ١٤٠٤ (استانبول)
- ٢١٨ -

- ١٩ - زبدة الحلب في تاريخ حلب
تحقيق سامي الدهان
طبعة المعهد الفرنسي بدمشق - ١٩٦٨
- ٢٠ - ابن الفقيه ابو بكر احمد بن ابراهيم الحمداني المعروف بابن الفقيه
- مختصر كتاب البلدان
مطبعة دار المثنى المصورة عن طبعة لندن سنة ١٣٠٢ هـ
- ٢١ - ابن قاضي شهبة : بدر الدين ابن قاضي شهبة
- الكواكب الدرية في السيرة النورية
تحقيق : محمود زايد
دار الكتاب الجديد - بيروت ١٩٧١
- ٢٢ - ابن القلاسي : ابو يعلى حمزة بن القلاسي
- تاريخ ابن القلاسي المعروف خطأ باسم ذيل تاريخ دمشق
طبعة مكتبة المثنى ببغداد المصورة عن طبعة الالباء اليسوعيين في بيروت ١٩٠٨
- ٢٣ - ابن كثير الدمشقي : - البداية والنهاية
طبعة مكتبة المعارف - بيروت (الثانية) ١٩٧٧
- ٢٤ - ابن ممتي (الأسعد) : - قوانين الدواوين
تحقيق عزيز سوريال عطية
مطبعة مصر بالاسكندرية - ١٩٤٣
- ٢٥ - ابن منقذ (اسامة) : كتاب الاعتبار
تحقيق فيليب حتي
طبعة الدار المتحدة للنشر - ١٩٨١
- ٢٦ - ابن نظيف الحموي (محمد بن علي) : - التاريخ المنصوري
تحقيق د . ابو العبد دوده
منشورات نجس اللغة العربية بدمشق - ١٩٨٢
- ٢٧ - ابن واصل الحموي : - مفرج الكروب في اخبار بني ايوب
المجلد الأول حققه جمال الدين الشبال
- القاهرة - ١٩٥٣
- ٢٨ - ابن الوردي (زين الدين عمر) : - تاريخ ابن الوردي ذيل المختصر في اخبار البشر
باشراف احمد رفعت البدرأوي
دارة المعرفة - بيروت -
- ٢٩ - ابو شامة (المقدسي الدمشقي) : - ذيل الروضتين : تراجم القرنين السادس والسابع
طبعة دار الجيل - بيروت - ١٩٧٤
- ٢١٩ -

- ٣٠ - أبو الفداء (عماد الدين اسماعيل) : - المختصر في أخبار البشر
الطبعة القديمة بدون تاريخ او مكان الطبع
- ٣١ - - تقويم البلدان
طبعة دار المثنى ببغداد المصورة عن طبعة باريس عام ١٩٤٠
- ٣٢ - الاصطخري (ابراهيم بن محمد) : - المسالك والممالك
طبعة القاهرة ١٩٦١
- ٣٣ - اصفهاني (العماد الكاتب) : - خريدة القصر وجريدة العصر : قسم شعراء الشام ج ٣
تحقيق د . شكري فيصل
- ٣٤ - - الفتح القسي في الفتح القدسي
طبعة القاهرة .
- ٣٥ - البشاري (المثدسي) : - احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم
طبعة دار المثنى ببغداد المصورة عن طبعة ليدن - ١٩٠٦
- ٣٦ - البغدادي (عبد اللطيف) : - الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعينة بأرض مصر
تحقيق احمد غسان سبانو
دار قتيبة - دمشق - ١٩٨٣
- ٣٧ - البكري (عبد الله بن عبد العزيز) : - معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع
تحقيق مصطفى السقا
طبعة عالم الكتب - بيروت
- ٣٨ - البنداري (الفتح بن علي) : - منا البرق الشامي وهو مختصر البرق الشامي للعماد الاصبهاني
تحقيق د. رمضان ششن
طبعة دار الكتاب الجديد . لبنان
- ٣٩ - بنيامين (التطيلي) : - رحلة بنيامين التطيلي بن بونه الاندلسي :
ترجمة عزرا حداد
طبعة بغداد - ١٩٤٥
- ٤٠ - حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله) : - كشف الظنون في اسامي الكتب والفنون
طبعة مكتبة المثنى - بغداد وبيروت (مصورة)
- ٤١ - الحريري (احمد بن علي) : - الاعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين
تحقيق د. سهيل زكار
مكتبة دار الملاح - دمشق - ١٩٨١
- ٤٢ - الحميري (محمد بن عبد المنعم) : - الروض المعطار في خبر الاقطار
تحقيق د. احسان عباس
مكتبة لبنان - ١٩٧٥

- ٤٣ - الحنبلي (أحمد بن إبراهيم) : - شفاء القلوب في مناقب بني أيوب
تحقيق ناظم رشيد
طبعة وزارة الثقافة ببغداد - ١٩٧٨
- ٤٤ - الذهبي (أبو عبد الله شمس الدين محمد) : - تذكرة الحفاظ
الطبعة الرابعة - بيروت
- ٤٥ - الزبيدي (المرتضى) : - ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيوب
تحقيق د. صلاح المنجد
مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق - ١٩٧٨
- ٤٦ - شاهنشاه (تاج الدين بن أيوب) : - منتخبات من كتاب التاريخ
الطبعة الأولى
- ٤٧ - الطبري (محمد بن جرير) : - تاريخ الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك .
طبعة دار المعارف بمصر - الطبعة الثانية .
- ٤٨ - العظمي (محمد بن علي) : - تاريخ العظمي (مخطوطة)
مخطوطة مكتبة بيازيد رقم ٣٩٨
- ٤٩ - عمر (محمد بن تقي الدين) : - مضمار الحقائق وسر الخلائق
تحقيق د. حسن حبشي
طبعة القاهرة - عالم الكتب
- ٥٠ - القفطي (جمال الدين علي بن يوسف) : - إنباء الرواة على أنباء النحاة
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
مطبعة دار الكتب المصرية - ١٩٥٢
- ٥١ - القلقشندي (أحمد بن علي) : - صبح الأعشى في صناعة الانشا
نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية
مطبعة وزارة الثقافة - مصر
- ٥٢ - المقدسي (عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم) : - الروضتين في أخبار الدولتين
طبعة دار الجيل المصورة - بيروت
- ٥٣ - المقرئ (تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد) : - الخطط المقرئية المسماة المراعظ
والاعتبار بذكر الخطط والآثار
- طبعة دار صادر (المصورة) بيروت
- ٥٤ - السلوك لمعرفة دول الملوك
ج ١ و ٢ تحقيق محمد مصطفى زيادة
٢٢١ -

- ج ٣ و٤ تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور
طبعة القاهرة ١٩٣٩/١٩٧١
- ٥٥ - النويري (أحمد بن عبد الوهاب) : - نهاية الارب في فنون الادب
طبعة وزارة الثقافة بمصر (مصورة عن طبعة دار الكتب)
- ٥٦ - ياقوت الحموي : - معجم البلدان
طبعة داو صادر - بيروت
- ٥٧ - - المشترك وضعاً والمفترق صنعاً
طبعة دار المثنى بغداد عن طبعة جوتنجن (١٨٤٦)
- ٥٨ - اليونيني (موسى بن محمد) : - ذيل مرآة الزمان
طبعة حيدر آباد - بالهند - ١٩٦٠



ثانياً - المراجع العربية والمترجمة

- ١ - اسعد (الخوري عيسى) : - تاريخ حمص
الطبعة الاولى - ١٩٤٠
- ٢ - اشقر (أسد) : - تاريخ سوريا
الطبعة الاولى - ١٩٧٨
- ٣ - بارودي (انور) : - سفر جغرافية حماه
مطبعة امي الفداء - حماه - ١٩٤٨
- ٤ - باشميل (محمد احمد) : - العرب في الشام قبل الاسلام
طبعة دار الفكر - بيروت - ١٩٧٣
- ٥ - بروكلمان (كارل) : - تاريخ الادب العربي
ترجمة عبد الحليم النجار
طبعة دار المعارف بمصر - ١٩٧٧
- ٦ - بيطار (د. امينه) : - تاريخ العصر الايوبي
طبعة جامعة دمشق - ١٩٨٢
- ٧ - بيلي (د. احمد) : - حياة صلاح الدين
الطبعة الثانية - القاهرة - ١٩٢٦
- ٨ - تامر (عارف) : - سنان وصلاح الدين
الطبعة الاولى
- ٩ - التميمي (رفيق) : - الحروب الصليبية
مطبعة اللواء - القدس - ١٩٤٥
- ١٠ - جب (هاملتون) : - دراسات في حضارة الاسلام
دار العلم للملايين - بيروت
- ١١ - حاطوم (وعاقل وطربين ومدني) : - المدخل إلى التاريخ
مطبوعات جامعة دمشق - ١٩٦٥
- ١٢ - حشي (حسين) : - نور الدين والصليبيون
دار الفكر العربي - القاهرة - ١٩٤٨

- ٢٨ - زكريا (أحمد وصفي) : - جولة أثرية في بعض البلاد الشامية
الطبعة الأولى - دمشق - ١٩٣٤
- ٢٩ - زيتون (د. عادل) : - تاريخ الممالك
طبعة جامعة دمشق - ١٩٨٣
- ٣٠ - العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى
دار دمشق - ١٩٨٠
- ٣١ - سلام (محمد زغلول) : - ضياء الدين بن الاثير - سلسلة النوابع (٣٦)
دار المعارف بمصر - القاهرة
- ٣٢ - الادب في العصر المملوكي
دار المعارف بمصر - القاهرة
- ٣٣ - سليم (محمود رزق) : - تقي الدين بن حجة - سلسلة النوابع (٢٠)
دار المعارف بمصر - القاهرة
- ٣٤ - سميل (ر. س) : - الحروب الصليبية
ترجمة سامي هاشم
المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ١٩٨٢
- ٣٥ - شلمي (د. عبد الفتاح) : - البهاء زهير - سلسلة النوابع
دار المعارف بمصر - القاهرة
- ٣٦ - شمعون (المطران غريغوريوس صليبا) : - الممالك الأرامية
طبعة حلب - ١٩٨١
- ٣٧ - الصابوني (الشيخ أحمد) : - تاريخ حماة
الطبعة الثانية - حماة .
- ٣٨ - عاشور (د. سعيد عبد الفتاح) : - مصر والشام في عصر الايوبيين
طبعة بيروت - ١٩٧٢
- ٣٩ - عاشور (فايد) : - العلاقات بين البندقية والشرق الأدنى الاسلامي في العصر الايوبي
طبعة دار المعارف بمصر - القاهرة - ١٩٨٠
- ٤٠ - علي (أكرم حسن) : - دمشق بين عصر الممالك والعثمانيين
الشركة المتحدة للتوزيع - دمشق - ١٩٨٢
- ٤١ - غالب (مصطفى) : - اعلام الاسماعيليه
دار البقعة العربية - بيروت - ١٩٦٤
- ٤٢ - تاريخ الدعوة الاسماعيليه
طبعة دار الاندلس - ١٩٧٩

- ١٣ - الحرب الصليبية الاولى
دار الفكر العربي - القاهرة
- ١٤ - حني (فيليب) : - تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين
ترجمة د. جورج حداد ود. عبد الكريم رافق
دار الثقافة - بيروت - ١٩٥٨
- ١٥ - - العرب تاريخ موجز
دار العلم للملايين - بيروت -
- ١٦ - الحصني (محمد اديب آل تقي الدين) : - كتاب مستخبات التواريخ لدمشق
منشورات دار الأفاق الجديدة - بيروت ١٩٧٩
- ١٧ - خليل (د. عماد الدين) : - عماد الدين زنكي
الدار العلمية - بيروت - ١٩٧١
- ١٨ - دباغ (مصطفى مراد) : - القبائل العربية وسلطانها في بلادنا فلسطين
دار الطليعة - بيروت - ١٩٧٩
- ١٩ - ديس (المطران يوسف) : - من تاريخ سوريا الديني والديني
طبعة مصورة - بيروت
- ٢٠ - دهمان (محمد احمد) : - ولاية دمشق في عصر المماليك
دار الفكر - دمشق - ١٩٨١
- ٢١ - - في رحاب دمشق
دار الفكر - ١٩٨٢
- ٢٢ - ربيع (محمد حسنين) : - النظم المالية في مصر زمن الايوبيين
مطبعة جامعة القاهرة - ١٩٦٤
- ٢٣ - رزوق (د. معروف عزيز نايف) : - تاريخ شيزر
منشورات وزارة الثقافة - دمشق - ١٩٨٢
- ٢٤ - ربحاوي (عبد القادر) : - العمارة العربية الاسلامية وخصائصها واثارها في سورية
منشورات وزارة الثقافة - دمشق - ١٩٧٩
- ٢٥ - زكار (د. سهيل) : - مدخل لتاريخ الحروب الصليبية
دار الامانة - مؤسسة الرسالة الطبعة الاولى - ١٩٧٢
- ٢٦ - حطين : مسيرة التحرير من دمشق الى القدس
دار حسان - ١٩٨٤
- ٢٧ - مختارات من كتابات المؤرخين العرب
طبعة دار الفكر - دمشق

ثالثاً - دوائر المعارف

- ١ - دائرة المعارف الاسلامية : - النسخة العربية المترجمة
- طبعة دار المعرفة (مصورة) بيروت - لبنان
- ٢ - دائرة معارف البستاني ١ - بطرس البستاني - مادة حاة
دار المعرفة - بيروت (مصورة)
- ٣ - قاموس الكتاب المقدس : - الطبعة العربية باشراف بطرس عبد الملك وغيره
- الطبعة الثانية - بيروت - ١٩٧١

مراجع اخرى

- ١ - الدليل الهجائي للمدن والقرى والمزارع في القطر العربي السوري لعام ١٩٧٣
المكتب المركزي للاحصاء طبعة عام ١٩٧٤
- ٢ - جدول المسافات للقطر العربي السوري
الصادر عن ادارة المساحة العسكرية - دمشق - ١٩٧٩



- ٤٣ - فرجة (أنيس) : - معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية
مكتبة لبنان - ١٩٧٢
- ٤٤ - قدامة (أحمد) : - معالم وأعلام في بلاد العرب : قسم القطر العربي السوري ج ١
طبعة دمشق
- ٤٥ - كراتشكوفسكي (اغناطيوس) - تاريخ الأدب الجغرافي العربي
ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم
طبعة جامعة الدول العربية - القاهرة - ١٩٥٧
- ٤٦ - كرد علي (محمد) : خطط الشام
دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٧٠
- ٤٧ - كرملي (الاب انتاس ماري) : - النقود العربية وعلم النميات
طبعة بيروت
- ٤٨ - لامارتين (الاب لامارتين اليسوعي) : - تاريخ لبنان
الطبعة الأولى - المطبعة اليسوعية - بيروت
- ٤٩ - لباد (ميشيل) : - الاسماعيليون والدولة الاسماعيلية بمصيف
الطبعة الأولى - ١٩٦٢
- ٥٠ - مصطفى (شاكر) : - التاريخ العربي والمؤرخون
دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٧٨
- ٥١ - موسى باشا (د. صمر) : - محاضرات في الأدب المملوكي والعثماني
مطبوعات جامعة دمشق
- ٥٢ - مؤنس (د. حسين) : نور الدين محمود
طبعة القاهرة - ١٩٥٩
- ٥٣ - نولدكه (تيودور) : - أمراء غسان
ترجمة د. بندلي خوري - د. قسطنطين زريق
المطبعة الكاثوليكية - بيروت - ١٩٣٣



خامساً - المجلات والحوليات

- ١ - مجلة الرسالة : اعداد السنة الثامنة - بحث النقابات في الاسلام
(برنارد لويس) .
- ٢ - مجلة المشرق : العدد ٣٤ : ١٩٦١
- ٣ - مجلة الحوليات الانثوية العربية السورية الصادرة عن المديرية العامة للآثار والمتاحف بدمشق
العدد ١٦ عام ١٩٦٦
- ٤ - مجلة الاكليل اليمنية : العدد الاول - السنة الثانية - ١٩٨٢
مقال احمد غسان سبانوص ١٧٠ القبائل العربية في سوريا قبل الفتح
- ٥ - مجلة الممران : الصادرة عن وزارة الشؤون البلدية والقروية - دمشق
العدد ٢٩ - ٣٠ حزيران ١٩٦٩ عدد خاص بحماة



رابعاً - كتب المهرجانات والمؤتمرات

- ١ - مهرجان ابي الفداء : في ذكرى مرور سبعين سنة على ولادته
صدر عن المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية
دمشق - ١٩٧٤
- ٢ - المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام : المنعقد في الجامعة الاردنية - ١٩٧٤
طبع الدار المتحدة للنشر - بيروت
- ٣ - ابن عساكر : في ذكرى مرور تسعين سنة على ولادته
تنظيم وزارة التعليم العالي - دمشق - ١٩٧٩



سادساً - المصادر والمراجع الاجنبية

- I - Social and Economic History of The Near East in The Middle Ages
E. Ashtor
Collins - London - 1976
- II - History Of The Crusade:
Kenneth M. Setton
Univeesity Of Pennsylvania Press - 1958
- III - Joinville and Villehardouin Chronicles Of The Crusades
Penguin Classics - U.K - 1963
- IV - Saladin
Stanley Lane - Pool
Khayats Beirut - 1964
- V - The Emirat Of Alepo
Suhayl Zakkar
Dar Al-Amanah
- VI - William Of Tyre



الفهرس

٧	- المقدمة
٩	- نقد المصادر
١٩	- قيام مملكة حماة : مدخل عام
٢٣	- الفصل الاول : صلاح الدين وقيام الدولة الايوبية
٤٣	- الفصل الثاني : حماة من التبعية إلى الاستقلال
٥٢	- الفصل الثالث : حماة في فترة الاستقلال
٥٢	تقي الدين عمر
٦٠	الحكم الوراثي في حماة والمنصور الاول
٧١	الملك الناصر قليج ارسلان
٧٩	الملك المظفر الثاني
٨٤	الملك المنصور الثاني
٩٢	الملك المظفر الثالث
٩٨	- الفصل الرابع : فترة الانقطاع
١٠٠	ولاية الامير قرا نقر الجوكدار
١٠٢	ولاية الامير كتيغا المنصوري
١٠٧	ولاية الامير سيف الدين قبجق
١١٠	ولاية الامير اسد مر كرجي
١١٣	- الفصل الخامس : ابو الفداء
١٣٢	- الفصل السادس : الملك الافضل ناصر الدين محمد
١٣٩	- الفصل السابع : الحياة الادارية
١٥٦	- الفصل الثامن : الحياة الاجتماعية
١٦٤	- الفصل التاسع : الحياة الاقتصادية
١٧٥	- الفصل العاشر : الحياة الثقافية
١٩٩	- الملاحق :
٢١٧	- قائمة المصادر والمراجع :
	- الفهرس